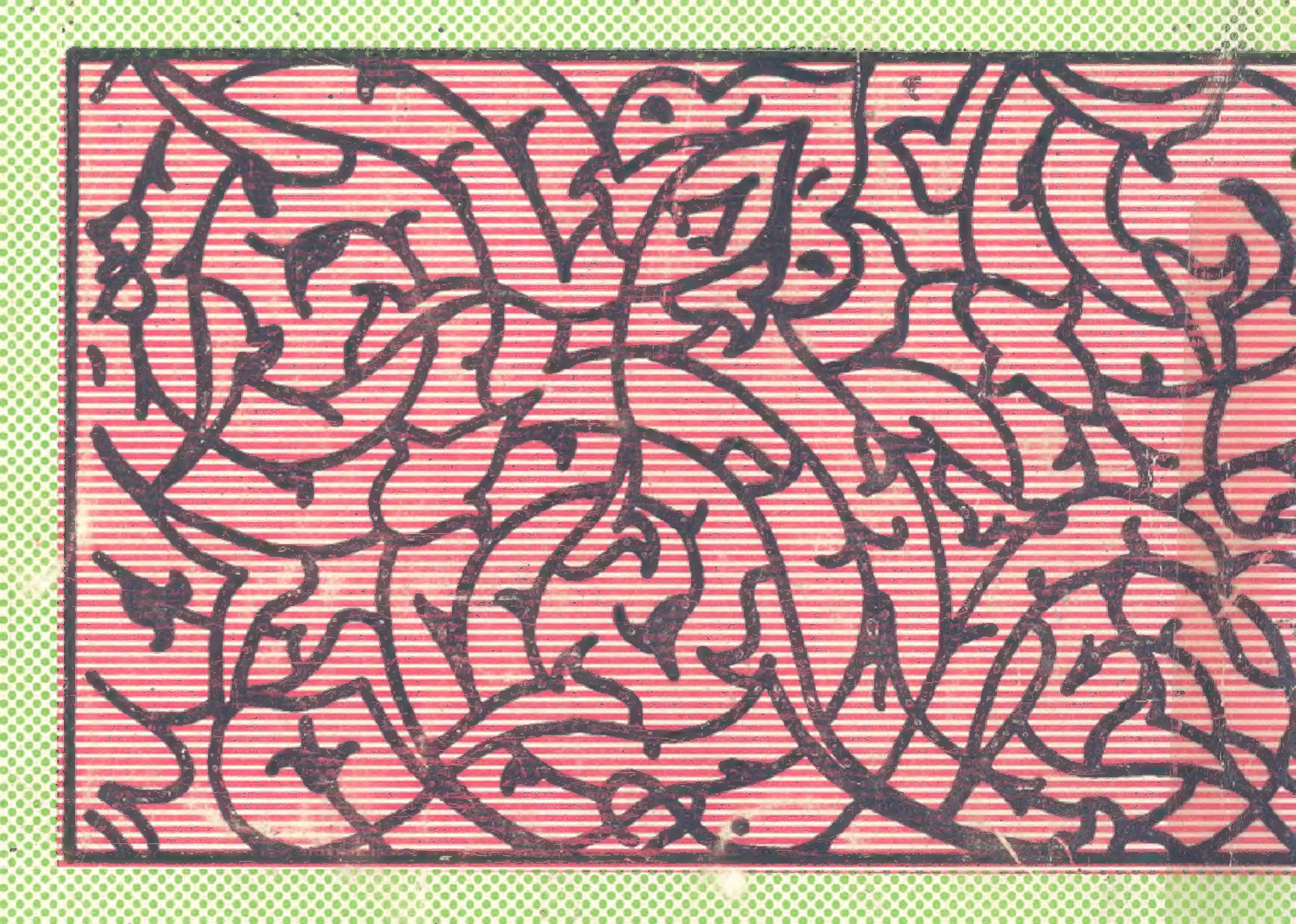
محمد الغزالي





منشورات المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

محمد الغزالي



(بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون)

منشورات المكتبة العصرية
بيروت - صيدا

الباب الاول

- العقل أولا ... ثم ننظر فيما يقال
- هل يترك المسلمون القرآن لهذه الاقوال عن الله ؟
- الله يتعب ، ويجهل ، ويندم ، وياكل ، ويصارع .
- العهد القديم وافتراءاته على المرسلين بعد افتراءاته على ربهم .
- نوح السكير وأسرته ، لوط الزاني ، ابراهيم الديوث ، يعقوب المحتال .
- هدف اليهود من تزوير التوراة .
- لماذا نرتد عن ديننا ؟ وماذا نختار بدله ، انستبدل الذى هو ادنى بالذي هو خير ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

أما بعد: فيقول الشيخ محمد ناصر الدين الألباني:

الحديث الأول - (إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه [كله] ثم لينتزعه ، فإن في إحدى جناحيه داء ، وفي الأخرى شفاء) .

ورد من حديث أبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري ، وأنس بن مالك .

١ - أما حديث أبي هريرة فله عنه طرق :

الأول : عن عبيد بن حنين قال : سمعت أبا هريرة يقول ، فذكره .

أخرجه البخاري (٣٢٩/٢ و ٧١/٤ - ٧٢) ، والدارمي (٩٩/٢) ، وابن ماجه (٣٥٠٥) ، وأحمد (٣٩٨/٢) ، وما بين المربعين زيادة له ، وهي للبخاري في رواية له .

الثاني : عن سعيد بن أبي سعيد عنه .

رواه أبو داود (٣٨٤٤) من طريق أحمد ، وهذا في « المسند » (٢٢٩/٣، ٢٤٦)، والحسن بن عرفة في « جزئه » (ق ١/٩١) من طريق محمد بن عجلان عنه به وزاد :

« وإنه يتقي بجناحه الذي فيه الداء ، فليغمسه كله » .

وإسناده حسن .

وقد تابعه إبراهيم بن الفضل عن سعيد به .

أخرجه أحمد (٢/٤٤٣) ، وإبراهيم هذا هو المخزومي المدني وهو ضعيف .

الثالث : عن ثمامة بن عبد الله بن أنس عنه به .

أخرجه الدارمي وأحمد (٢/٢٦٣ ، ٣٥٥ ، ٣٨٨) ، وسنده صحيح على شرط مسلم .

الرابع : عن محمد بن سيرين عنه به .

رواه أحمد (٢/٣٥٥،٣٨٨) ، وسنده صحيح أيضاً .

الخامس : عن أبي صالح عنه .

رواه أحمد (٢/٣٤٠) ، والفاكهي في « حديثه » (٢/٥٠/٢) ، بسند حسن .

٢ ـ وأما حديث أبي سعيد الخدري فلفظه :

الحديث الثالث ـ ((إن أحد جناحي الذباب سم والآخر شفاء ، فإذا وقع في الطعام ، فامقلوه ، فإنه يقدم السم ، ويؤخر الشفاء)) .

رواه أحمد (٣/٦٧) : ثنا يزيد قال : ثنا ابن أبي ذئب ، عن سعيد بن خالد قال :

دخلت على أبي سلمة فأتانا بزبد وكتلة ،(١) فأسقط ذباب في الطعام ، فجعل أبو سلمة يمقله بأصبعه فيه ، فقلت : يا خال ! ما تصنع ؟ فقال : إن أبا سعيد الخدري حدثني عن رسول الله ﷺ قال : فذكره .

ورواه ابن ماجه (٣٥٠٤) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، ثنا يزيد بن هارون

به مرفوعاً دون القصة . ورواه الطيالسي في « مسنده » (٢١٨٨) : حدثنا ابن أبي ذئب به ، وعنه رواه النسائي (١٩٣/٢) ، وأبو يعلى في « مسنده » (ق ٢/٦٥) وابن حبان في « الثقات » (١٠٢/٢) .

قلت : وهذا سند صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير سعيد بن خالد وهو القارظي وهو صدوق كما قال الذهبي والعسقلاني .

٣ ـ وأما حديث أنس ، فرواه البزار ورجاله رجال الصحيح ، ورواه الطبراني في « الأوسط » كما في « مجمع الزوائد » (٣٨/٥) ، وابن أبي خيثمة في « تاريخه الكبير » ، قال الحافظ : وإسناده صحيح ، كما في « نيل الأوطار » (٥٥/١) .

أما بعد ، فقد ثبت الحديث بهذه الأسانيد الصحيحة ، عن هؤلاء الصحابة الثلاثة أبي هريرة وأبي سعيد وأنس ، ثبوتاً لا مجال لرده ولا للتشكيك فيه ، كما ثبت صدق أبي هريرة رضي الله عنه في روايته إياه عن رسول الله ﷺ ، خلافاً لبعض غلاة الشيعة من المعاصرين ، ومن تبعه من الزائغين ، حيث طعنوا فيه رضي الله عنه لروايته إياه ، واتهموه بأنه يكذب فيه على رسول الله ﷺ ، وحاشاه من ذلك ، فهذا هو التحقيق العلمي يثبت أنه بريء من كل ذلك ، وأن الطاعن فيه هو الحقيق بالطعن فيه ، لأنهم رموا صحابياً بالبهت ، وردوا حديث رسول الله ﷺ لمجرد عدم انطباقه على عقولهم المريضة ! وقد رواه عنه جماعة من الصحابة كما علمت ، وليت شعري هل علم هؤلاء بعدم تفرد أبي هريرة بالحديث ، وهو حجة ولو تفرد ، أم جهلوا ذلك ، فإن كان الأول فلماذا يتعللون برواية أبي هريرة إياه ، ويوهمون الناس أنه لم يتابعه أحد من الأصحاب الكرام ؟! وإن كان الآخر فهلا سألوا أهل الاختصاص والعلم بالحديث الشريف ؟ وما أحسن ما قيل :

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

ثم إن كثيراً من الناس يتوهمون أن هذا الحديث يخالف ما يقرره الأطباء وهو

أن الذباب يحمل بأطرافه الجراثيم ، فإذا وقع في الطعام أو في الشراب علقت به تلك الجراثيم ، والحقيقة أن الحديث لا يخالف الأطباء في ذلك ، بل هو يؤيدهم إذ يخبر أن في أحد جناحيه داء ، ولكنه يزيد عليهم فيقول : « وفي الآخر شفاء » ، فهذا مما لم يحيطوا بعلمه ، فوجب عليهم الإيمان به إن كانوا مسلمين ، وإلا فالتوقف إذا كانوا من غيرهم إن كانوا عقلاء علماء ! ذلك لأن العلم الصحيح يشهد أن عدم العلم بالشيء لا يستلزم العلم بعدمه .

نقول ذلك على افتراض أن الطب الحديث لم يشهد لهذا الحديث بالصحة ، وقد اختلفت آراء الأطباء حوله ، وقرأت مقالات كثيرة في مجلات مختلفة كل يؤيد ماذهب إليه ، تأييداً أو رداً ، ونحن بصفتنا مؤمنين بصحة الحديث وأن النبي ﷺ (ما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى) ، لايهمنا كثيراً ثبوت الحديث من وجهة نظر الطب ، لأن الحديث برهان قائم في نفسه لايحتاج إلى دعم خارجي ومع ذلك فإن النفس تزداد إيماناً حين ترى الحديث الصحيح يوافقه العلم الصحيح ، ولذلك فلا يخلو من فائدة أن أنقل إلى القراء خلاصة محاضرة ألقاها أحد الأطباء في جمعية الهداية الإسلامية في مصر حول هذا الحديث قال :

« يقع الذباب على المواد القذرة المملوءة بالجراثيم التي تنشأ منها الأمراض المختلفة ، فينقل بعضها بأطرافه ، ويأكل بعضاً ، فيتكون في جسمه من ذلك مادة سامة يسميها علماء الطب بـ « مبعد البكتريا » ، وهي تقتل كثيراً من جراثيم الأمراض ، ولا يمكن لتلك الجراثيم أن تبقى حية أو يكون لها تأثير في جسم الإنسان في حال وجود مبعد البكتريا . وأن هناك خاصية في أحد جناحي الذباب ، هي أنه يحول البكتريا إلى ناحيته ، وعلى هذا فإذا سقط الذباب في شراب أو طعام وألقى الجراثيم العالقة بأطرافه في ذلك الشراب ، فإن أقرب مبيد لتلك الجراثيم وأول واقٍ منها هو مبعد البكتريا الذي يحمله الذباب في جوفه قريباً من أحد جناحيه . فإذا كان هناك داء فدواؤه قريب منه ، وغمس الذباب كله وطرحه كافٍ لقتل الجراثيم التي كانت عالقة ، وكافٍ في إبطال عملها » .

المقدمة

من خمسين سنة ، عندما عقلت مـا يجري حولـي ، ادركت ان نصف الاسلام ميت أو مجمد ، وان نصفه الآخر هو المأذون لـه بالحياة او الحركة الى حين !!

واحسست أن هنالك صراعا يدور في خفاء أحيانا ، وعلانيـة حينا بين فريقين من الناس :

● فريق يستبقي النصف الموجود من الاسلام ، ويدفع عنه العوادي ، ويحاول استرجاع النصف المفقود ، ويلفت الانظار الى غيابه .

● وفريق يضاعف الحجب على النصف الغائب ، ويريد ليقتله قتلا ، وهو في الوقت نفسه يسعى لتمويت النصف الآخـر واخماد انفاسه واهالـة التراب عليه .

.. وكلما طال بي العمـــر كنت الحظ ان المعركـة بين الفريقين تتسع دائرتها وتشترك فيها اذاعات واقـلام ، وجماعات وحكومـات ، ومناقشات ومؤامرات ..

.. وكانت الحرب سجالا ، وربما فقد المؤمنون بعض مـــا لديهـم ، وربحوا بعض ما أحرزه خصومهم ، وربما كان العكس ، وفي كلتـا الحالتين تنضم الى معسكر الحق قوى جديدة وتنضم الـــى معسكـر الباطـل قوى جديدة ، ويزداد الصراع حدة وشدة كلما لاح ان الساعة الحاسمة تقترب ..

ونحن نصدر هذا الكتاب في ظروف شديدة التعقيد :

اعداء الاسلام يريدون الانتهاء منه ، ويريدون استغلال المصائب التـي نزلت بامته كي يبنوا انفسهم على انقاضها ..

يريدون بايجاز القضاء على امة ودين ...

وقد قررنا نحن ان نبقى ، وان تبقى معنا رسالتنا الخالدة ، او قررنا

ان تبقى هذه الرسالة ولو اقتضى الامر ان نذهب في سبيلها لترثها الاجيال اللاحقة . .

من اجل ذلك نرفض ان نعيش وفق ما يريد غيرنا او وفق ما تقترحه علينا عقائد ونظم دخيلة .

من حق المسلمين في بلادهم ان يحيوا وفق تعاليم دينهم ، وان يبنوا المجتمع حسب الرسوم التي يقدمها الاسلام لاقامة الحياة العامة .

والاسلام ليس عقيدة فقط ، انه عقيدة وشريعة !

. . ليس عبادات فقط ، انه عبادات ومعاملات .

. . ليس يقينا فرديا فقط ، انه نظام جماعي الى جانب انه ايمان فردي .

انه كما شاع التعبير : دين ودولة . .

واذا كان هناك في ربوع الارض الاسلامية من يعتنق اليهودية او النصرانية فلن يضيره ذلك شيئا . اذ ان حرية التدين من صلب التعاليم الاسلامية ، وقد ازدهرت هذه الحرية في ارجاء العالم الاسلامي جمعاء ، عندما كانت مطاردة في اقطار اخرى لا حصر لها . .

والتاريخ شاهد صدق على ذلك .

. . ثم أن اليهود والنصارى رضوا بالعيش في ظل حكم مدني يبيح الزنا والربا والخمر وانواع المجون ، بل عاشوا في ظل نظم يسارية ترفض الايمان من اصله ، فلا يسوغ أن يتضرروا من حكم اسلامي ينصف نفسه وينصفهم على السواء . .

وأيا ما كان الامر فنحن المسلمين مستمسكون بحقنا في تطبيق شريعتنا والاستظلال براية الاسلام في شئوننا كافة ، ولن نقبل نظاما يساريا ملحدا ، ولا نظاما مستوردا يسوى بين الاضداد ، بين الكفر والايمان ، بين العفة والعهر ، بين المعبد والخان ، باسم الحرية .

وقد لاحظنا ــ محزونين غاضبين ــ أن اتفاقا تم بين اليهودية العالمية ، وبين اقوى الدول النصرانية على ضرب الاسلام واذلال امته والقضاء الاخير على معالمه وتاريخه . .

واثبتت الاحداث ان الضمير الديني عند « أهل الكتاب » قد فقد عدالته وطهارته نهائيا ! . .

فاليهود الذين مرنوا على اكل السحت وثبوا على أرضنا ليأكلوها بما فيها ومن فيها ، ووراءهم امداد هائلة من المال والسلاح تجيئهم من امريكا وغير امريكا . .

---

(١) راجع الباب الثامن : « محنة الضمير الديني هناك » . ففيه تفصيل شاف لهذه القضية .

والكنائس الغربية تبارك هذا السطو ، وتعده تحقيقا لاحلام العهد القديم ، ومن أجل ذلك تحذف لعن اليهود من صلواتها ــ كما امر البابا بعدما اوّل الاناجيل ، وبرأ اليهود من دم المصلوب .

ان الضمير الديني عند اخواننا « اهل الكتاب » ابتلع اكبر فضيحة عالمية عندما سوغ العدوان على العرب ، والتهام دورهم واموالهم وتاريخهم ، ولم ير في ذلك شيئا يستحق النكير ...

ان الحقد التاريخي على الاسلام جعل رؤساء البيت الابيض يشاركون في ذبحنا بسرور ورغبة ، ويساعدون الغزاة باسراف وحماس .. اما ساسة انجلترا وفرنسا فقد اعانوا اللص اولا على رب البيت حتى تمكن من اقتحامه ، ثم عندما شرع رب البيت في المقاومة قالوا : يمنع السلاح عن الطرفين المتساويين (!) ويقسم البيت بينهما ! .

هذا منطق الضمير الديني عند اليهود والنصارى !! عند حملة رسالات السماء !!

ان احتقار الناس للدين والمتدينين انما يجيء من هذه المسالك الهابطة .

وعندما يظفر « الالحاد الاحمر » بشيء من الحفاوة والقبول فلأن مسلكه كان اقرب الى الشرف وادنى الى العدالة المجردة ! وصدق الله العظيم « ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله » ٢ .

والواقع ان نجاح الشيوعية في آسيا واوربا يعود الى تبلد الضمير الديني عند اليهود والنصارى جميعا ، وقدرة هؤلاء الناس على المصالحة بين أهوائهم ومراسم العبادة التقليدية ...

وقد انضم الى الهجوم العسكري على الاسلام هجوم ثقافي يتسلل خفية الى السرائر والعقول مليئا بالدس والختل ، وجبهة الهجوم تشمل الآن اطراف العالم الاسلامي وصميمه ، وتتذرع بكل شيء لتدمير العقائد الاسلامية واهالة التراب على معالم الاسلام كلها ..

ولما كان العرب هم دماغ الاسلام وقلبه فلا بد ان يتضخم نصيبهم من هذا الهجوم المحموم ..

وهنا ــ في خطة الصليبية الغربية ــ يجيء دور النصارى العرب الذين يجب ان يسهموا في ضرب الاسلام وكسر شوكته ومنع دولته .. !!

---

(١) وذلك ما اقره مجلس الامن ! ورضي به المستضعفون !!

(٢) التوبة : ٣٤ .

ترى : أيؤدون هذا الدور بدقة ويطعنون مواطنيهم من الخلف ؟

الحق ان عددا كبيرا منهم رفض الاستجابة لهذه الخيانة ، وفي معارك فلسطين حمل السلاح جنبا الى جنب مع اخوانه المسلمين .

بيد أن استمرار العرض الغادر ، والهزائم التي أصابت المسلمين في ميادين شتى ، والفراغ العقلي لدى خريجي التعليم المدني ، وسيل الشهوات الدافق من هنا وهناك ، كل ذلك جعل الاوضاع تتغير ، واغرى بعض الرؤساء الدينيين في الشام ومصر بفعل امور ذات بال !!

وذلك ما دفعني الى تأليف هذا الكتاب ..

لقد احسست ان خطوطنا الدفاعية مهددة من خلفها ، وان المؤامرة على الاسلام وامته الغافلة قد اخذت ابعادا جديدة مخوفة (١) وان المصارحة هنا اجدى في رد الخطر وقتل بوادر الشر قبل ان تستفحل !

لقد وهنت قوى الاسلام اثر الضربات المادية والادبية التي تناولته من كل جانب .. وستمع من يقول : ما الذي جاء بالاسلام الى مصر ؟ والى متى يبقى ؟ ولماذا لا تكون بدل مصر اسرائيل اخرى او اسبانيا اخرى ؟

الا ما اشد غربة الاسلام في بلاده ...

وامسى الالحاد ذكاء والايمان غباء !!

والتوحيد جمودا والشرك تقدما ووعيا !!

ومن يسمون رجال الدين الاسلامي موضع التندر والسخرية .

لا من وسائل الاعلام الرسمية وحدها ، بل من مسئولين كبار « جدا » .

اما كهان اليهودية والنصرانية فحولهم تهاويل ، ولهم مكانة لا تمس !!

وشاركت مراكز القاهرة مراكز لبنان في مهاجمة القرآن ، ومخاصمة نبيه وتزوير تاريخه .. وانسابت من جحورها افاع ما عرفت الصفو يوما تريد ان تنفث سمومها علنا ، وان تخذل القضايا الاسلامية في كل مكان ..

اذا قلنا : يجب ان يعلم الدين في جميع المراحل ، وان يختبر فيه الطلاب اختبارا يؤثر في مستقبلهم .. قيل : والنصارى ؟

نجيب : لن نعلمهم الاسلام بداهة ، ولهم ان يتعلموا دينهم ، ولا تكلف الدولة ان تختبرهم فيه .. وتوضع نسبة دقيقة تضمن لغير المسلمين ان ياخذوا طريقهم الى درجات التعليم كلها دون حساسية ..

هل من شروط الوحدة الوطنية ! ان يتم تجهيل المسلمين في دينهم ؟

اذا قلنا : يجب الحكم بما أنزل الله سمعت صوتا خبيثا يقول : والنصارى ؟

---

(١) نحن نرفض ان تبتر اجزاء من الاسلام او يخرج من مكانته الطبيعية باسم الوحدة .

نجيب : تبقى لهم الاحكام المقررة في دينهم ــ وهي تتصل بالاحوال الشخصية اما بقية القوانين فلا بد ان تطبق على الكل ، نعتبرها نحن ديننا ، ويعتبرها غيرنا تشريعات عادية كسائر التشريعات التي تحكم اخوانهم في سائر اقطار العالم ماذا في ذلك ؟

هل من شروط الوحدة الوطنية ان يكفر المسلمون بشريعتهم ؟!

لكن الاستعمار العالمي الذي استعان بالكنائس الغربية على اذلال الاسلام واستباحة حماه ، يوسع اليوم دائرتـه ليضمن تعاون الكنيسة الشرقية معه .

ومن ثم بدات تصرفات مجنونة ، ومطالب لا اساس لهـا تظهر على السنة بعض المسئولين وغير المسئولين .

ونحن في هذا الكتاب نلتزم جانب الدفاع ومستعدون لوقف المعركة اذا توقف المعتدون .

ان المؤتمرات التبشيرية العالمية تجد صدى لها في نشاط محلي ينطلق على الارض العربية .

وقد افلح هذا النشاط في تنصير عدد من الطلاب لا يؤبه لـه ، ولكن دلالته تصرخ بما فيها من التحدي والخيانة .

ولم يكن بد من ان نتحرك لنحق الحق ونبطل الباطل (١) .

وعسى ان يرعوي المغامرون ويكفونا مزيدا من القول ...

وان كنا يائسين من ان يوجد للغل الصليبي دواء .

اكتب هذه الصحائف وانا في « رباط الفتح » عاصمة المغرب الشقيق ..

وانباء القتال الدائر بين العرب واليهود تصل الينا ساعة بعد ساعة ، آذاننا صاغية الى اجهزة « الراديو » تتنسم خبرا يفرح ..

لكن ما هذا ؟ جسر جوي بين الولايات المتحدة واسرائيل يعوضها عن كل سلاح تخسره ، ويمنحها من القدرة ما تذل بـه رؤوسنا ! ومتطوعون من شتى العواصم يقول عنهم مراسل صحيفة انجليزية :

لقد ولوا وجوههم شطر اسرائيل بالروح التي كانت تدفع الرجال قديما الى الاشتراك في الحروب الصليبية !!

اما لهذا الغلّ من آخر ؟!

وقال صديق مغربي خبير بعلل القوم : انهم يقاتلون العرب لانهم مسلمون .

وقلت : ان القتال الآن قومي لا ديني .. لكن ، ما دام العرب عربا ، وما دام القرآن اهم كتاب في لسانهم ، وما داموا قد انبعثوا به قديما فيجوز ان ينبعثوا به حديثا ، اذن لا بد من ابادتهم واحلال جنس آخر محلهم !

هذا ما انتهى اليه الضمير الديني صاحب شعار « الله محبة » !!

---

(١) ستری ان هذه الثلاثة تخفي وراءها حقائق دينية لا يمكن [illegible] مع الاعداء .

والى جانب هذه المؤازرة الخسيسة كنت اسمع ان « الروس » اقاموا جسرا مقابلا ، وانهم سوف يضعون في يد العرب مـــا يردون بـــه العدوان ويسترجعون به الارض ويغسلون به العار !

انني اكره الالحاد والملحدين ، بيد اني وجدت نفسي أمام موقف فاتن ، انني فقير الى هذا السلاح ! وعسى ن يسعفني ويتماسك في يدي . سآخـذه مقبورا اليد التي اسدته ، سآخذه لاكسر بـه شوكـة المتدين الذين افقدهم الحقد كل اثارة من عدل وعقل .

وسادفع ثمنه ولـو كان مضاعفا وساذكـر الجميـل فأعاون الشعب الروسي على ضرب الاستعمار الغربي يوم يتحرك هـــذا الاستعمار بغرائز الشرسة ويحاول الاساءة الى الشعوب الاخرى ...

على ان مشكلتي الحقيقية مـع سماسرة الغـــزو الثقافي في بلادنـا ، وضحاياه الذين نسوا الاسلام او تناسوه .

المشكلة مع الجيل المهجن الذي ورث الاسلام اسمـاء واشكالا فارغـة ورفضه :

- **تربية معينة ، ...**
- **وقوانين محددة ، ...**
- **وقيما مضبوطة ، ...**
- **واهدافا ثابتة ، ...**

هؤلاء المتعاقلون العجزة هم من وراء كل المحن التـي لحقتنا ، ولقـد امتلكوا ناصية التوجيه المادي والادبي في سراء الامة وضرائها ، فلم تجن الامة منهم الا الشتات والآلام ...

ماذا يريد هؤلاء ؟ انهم يعالنون بعـدم العودة الـــى الكتاب والسنة ، ويبشرون بحكم مدني يخسر الاسلام فيه اصوله وفروعه ، وتظفر فيه نزعات الالحاد او الشرك بكل المغانم ...

وسوف يقرءون هذا الكتاب ويتميزون غيظا لما جاء بـه مـن حقائـق كانوا يودون كتمانها ، وحوار لا يحبون ان يدور ..

ونريد ان نقول لهؤلاء : انكم غرباء على امتنـا ودينها وتاريخها .. أن أمتنا يوم تملك البت في امورها فستختفون فورا من جوها ..

والى ان تملك الامة امرها ايسكت رجال الاسلام عن قول الحق ورفض الافك ؟! كلا ، ان الله اخذ الميثاق على حملة الوحي ان يعالنوا به ، ويكشفوا للناس حقائقه ، واكد عليهم ذلك في قوله :

« لتبيننه للناس ولا تكتمونه » (١) ..

---

(١) آل عمران : ١٨٧ .

فما بد من البيان وعدم الكتمان

واعلم ان ذلك قد يعرض لمتاعب جسام ، ولكني أقول ما قاله صديقنا « عمر بهاء الدين الاميري » :

الهول في دربي وفي هدفي

واظل امضي غير مضطرب

ما كنت من نفسي على خور

او كنت من ربي على ريب

ما في المنايا ما احاذره

الله ملء القصد والارب

« ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » ١ .

« ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ، ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم » ٢ .

محمد الغزالي

---

(١) آل عمران : ١٤٧ .

(٢) الممتحنة : ٤ ، ٥ .

شعرت بحاجة الى ان امسح عيوني وانظم رموشها ، ثم نظرت الى اصابعي بعد ذلك فوجدت بينها بضعة اهداب عالقة ، نفختها فطارت الى حيث لا ادري .

وما لبثت ان تساءلت : اين وقعت ؟ وكان الجواب : على الارض حيث تفنى . . .

ولكن المعاني تداعت : وما يدريك انها ستأخذ دورة اخرى في الحياة فتكون سماداً لحبوب متراصة في سنبلة قمح او كوز ذرة ؟

ولم تقف عند ذلك : لعلها تعود الى كيان آخر لانسان مثلي !

ترى ماذا ستكون في هذا الكيان الجديد ؟!

. . . رموشا تظلل العين كما كانت عندي ، او عنصرا آخر في عظمة وفحمة ؟

وزادت المعاني تداعيا : من الذي يشرف عليها في هذه الرحلة .

انه ليس اشراف علم ورقابة . انه اشراف كينونة وتغيير وتنقيل من اعلى لأدنى او من ادنى لاعلى . . . ؟

● **وزادت المعاني تداعيا** : ان هذه الملاحقة الماسة لا تعنيني وحدي . . اننا ـ ابناء آدم ـ نبلغ قرابة اربعة آلاف مليون على ظهر هذه الكرة الطائرة، والخلاق العليم وراء كل قطرة دم تتدفق في العروق ، ومن وراء كل شعرة تنبت في الجلود والرؤوس والجفون ، من وراء كل زفير او شهيق تعلو به الصدور وتهبط . . !!

ذاك في كياننا المادي ، اما في كياننا المعنوي فقد تصورت هذا الاشراف الاعلى على هواجس الفكر في الادمغة ، ادمغة الخلق في كل قارة ، في كل شبر معمور ، وعلى كل تيارات الحس المختلفة من حزن وسرور ، من يأس او رجاء ، من نشاط او استرخاء . . .

عجبا أهو اشراف رقابة من بعيد ؟ كلا انه اشراف ملابس متغلغل من واهب الحياة ومسير الاحياء في البر والبحر .

● **وزادت المعاني تداعيا** : لكن هذه الارض ليست حكرا لنا وحدنا . ان اصنافا اخرى من الخلائق تعيش فوقها زاحفة او طائرة لها ارزاقها ومساربها ، ومستقرها ومستودعها ، ويقظتها ومنامها .

.. والعناية المحيطة تمد اجنحتها لتشمل ما نرى وما لا نرى من ذلك كله ، ثم ما عالم الجماد في هذه الكرة المعلقة الطائرة في جو السماء ؟

ان اغلب سطحها ماء مشحون بعوالم اخرى ! ومن تحت الماء وحوله يابسة تختفي في قشرتها معادن خسيسة وكريمة .. !!

ترى بالضبط اين البترول الذي ينقبون عنه ولا يهتدون اليه ؟ واين الذهب الذي تهيج له اعصاب ، وتتحلب له افواه ؟ ان الله وحده هو الذي يدري ..

وتحت القشرة الباردة وما ضمت من رطب ويابس توجد نار مستعرة، وباطن ملتهب ، ما هذا كله ؟

وعدت الى نفسي وانا في هذه الجولة الفكرية لاتساءل : **ثم ما نحن في هذا العالم الكبير ؟**

وسمعت الاجابة على هذا السؤال من رائد الفضاء الامريكي الذي يقول :

« ... عندما وقع علي الاختيار لبرنامج الفضاء كان بين اوائل الاشياء التي اعطيت لي كتيب صغير يحوي الكثير من المعلومات عن الفضاء ، وكان بين محتوياته فقرتان تتعلقان بضخامة الكون اثرتا في تأثيرا بالغا .

« ولكي ندرك هاتين الفقرتين يجب ان نعرف اولا **ما هي السنة الضوئية** : ان الضوء يسير بسرعة تبلغ ٣٠٠ الف كيلو متر في الثانية ـ اي ما يعادل الدوران حول الارض حوالي سبع مرات في الثانية ـ فاذا أطلقت هذا الشعاع من الضوء وجعلته يستمر لمدة عام فان المسافة التي يقطعها ـ وتبلغ حوالي ٩٫٥ مليون مليون كيلو متر ـ هي السنة الضوئية !

واني اقتبس هنا ما ورد في الكتيب عن حجم الكون الذي نعيش فيه :

« عندما نذكر ان المجرة التي تضم كوكبنا يبلغ قطرها حوالي ١٠٠ ألف سنة ضوئية نشعر بدهشة .

« ولما كانت الشمس نجما لا يعتد به يقع على مسافة حوالي ٣٠ الف سنة ضوئية من مركز المجرة ، ويدور في مدار خاص به كل ٢٠٠ مليون سنة اثناء دوران المجرة فاننا ندرك مدى متعوية للقياس الهائل للكون الواقع وراء المجموعة الشمسية .

« بل ان الفضاء الذي يقع بين النجوم في مجرتنا ليس نهاية هذا الكون ، فوراءه ملايين من المجرات الاخرى تندفع جميعا فيما يبدو متباعدة

عن بعضها البعض سرعات خيالية - وتمتد حدود الكون المرئي بالمجهر مسافة ۲۰۰۰ مليون سنة ضوئية على الاقل في كل اتجاه .

« ان هذا الوصف يظهر مدى ضخامة الكون الذي نعيش فيه .

... ولنعد الآن الى ما نعرفه عن تكوين الذرة وهي أصغر جسم حتى الآن فنجد ان هناك تشابها كبيرا بين الذرة ومجموعتنا الشمسية في الكون .

« ذلك ان هذه الذرات لها الكترونات تدور حول النواة بصور منتظمة كدوران الاسرة الشمسية حول أمها الشمس » .

« والآن ماذا أريد ان اقول ؟ أريد التحدث عن نظام الكون بأسره من حولنا .

« من أصغر تكوين ذري الى اضخم شيء يمكن تصوره .. مجرات تبعد ملايين السنين الضوئية ، كلها يسير في مدارات مرسومة محددة تضبط علاقة كل منها بالاخرى . فهل يمكن أن يكون ذلك كله قد حدث اتفاقا ؟

« أكانت مصادفة ان حزمة من نفايات الغازات الطافية بدات فجاة في صنع هذه المدارات وفقا لاتفاقها الخاص ؟

« انني لا استطيع تصديق ذلك .. بل ان ذلك مستحيل ، والمؤكد ان ذلك تم وفق خطة مرسومة محددة .. وهذا واحد من الاشياء الكثيرة في الفضاء التي تبين لي ان هناك الها ، وان قوة ما قد وضعت كل هذه الاشياء في مدارات وابقتها هناك تؤدي وظيفتها المتيدة ..

« ولنقارن السرعة في مشروعنا « عطارد » مع بعض هذه الاشياء التي نتحدث عنها :

« اننا نظن أحيانا أن المشروع على ما يرام ، فقد بلغنا سرعة تصل الى حوالي ۲۹ الف كيلو متر في الساعة في الدوران حول الارض — اي حوالي ۸ كيلو مترات في الثانية — وهي سرعة كبيرة حقا بالنسبة لمقاييسنا الارضية، كما انها سرعة مرتفعة الى حد مناسب ونحن على ارتفاع يزيد قليلا على ١٦٠ كيلو متر .

أما بالنسبة لما يجري فعلا في الفضاء فان مجهوداتنا هذه تعد ضئيلة جدا » اهـ .

وصدق رائد الفضاء في كلمته تلك ، فان ما يصل اليه الانسان بجهده وفكره شيء محدود القيمة بالنسبة الى ما يقع في العالم حوله ، واذكر أنني تجولت في مصانع السكر ، ورأيت الانابيب الطافحة بالعصير ، والافران المليئة بالوقود ، والآلات التي تغطي مساحة شاسعة من الارض ، لقد قلبت البصر هنا وهنالك ثم قلت : **سبحان الله ! ان بطن نحلة صغيرة يؤدي هذه الوظيفة .. وظيفة صنع السكر دون كل تلك الاجهزة الدوّارة والضجيج العالي !**

وخيل الي ان المخترعات البشرية لا تعدو ان تكون اشارة ذكية الى ما

يتم في الكون بالفعل من عجائب دون وسائط معقدة وادوات كثيرة .

ولو ان البشر ارادوا بناء مصنع للف الحبات النضيدة في سنبلة قمح بانقشرة التي تحفظ لبابها لاحتاج الامر الى حجرة كبيرة تحت كل عود !

لكن ذلك يحدث في الطبيعة في صمت وتواضع !

والمقارنة التي عقدناها هنا تجاوزنا فيها كثيرا فان الانسان المخترع هو بعض ما صنع الخالق ، والمواهب الخصبة فيه بعض ما أفاء الله عليه ..

وكانما اراد الله الجليل ان يعرف ذاته وعظمته للانسان الذي انشاه فهداه الى بعض المخترعات ليدرك مما بذل فيها كيف **ان الكون مشحون بما يشهد للخالق بالاقتدار والمجد .**

... ان ميلاد برتقالة على شجرة اروع من ميلاد « سيارة » من مصنع سيارات يحتل ميلا مربعا من سطح الارض . ولكن الناس الفوا ان ينظروا ببرود او غباء الى البدائع لانها من صنع الله ، ولو باشروا هم انفسهم ذرة من ذلك ما انقطع لهم ادعاء ولا ضجيج ..

انني عرفت الله بالنظر الواعي الى نفسي والى ما يحيط بي ، وخامرني شعور بجلاله وعلوه وانا اتابع سننه في الحياة والاحياء .

وبدا لي ان استمع الى ربي في الوحي الذي انزله .. اذ لا بد ان يكون هذا الوحي حديثا ناضجا بما ينبغي له من اعزاز وحمد !

كان أقرب وحي الي هو القرآن الكريم لانني مسلم ، فلما تلوته وجدت التطابق مبينا بين عظمة الله في قوله ، وعظمته في عمله .

سمعته يقول :

- « **الله** خالق كل شيء ، وهو على كل شيء وكيل ، له مقاليد السموات والارض .. » (الزمر : ٦٢ ، ٦٣)
- « **الله** يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد ، وكل شيء عنده بمقدار ، عالم الغيب والشهادة ، الكبير المتعال .. » (الرعد : ٨ ، ٩)
- « **الله** الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا . » (غافر : ٦١)
- « **الله** الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم » (غافر : ٦٤)
- « بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ، وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ، ذلكم الله ربكم ، لا اله الا هو خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ، لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ، وهو اللطيف لخبير » (١) .

---

(١) الانعام : ١٠١ ، ١٠٢ .

وآيات أخرى كثيرة كثيره ، كلها شواهد على ان ما وقر في نفسي عن الله بطريق العقل قد ايده النقل تأييدا مطلقا ، وجعلني استريح الى الاسلام فكرا وضميرا .

ومع ذلك فان حب الاستطلاع دفعني الى ان اطالع ما بأيدي الآخرين من كتب منسوبة الى السماء ، وقلت : ربما اضافت جديدا الى ما عندي .

.. ومددت يدي الى « الكتاب المقدس » وشرعت اقرأ بدء الخلق ، وقصة الحياة كما رواها العهد القديم ..

ولست احب التجني والاثارة ، انني سوف اذكر ما لدي من مقررات عقلية ايدتها النقول الاسلامية ، ثم اضع بين يدي الناس وجهة نظر « العهد القديم » في هذه القضايا مكتفيا بنقل نصوص معروفة لدى اصحابها ويستطيع كل امرىء ان يقراها في مظانها .

هل يمكن ان يتعب الله ، وان يأخذه الاعياء بعد عمل ما ؟

القرآن الكريم يجيب على هذا السؤال : « أولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى ؟ بلى انه على كل شيء قدير » ١

ومن البدائه ان يكون الخلاق الكبير فوق الاجهاد . وذهاب القوة : « وسع كرسيه السموات والارض ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم » ٢

ولذلك يقول مثبتا هذه الحقيقة « ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب » ٣ .

لكن العهد القديم يذهب غير المذهب ، ويصف الله فيقول :

« وفرغ الله في اليوم السادس من عمله فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل ، وبارك الله اليوم السابع وقدسه ، لانه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقا » ٤ .

ودعك من الركاكة التي صيغت بها هذه العبارات ، فقد يكون المترجم هابط الاسلوب في التعبير عن معنى ما ، لكنك لا تستطيع ان تفهم معنى آخر من هذا الكلام ، الا ان الله « استراح » من جميع اعماله في اليوم السابع ، هذه الاعمال التي اداها بوصفه خالقا .

واليهود يحرمون العمل يوم السبت ، ويقدسونه ، وجاء في التوراة ان موسى امر بأن يقتل رجما احد الحطابين الذين ابوا الا الكدح في هذا اليوم !

كيف جرى الحديث عن الله بهذه الكلمات ؟ لعلها غلطة ناقل ، لكن

---

(١) الاحقاف : ٣٣ .

(٢) البقرة : ٢٥٥ .

(٣) ق : ٣٨ .

(٤) سفر التكوين : الاصحاح الثاني .

الحديث عن عجز الله تبعه حدث آخر عن جهله !!

واسمع الى وصف العهد القديم لآدم وزوجه بعدما اكلا من الشجره

« وسمعا صوت الرب الاله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار ، فاختبأ آدم وامراته من وجه الرب الاله في وسط شجر الجنة ، فنادى الرب الاله آدم وقال له : اين انت ؟ فقال : سمعت صوتك في الجنة فخشيت لاني عريان فاختبأت .

فقال : من اعلمك انك عريان ، هل اكلت من الشجرة التي اوصيتك ان لا تأكل منها ؟.. » ١

ما هذا ؟ كان الاله يتمشى في الجنة خالي البال مما حدث ، ثم تكشفت له الامور شيئا فشيئا فعرف ان آدم خالف عهده ، واكل من الشجرة المحرمة !

تصوير ساذج يبدو فيه رب العالمين وكأنه فلاح وقع في حقله ما لم ينتظر !

ما أبعد الشقة بين هذا التصوير وبين وصف الله لنفسه في القرآن العظيم : « ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن اقرب اليه من حبل الوريد » ٢ « وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه » ٣

وقد اعقب هذا « الجهل الالهي » قلق غريب ، فان الله يبدو وكان ملكه مهدد بهذا التمرد الآدمي .

لقد اكل آدم من الشجرة ــ شجرة المعرفة ــ وارتفع بهذا العصيان الى مصاف الآلهة فقد ادرك الخير والشر ، وكان الرب عندما خلقه حريصا على بقائه جاهلا بهما .

ومن يدري ربما ازداد تمرده واكل من شجرة الخلد وظفر بالخلود ، انه عندئذ سوف ينازع الله حقه ، اذن فليطرد قبل استفحال امره .

جاء في العهد القديم :

« وقال الرب الاله : هوذا الانسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر ، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة ايضا ، ويأكل ويحيا الى الابد ، فاخرجه الرب الاله من جنة عدن ليعمل الارض التي اخذ منها ، وطرد الانسان واقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة

---

(١) سفر التكوين : الاصحاح الثالث .

(٢) ق : ١٦ . **(٣) يونس : ٦١ .**

طريق شجرة الحياة » [1] .

لكن سيرة آدم وابنائه على ظهر الارض لم تكن مرضية لله . ان منهجه في الحياة ضل بالآثام والمتاعب ، ولم يكن الله حين خلقه يعرف انه سيكون شريرا الى هذا الحد ، لقد فوجيء بما وقع ، ومن اجل ذلك حزن الرب وتأسف في قلبه أن خلق آدم وابناء آدم .. قال العهد القديم :

« فحزن الرب انه عمل الانسان ، وان كل تصوّر افكار قلبه انما هو شرير كل يوم ، فحزن الرب انه عمل الانسان في الارض وتأسف في قلبه ، فقال الرب : امحو عن وجه الارض الانسان الذي خلقته ، ... الانسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء ، لاني حزنت اني عملتهم .. » [2]

الحق انني أدهش كل الدهشة للطفولة الغريرة التي تنضح من هذا الحديث الخرافي عن الله جلّ جلاله .

ان الاله في هذه السياقات الصبيانية كائن قاصر .. متقلب .. ضعيف

وما اشك في ان مؤلف هذه السطور كان سجين تصورات وثنية عن حقيقة الالوهية وما ينبغي لها ..

واول ما نستبعده حين نقرأ هذه العبارات ان تكون وحيا ، او شبه وحي ..

ومع ذلك فان اليهود والنصارى يقدسون ذلك الكلام ، ويقول احد القساوسة : « الكتاب المقدس ـ يعني العهدين معا ـ هو صوت الجالس على العرش ، كل سفر من اسفاره او اصحاح من اصحاحاته او آية من آياته هو حديث نطق به الكائن الاعلى ! » .

والمرء لا يسعه الا ان يستغرق في الضحك وهو يسمع هذا الكلام ! انه اله ابله هذا الذي ينزل وحيا يصف فيه نفسه بالجهل والضعف والطيش والندم .

ونحن المسلمين نعتقد ان الكتاب النازل على موسى بريء من هذا اللغو، **اما التوراة الحالية فهي تاليف بشري سيطرت عليه امور ثلاثة :**

- **الاول : وصف الله بما لا ينبغي ان يوصف به ، واسقاط صور ذهنية معتلة على ذاته ((سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا)) .**
- **الثاني : ابراز بني اسرائيل وكانهم محور العالم ، واكسير الحياة ، وغاية الوجود .. فهم الشعب المختار للسيادة والقيادة لا يجوز ان ينازعوا في ذلك .**
- **الثالث : تحقير الامم الاخرى ، وارخاص حقوقها ، والحاق اشنع الاوصاف بها وبانبيائها وقادتها .**

وقد تتخلل هذه الامور بقايا من الوحي الصادق ، والتوجيهات المبراة ،

---

(1) التكوين : الاصحاح الثالث . (2) التكوين : الاصحاح السادس .

بيد ان الاسفار الشائعة الآن تغلب عليها الصبغة التي لاحظناها

وها نحن اولاء نسوق الادلة على ما قلنا مكتفين بالشواهد من سفر التكوين وحده ، لان الانتقال الى غيره يطيل حبل الحديث .

في هذا السفر اعلن الله ندمه على اغراق الارض بالطوفان .

وقال لنوح : لن ارتكب هذه الفعلة مرة اخرى ! وساضع علامة تذكرني بذلك حتى لا اعاود اهلاك الحياة والاحياء ، وهاك النص :

« وكلم الله نوحاً وبنيه معه قائلا : ... اقيم ميثاقي معكم فلا ينقرض كل ذي جسد ايضا بمياه الطوفان ، ولا يكون ايضا طوفان ليخرب الارض ، وقال الله : هذه علامة الميثاق الذي انا واضعه بيني وبينكم وبين كل ذوات الأنفس الحية التي معكم الى اجيال الدهر ، وضعت قوسي في السحاب فتكون علامة ميثاق بيني وبين الارض ، فيكون متى انشر سحابا على الارض وتظهر القوس في السحاب .. فمتى كان القوس في السحاب أبصرها لاذكر ميثاقا ابديا بين الله وبين كل نفس حية في كل جسد على الارض .. » (1)

هذا هو التفسير لقوس قزح ، وتحلل اللون الابيض الى عناصره المعروفة بالوان الطيف ، كما شرح ذلك علماء الطبيعة .. قوس قزح هي قوس الله يبرزها في الافق اشارة الى العهد الذي اخذه على نفسه كي لا يغرق الارض مرة اخرى ، انه يرى هذه القوس فيتذكر ، حتى لا يتورط في طوفان آخر !!

ورايي ان الطوفان القديم كان عقوبة لقوم نوح وحدهم ، وانه ليس غرقا استوعب سكان القارات الخمس . فما ذنب هؤلاء المساكين ونوح رسالته محلية لا عالمية ، اللهم الا اذا كان المعمور يومئذ من هذا الكوكب ديار نوح وحسب .

وأيا ما كان الامر فان وصف الله بالضيق لما ارتكب من اغراق الارض ، وتعهده الا يفعل ذلك ، امر يليق بالخلق لا بالخالق ... بالناس لا برب الناس .

على ان هذه القصة أيسر من دعوة الله الى ضيافة نبيه ابراهيم ، لقد قدم الله في شكل رجل مع اثنين من ملائكته ، واقام لهم ابراهيم وليمة دسمة ، فاكلوا منها جميعا !!

وكان ابراهيم حريصا على احراز هذا الشرف ، شرف ان ياكل الله في بيته ، فلما لبى الله الدعوة اسرع الرجل الكريم في اعداد مائدة مناسبة ! وهاك القصة كما رواها سفر التكوين :

« وظهر له الرب .. ونظر واذا ثلاثة رجال .. وقال : يا سيد (يقصد الله) ان كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك .. فاسرع ابراهيم

---

(1) الاصحاح التاسع من سفر التكوين .

الى الخيمة الى سارة وقال : اعجني واصنعي خبز ملة ، ثم ركض ابراهيم الى البقر واخذ عجلا رخصا وجيدا واعطاه للغلام فاسرع ليعمله ثم اخذ زبدا ولبنا والعجل الذي عمله ووضعها قدامهم واذا كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة اكلوا . وقالوا له : ... ويكون لسارة امراتك ابن .. فضحكت سارة في باطنها قائلة : بعد فنائي يكون لي تنعم وسيدي قد شاخ ! فقال الرب لابراهيم : لماذا ضحكت سارة ..؟ هل يستحيل على الرب شيء ؟ »[1]

وتتجاوز هذه المائدة الدسمة التي اكل منها الرب وملائكته ، لنقف بازاء قصة اخرى من اغرب وافجر ما اختلق الروائيون !!

القصة الجديدة تحكي مصارعة بين « الله » وعبده « يعقوب » !

.. وهذه المصارعة دامت ليلا طويلا ، وكاد يعقوب يفوز فيها لولا ان الطرف الآخر في المصارعة ــ وهو الله !! ــ لجأ الى حيلة غير رياضية هزم بعدها يعقوب !

ومع ذلك فان يعقوب تشبث بالله وأبى أن يطلقه حتى نال منه لقب « اسرائيل » !!

ومنحه الله هذا « **اللقب الفخري** » ثم تركه ليصعد الى العرش ويدبر امر السماء والارض ، بعد تلك المصارعة الرهيبة !!

اي سخف هذا ، واي هزل ؟؟

اي عقل مريض اوحى بهذا القصص السفيه ؟؟

ولكن اليهود يريدون ان يرفعوا مكانة جدهم الاعلى ولا عليهم ان يختلقوا ما يستغربه الخيال ، وهاك القصة بأحرفها من سفر التكوين :

فبقي يعقوب وحده وصارعه انسان حتى طلوع الفجر ، ولما راى انه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه ، وقال : اطلقني !.. فقال : لا اطلقك ان لم تباركني ! فقال له : ما اسمك ؟ فقال : يعقوب ، فقال : لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل اسرائيل .. وسأل يعقوب وقال : اخبرني باسمك فقال : لماذا تسأل عن اسمي ؟ وباركه هناك . فدعا يعقوب اسم المكان « فنيئيل » قائلا : لانني نظرت الله وجها لوجه ونجيت نفسي ... لذلك لا يأكل بنو اسرائيل « عرق النسا » الذي على حق الفخذ الى هذا اليوم لانه (الله) ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النساء !! »[2]

.. نعم تخليدا لذكرى هذه المصارعة نشأ حكم فقهي بتحريم العمل يوم الراحة الالهية .

وكم يفخر اليهود اذ كان ابوهم بهذه المثابة من القوة التي عاجزت

---

(1) الاصحاح الثامن عشر من سفر التكوين .

(2) سفر التكوين الاصحاح : ٣٢ .

الاله ، وكادت توقع به الهزيمة !!

وهنا ننتقل الى « الامر الثاني » في دعاء التوراة وهو

- **افراد بني اسرئيل بالنسب العريق ، والطلاقة الفذة على حساب غيرهم من الامم .**

... اليهود يكرهون العرب كما يكرهون غيرهم من الاجناس الاخرى فيجب ان تعتمد هذه الكراهية على اساس ديني يصبح العرب بعده ملعونين في الارض والسماء ..

فكيف يتوصلون الى هذا الغرض ؟

انهم يثبتون قصة طريفة يزعمون فيها ان نوحا نبي الله والمدافع الاول عن دينه والناجي بأهله من الطوفان الطام العام ، هذا النبي سكر من كثرة ما افرط في شرب الخمر ثم استلقى على الارض كاشفا سواته ، وأن احد ابنائه رآه كذلك فضحك منه وشهر به .

فلما افاق نوح من سكرته ، وعلم بما وقع ، لم يخجل من نفسه وتبذله ، بل استنزل لعنة الله على من سخر منه ، وهاك النص :

« وشرب (يعني نوح) من الخمر فسكر وتعرّى في خبائه ، فابصر « حام » ابو كنعان عورة ابيه ، واخبر اخويه خارجا ، فأخذ « سام » و « يافث » الرداء ووضعاه على اكتافهما ومشيا الى الوراء ، وسترا عورة ابيهما ، فلما استيقظ « نوح » من خمره علم ما فعل ابنه الصغير ، فقال : ملعون « كنعان » ، عبد العبيد يكون لاخوته ، وقال : مبارك الرب اله « سام » ، وليكن كنعان عبدا لهم ، ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام وليكن « كنعان » عبدا لهم ... » [1]

يقول « عصام الدين ناصف » : ومعنى ما تقدم ان الاسرائيليين الساميين يريدون ان يتخذوا الكنعانيين عبيدا لهم ، وقد كان العدل والمنطق يقتضيان ذلك النبي الجليل الا يصب تلك اللعنة الحامية على حفيده البرىء « كنعان » بل يصبها على ابنه الخاطىء « حام » ، وانى له ذلك والكنعانيون هم المقصودون بأعيانهم لانهم اصحاب فلسطين التي لبث الاسرائيليون دهورا يحلمون بها ويتوقون الى غشيان مروجها الزاهرة وجني زروعها الناضرة » .

اي ان مؤلف التوراة مهتم بتزكية بني اسرائيل على حساب تجريح غيرهم ، ومن ثم استنزل اللعنة على كنعان ، حتى تبقى الشعوب المنسوبة اليه في منزلة [illegible] ية .

[illegible] اللعنة تذهب فيه كرامة نبي ومكانته .

ولا بأس من اختلاق سبب [illegible]

اذن فليشرب نوح الخمر حتى يفقد وعيه ويكشف عورته .

ثم ليدع على حفيده بما دعا به . والحفيد المسكين لا جريرة له .

---

(1) تكوين : اصحاح : ٩ .

المهم ان الكنعانيين اصبحوا جنسا ملعونا لان دعــوة « السكران » مستجابة !! .

وكما راى كاتب التوراه ان يسكر نوحا ليصل الى هذه النتيجة ، راى ان يسكر لوطا ليصل الى نتيجة مشابهة .

ان تلويث الانبياء شيء سهل على من هو"نوا الالوهية نفسها ، ولكـن مزور العهد القديم هنا بلغ من الاسفاف دركا سحيقا ، فهـو لم يكتف بـان جعل لوطا سكيرا بل جعله عاهرا .

وبمن يزني ؟ بابنتيه : احداهما بعـد الاخرى ، في ليلتين حمراويـن ، وهاك النص :،

« ... فسكن ــ يعني لوط ــ في المغارة هـو وابنتاه . وقالت البكـر للصغيرة : ابونا قد شاخ ، وليس على الارض رجل ليدخل علينا كعادة كـل الارض ! هلم نسقي ابانا خمرا ونضطجـع معـه . فنحيي مـن ابينا نسلا !! فسقتا اباهما خمرا في تلك الليلة ، ودخلت البكر واضطجعت مع ابيها ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ، وحدث في الغد ان البكر قالت للصغيرة : انـي قد اضطجعت مع ابي . نسقيه خمرا الليلة ايضا فادخلي اضطجعي معــه . وقامت الصغيرة واضطجعت معه ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ، فحبلت ابنتا لوط من ابيهما ، فولدت البكر ابنا ، ودعت اسمه « موآب » وهو ابـو الموآبيين الى اليوم . » [1]

يقول عصام الدين حفني ناصف : « وهذا هو مربط الفرس » لقد عرف شعبا موآب وبني عمون بصلابة الراس ، وصعوبة المراس .

وما انفكا منذ القدم ينصبان لحرب بنـي اسرائيل ويدحرانهم وينزلان بهم اكبر الخسائر .

فوجب على كتاب التوراة ان يتلقحـوا [2] عليهما ويطلقـوا السنتهم في اعراضهما ويلصقوا بهما اقبح المثالب » ...

وفي سبيل ذلك لا حرج على اليهود ان يسيئوا الـى نبـي كريم ، وان ينسبوا اليه والى ابنتيه ما يتورع عنه الحشاشون والرعاع .

المهم عندهم ان يجرحـوا اعـداءهم ، وان يسقطــوا انسابهم ، وان يعتمدوا في ذلك على وحي سماوي معصوم ، لا يجرؤ على تكذيبه احد !!

« وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب ومـا هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله ، وما هو من عنـد الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » . [3]

يقول عصام الدين حفني ناصف : « وصفوة القول ان كتاب التوراة لم

---

(١) تكوين : اصحاح ١٩ .

(٢) اي يرمون الناس بالباطل . (٣) آل عمران : ٧٨ .

يدونوا هذه القصص المسلسلة اعتباطا ، بل انهم ابتدعوها ورتبوهـا ليصلوا بها الى غاية لهم وضعوها نصب اعينهم ، هي ان الله خلـق الكون مـن اجل الارض ، وخلق الارض من اجل بني آدم ، وانه ابـاد بني آدم وقطع دابرهم ما عدا نوحا وبني نوح ، واستبقى هؤلاء ليختار من بينهم ساما ثم يختار من حفدته اسرائيل وبني اسرائيل .

ولقد آمن بنو اسرائيل بهذه الخزعبـلات ، وانتفخت اوداجهم غرورا وتبجحا فتوهموا انهم شعب مقدس .

جاء في سفر التثنية هذا النص : «لانك انت شعب مقدس للرب الهك ، اياك قد اختار الرب الهك ، لتكون له شعبا اخص من جميع الشعوب الذين على وجه الارض » ١ .

وهذا الاعتداد القوي بالجنس والنسب هـون عند اليهود كثيرا مـن القيم والفضائل ، فان طمأنينتهم الى شرف الارومة ، ونبل الجرثومة جعلهم لا يبالون شيئا عندما يقولون او يفعلون ، فهم ــ على أية حال ــ « الاسباط » اولاد الانبياء ، وجلية الدنيا !!

ولا باس عندهم من اقتراف الدنايا ، او اقترائها مـا دام ذلـك يحقق ما يشتهون . والغاية تبرر الوسيلة .

ولقد نظرت الى قصصهم عـن زيـارة ابراهيم الخليـل لمصر فرايتهم بسهولة يصفون الرجل الكبير بأنه ديوث ! ، وفي سبيل حرصه عـلى الحياة والمنافع الدنيئة يقدم امراته الى من يملكون النفع والضر ..

والتحقت زوجة ابراهيم ببيت فرعون الذي اهداه في نظير ذلـك بعض الغنم والحمير !!

فبحكم الله « ان ابراهيم كان أمة » ٢ كان انسانا يساوي الالوف مـن الرجال ، وفي سبيل الله حارب الوثنيـة وحطم الاصنام وتعرض لنـيران الجحيم ، وربى جيلا من الموحدين الحراص على مرضاة الله .

فهل هذا الرجل هو الذي يغري امراته بالذهاب الى بيت فرعون مـن اجل الظفر بزريبة غاصة بالغنم والحمير ؟ لكن كاتب التوراة لم يـر في ذلـك حرجا ، وهاك النص :

« .. وحدث لما قرب ــ اي ابرام ــ الى مصر انه قال لساراي امراته : اني قد علمت انك امراة حسنة المنظر ، فيكـون اذا رآك المصريون انهـم يقولون : هذه مراته ، فيقتلونني ويستبقونك . قولي انـك اختي ليكون لـي خير بسـببك وتحيا نفسي من اجلك .

---

(١) تثنية : ٧ : ٦ .

(٢) النحل : ١٢٠ .

محدث لما دخل ابرام الى مصر ان المصريين راوا المراة انها حسنة جدا ، وراها رؤساء فرعون ، ومدحوها لدى فرعون ، فاخذت المراة الى بيت فرعون ، فصنع الى ابرام خيرا بسببها ، وصار له غنم ، وبقر وحمير وعبيد واماء واتن وجمال ، فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة .. فدعا فرعون ابرام وقال : ما هذا الذي صنعت بي، لماذا لم تخبرني انها امراتك؟.. خذها واذهب . » [1]

ولنتجاوز هذه القصة الهابطة الى قصة اخرى عن يعقوب نفسه الاب المباشر لليهود ، والذي اخذ لقب اسرائيل بعد معركة حامية مع الله نفعه ظلت ليلا طويلا والذي سمى اليهود دولتهم القائمة على انقاض العرب باسمه .

ان هذا النبي عندنا نحن المسلمين انسان جليل نبيل ، شارك اباه في الدعوة الى الله ، ونبذ الوثنية ورفع علم التوحيد واقامة الملة السمحة « ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وانتم مسلمون » .

لكنه عند اليهود شخص محتال ، سرق النبوة من اخيه البكر بطريقة منحطة .

ويظهر ان الفكر اليهودي يحسب النبوة ميراثا دنيويا يمكن الاستيلاء عليه بالشطارة والمهارة ، وليست هبة عليا يمنحها رب العالمين من يصطفيهم من اهل الطهارة والنضارة .

وكان اليهود يخصون الابن البكر بالتركة كلها مادية كانت او ادبية وعلى هذا كان « عيسو » الابن الاكبر لاسحاق هو الذي سيرث اللقب والمال ـ مثلما كان يحكم القانون الانجليزي ـ ولكن ام يعقوب تفاهمت مع ولدها على غير هذا ، وانتهزت ان « عيسو » خرج ليحضر الطعام الى ابيه المكفوف ثم نفذت خطتها ، وهاك التفاصيل كما حكاها سفر « التكوين » ... تفاصيل سرقة نبوة !! :

« .. وكانت رفقة سامعة اذ تكلم اسحاق مع عيسو ابنه ، فذهب عيسو الى البرية كي يصطاد صيداً لياتي به ، واما رفقة فكلمت يعقوب ابنها قائلة اني قد سمعت اباك يكلم عيسو اخاك قائلا : ائتني بصيد واصنع لي اطعمة لآكل واباركك امام الرب قبل وفاتي ، فالان يا ابني اسمع لقولي فيما انا آمرك به : اذهب الى الغنم وخذ لي من هناك جديين جيدين من المعزى فاصنعهما اطعمة لابيك كما يحب ، فتحضرها الى ابيك لياكل حتى يباركك قبل وفاته ، فقال يعقوب لرفقة امه : هوذا عيسو اخي رجل اشعر وانا رجل املس ، ربما يجسني ابي فاكون في عينيه كمتهاون واجلب على نفسي لعنة

---

(1) تكوين : ٢١ .

لا بركة فقالت له أمه : .. اسمع لقولي فقط .. واخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الاكبر الفاخرة التي كانت عندهــا في البيت ، والبست يعقوب ابنهـا الاصغر ، والبست يديه وملاسة عنقه جلود جديي المعزى .. فدخل الى ابيه وقال : يا ابي فقال : ها انذا ، من انت يا بني ؟ فقال يعقوب لابيه : انا عيسو بكرك ، قد فعلت كما كلمتني ، قم اجلس وكل مــن صيدي لكـي تباركني نفسك .. فقال اسحق ليعقوب : تقـدم لاجسك يـا ابني .. اانت هـو ابني عيسو ام لا .. فجسه وقال : الصوت صوت يعقـوب ولكـن اليدين يـدا عيسو .. فباركه .؛ وقال : .. فليعطك الله مـن نـدى السماء ومن دسم الارض .. لتستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل . كـن سيـدا لاخوتك ، وليسجد لك بنو امك ، ليكن لاعنوك ملعونين ومباركوك مباركين . » (1)

وهكذا تمت سرقة رسالة سماوية .

... انا افهم ان تختطف الطائرات في الجو ، وان تغتصب المناصب في الارض ، أما ان يفرض شخص نفسه على الله ، ويعتبر نفسه نبيـا ويحـول رسالة سماوية اليه بطريق التدليس والنصب ، فهذا هو العجب العجـاب ولكنه منطق مؤلفي العهد القديم .

ويظهر ان شريعة الاحتيال اخذت امتدادها في التصرفات التـي نسبها العهد القديم الى يعقوب وابنائه .

وامامي الآن قصة زنا وقعت لابنة « يعقوب » !

وما اكثر قصص الزنا التي تقع في بيـوت الانبياء ، كمـا يفتري هؤلاء الافاكون .

والقصة لفتاة اسمها « دينة » بنت يعقوب عليـه السلام ! مـن احدى زوجاته ، اعجب بها ابن رئيس المدينـــة المجاورة واتصل بهـا ، ثم راى ان يجعل هذه العلاقة مشروعة ، فلاطف الفتاة وقرر الزواج بها وكلم اباه كـي يمضي في اجراءات العقد ...

وذهب رئيس القبيلة يعرض على يعقوب مصاهرته . وتظاهرت الاسرة بقبول المصاهرة ، وكانت شروط الصلح مقبولة ، وطلب ابنـاء يعقـوب مـن اصهارهم الجدد ان يختتنوا حتى يتم الزواج ، وتتسع دائرة العلاقات بـين بني اسرائيل واهل المدينة جميعا .

وفي اليوم الثالث لاجراء الختان بين ذكور المدينة اغـــار اولاد يعقوب عليها وهي آمنة ، فقتلوا الذكور كلهم وسبوا كل الاطفال والنساء ونهبوا مـا وجدوه من ثروات .

ولم يذكر سفر التكوين ان يعقوب علق بشيء على هذه المأساة ، بـل

---

(1) تكوين : ٢٧ .

شمم من السياق أن المؤامرة تمت بموافقته

وهكذا يفعل الانبياء !!

ان مبدأ ((**الغاية تبرر الوسيلة**)) لم يؤخذ من الساسة ((**الزمانيين**)) ..
ان مصدره من هنا . واليك النص

« وخرجت « دينة » ابنة ليئة التي ولدتها ليعقوب .. فرآها شكيم ابن حمور الحوي رئيس الارض واخذها واضطجع معها واذلها ، وتعلقت نفسه بدينة ابنة يعقوب ، واحب الفتاة . ولاطف الفتاة ، فكلم شكيم حمور اباه قائلا خذ لي هذه الصبية زوجة ، وسمع يعقوب انه نجس دينة ابنته .. فسكت حتى جاءوا (ي ابناؤه) [ثم بعد ان عرض عليهم حمور مصاهرتهم] .. فأجاب بنو يعقوب شكيم وحمور اباه بمكر .. ، فقالوا لهما : لا نستطيع ان نفعل هذا الامر : ان نعطي اختنا لرجل اغلف .. ان صرتم مثلنا بختنكم كل ذكر نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم ... واختتن كل ذكر .. فحدث في اليوم الثالث اذ كانوا متوجعين (اي بسبب الختن) ان ابني يعقوب : شمعون ولادي اخوي دينة اخذا كل واحد سيفه واتيا على المدينة بامن وقتلا كل ذكر وقتلا حمور وشكيم بحد السيف .. ونهبوا المدينة ، وسبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل اطفالهم ونساءهم وكل ما في البيوت ... » [1]

أين شرف المعاملة في هذه الروايات المليئة بالفسق وسفك الدم ؟
ولنا ان نسأل :

- كيف ضاع عرض ابنة نبي على هذا النحو الغامض ؟
- واذا كان غلام أثيم قد اغتصبها كرها فلم لم يعاقب وحده ؟
- واذا كان يعقوب وبنوه قد قبلوا اصلاح الخطأ باتمام الزواج فلماذا اغاروا على المدينة ، واستباحوها وازهقوا ارواح الابرياء ، واسترقوا الاطفال والنساء ؟
- هل هذه سيرة انبياء واولاد انبياء ؟ ام سيرة قطاع طرق ؟

لكن مؤلف التوراة وقر في نفسه ان اليهود شعب مختار ، فصور الالوهية والنبوة وعلاقة اليهود بالناس اجمعين على الصورة التي ابرزنا لك ملامحها ، لم نستعن في توضيحها الا بالنصوص الواردة في الكتاب المقدس !!

اكرهت نفسي على قراءة سفر التكوين بأناة ، ثم تملكني الضجر وانا اقرأ الاسفار الاخر فاكتفيت بنظرات عابرة .

ان جمهرة الفلاسفة والعلماء المؤمنين بالله يرفضون كل الرفض ان يوصف بالانحصار والجهالة والتسرع ، كما يرفضون كل الرفض ان يسيء اختياره لسفرائه الى خلقه فلا يقع الا على السكارى والمنحرفين .

---

(1) تكوين : ٣٤ .

بل ان عرب الجاهلية المشركين كانت نظرتهم الـــى خالق الكون ارقى وارحب .

وما اوخذوا به انهم تزلفوا اليه بآلهة ارضية لا اصل لها يحسبون انـــه اكبر او انهم اقل من ان يتصلوا به اتصالا مباشرا .

اما وصف الله او الحديث عنه بالعبارات المدونة في العهـــد القديم فهو خبال في الفكر يتنزه المولى الجليل عنه . .

بيد ان النصارى قبلوا هذه الاسفار على علاتها وجعلوها شطر الكتاب المقدس !

لماذا ؟ . . لانها تخدم قضيتين تقوم عليهما النصرانية الشائعة .

- **الاولى : قضية تجسد الاله ، وامكان ان يتحول رب العالمين الـــى شخص ياكل ويصارع ويجهل ويندم . . الخ .**
- **الثانية : قضية ان البشر جميعا ارباب خطايا واصحاب مفاسد وانهم محتاجون لمن « ينتحر » من اجلهم كي تغفر خطاياهم .**

وقد رفض الاسلام كلتا القضيتين ، وتنـــزل القـــرآن الكريـــم مفيضا الحديث عن تنزيه الله وسعته وقدرته وحكمته وعلمه ، كما افاض الحديث عن الناس ومسئوليتهم الشخصية عما يقترفون من خير او شر .

وذكر القرآن الكريم ان لله عبادا تعجز الابالسة عن غوايتهم ، وانهم من نقاوة الصدر وشرف السيرة ورفعة المستوى بحيث يقدمـــون مـــن انفســـهم نماذج للايمان والصلاح والتقوى ، تتأسى بها الجماهير .

« ان عبادي ليس لك عليهم سلطان . وكفى بربك وكيلا » [1]

فان لم يكن نوح ولوط وابراهيم ويعقوب من هؤلاء النبلاء الكرام فمن هم اذن الصالحون الفضلاء ؟

واذا كان انبياء الله سكارى وزناة ومحتالين فلماذا يلام رواد السجون واصحاب الشرور ؟؟

ولا عذر للنصارى في تصديق هذا اللغو ، بل لا عذر لهم في ادعاء ان الله ولد او ان له ولدا ، الى آخر ما يهرفون به . .

احيانا في هداة الليل ارمق النجـــوم الثاقبـــة وابعادها السحيقة ، ثم اتساءل : اليس باريء هذا الملكوت اوسع منـــه واكبـــر ؟ فكيف يحتويه بطن امـــراة ؟

واحيانا ارمق الامواج ذوات الهدير وهي تضرب الشاطيء وتعـــود دون ملل او كلل . ان اربعة اخماس الارض مياه ، ويبرق في راسي خاطـــر عابر ، هل رب هذا البحر العظيم كان جنينا فرضيعا . . . فبشرا قتيلا ؟

واهز راسي مستنكرا وانا اتلو هذه الآيات :

---

(1) الاسراء : ٦٥ .

ــ « قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون
سيقولون لله ، قل افلا تذكرون » .
ــ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم
سيقولون لله ، قل افلا تتقون
ــ قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون
سيقولون لله ، قل فأنى تسحرون (١)
ــ « ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من اله » (٢)
« رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا ، وبمحمد رسولا » . . .

* * *

. . في هذا القرن المشئوم سقطت الخلافة الاسلامية ، ونكست راية الاسلام ، واختفت من الصعيد العالمي كل علاقة تشير الى وجود سياسي لهذا الدين الحنيف . .

نعم كانت هناك أمم اسلامية كبيرة تنتشر على رقع واسعة من الارض ؛ لكن هذه الامة لاذت بقومياتها الخاصة ، ولبست ازياء مدنية مائعة ، واغلبها استبعد الدين من الحياة العامة ، وأماته تربية وقانونا ومسلكا وشعارا .

وربما سمح له بوجود في بعض العبادات الفردية ، لكن هذا الوجود مؤقت بطبيعته الى ان تجرف تيارات الحياة الجديدة مخلفات الماضي البعيد . .

وفي الوقت نفسه ، كانت تعاليم العهد القديم ــ التي سقنا لك مثلا منها ــ تصنع امة جديدة .

كان اليهود يتجمعون في فلسطين ليقيموا مملكة « يهوه » على الارض وفق مراسمهم الموروثة . . .

وكانت الصليبية الحقود تعينها بما تملك من قوة ، احتضنتها املا مستبعدا ، وما زالت ترعاها حتى جعلتها حقيقة قائمة . .

وهكذا افلحت القوى الشريرة في ضرب الحق ، وتغيير معالم الدنيا ، **وقيل في كل مكان : بدأت نهاية الاسلام تقترب ! يوشك ان يوارى في الثرى . !**

شاهت الوجوه ! هم يحسبونها النهاية ونحن سنجعلها بداية الصعود كرة اخرى .

. . ان حقائق القرآن لن تتلاشى ، والاساطير التي كذبت على الله وعلى الناس لن تخلد . .

. . ان الصراط المستقيم لن تطمس شاراته او تضيع آياته ، وعلى

---

(١) المؤمنون : ٨٤ ، ٨٩ . (٢) المؤمنون : ٩١ .

مسلمي الحاضر والقادم ان يواجهوا قدرهم ويؤدوا واجبهم ..

الاعداء كثيرون ، والعوائق صعبة ، والكفاح طويل ، وربما صاح المرء وهو يودع محنة ويستقبل اخرى : اما لهذا الليل من آخر ؟

ان الفجر سيطلع حتما ، ولأن يطوينا الليل مكافحين اشرف من ان يطوينا راقدين .

« من خاف ادلج ، ومن ادلج نجا ، الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة » (1)

---

(1) البخاري وغيره .

الباب الثاني

- تحرك ضد عقيدة التوحيد يتعرض له ابناؤنا .
- حول صلب عيسى
- المنشورات وما تضمنت من اوهام
- الاسلام اقوى بكثير من هذه التفاهات
- قصة ((الله محبة)) وموقف شتى الاناجيل منها
- تجليات العذراء ، الرمح المقدس ، الحقيقة العلمية المطاردة .

لا يستطيع عاقل ان يقول : ان يوم النصرانية في اوربا وامريكا طيب ، فالالحاد شائع ، والزنا والربا اشيع ، والركض في اودية الحياة ابتغاء المتاع العاجل هو السمة الظاهرة ، وبدع الشباب المادية والادبية لا حصر لها .

ولولا الحياء لغلقت تسعة اعشار الكنائس ابوابها .. من الفراغ .

اما في ربوع العالم الاسلامي كله ، والاقطار العربية خاصة ، فالحال على العكس : النصرانية تنتعش والكنائس تكثر ، وطوائف الشباب والشيوخ تتلاقى عليها ، والاموال الدافقة تجيء من منابع شتى لتدعم الطوائف المسيحية وترجح كفتها في ميادين العلم والانتاج .

واوربا وامريكا من وراء هذا العون الواسع تخدمان به آمالها العريضة في القضاء على الاسلام ، واعادته الى الصحراء من حيث جاء !

ومن يدري ؟ ربما قضيا عليه في الصحراء نفسها ، كذلك يؤملون ! ولذلك يعملون !!

ومن ربع قرن وانا الاحق الهجوم الثقافي والسياسي على امتنا وديننا .. والطلائع المؤمنة في كل مكان تشتبك معه وتحاول صده .

غير ان النتائج الى الآن لا تسر ، لقد سقطت جماهير كبيرة من الدهماء ، واعداد وفيرة من المتعلمين في براثن هذا الغزو المزدوج وتاحت الفرص امام الطوائف غير المسلمة ، فاطلت براسها تريد ان تشارك في الاجهاز على الفريسة .

وفي مصر رايت عملا مريبا منظما يكاد يعالن بانه يريد وضع الطابع النصراني على التراب الوطني في هذا الوادي المحروب .

ولا ريب في ان قوى خارجية تكمن وراء هذا النشاط وتغذيه .. وفي هذه الصحائف نريد ان نواجه حرب المنشورات التي شنت بغتة على الشباب المسلم ، مكتفين بدحض الشبهات ، ورد المفتريات ، عالمين ان هنالك نصارى كثيرين يريدون العيش مع اخوانهم المسلمين في سلام وتراحم ، وان محاولة البعض طعن الاسلام من الخلف هي تصرفات فردية يحمل وزرها اصحابها وحدهم .

ونحب قبل ان نبدا النقاش في هذه القضية الاساسية ان نسجل مسلكا اسلاميا مقررا : **ان اختلاف الاديان لا يستلزم ابدا ايغار الصدور وتنافر الود**، وانه في ظل مشاعر البر وقوانين العدالة يمكن لأتباع عقيدتين مختلفتين ان يعيشوا في وئام وتراحم !!

والانسجام المنشود بين اولئك الاتباع لا يعني بداهة ان الفروق بين عقائدهم تلاشت ..

وقد كان العرب الاولون يؤمنون بالله الواحد « ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن : الله .. » ١

« ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها ليقولن : الله » ٢

ولكنهم مع هذا الاعتراف بالله الواحد نسبوا اليه ولدا يقصدون اليه ويتشفعون به ! فرفض القرآن هذا النسب المختلق، وعد ذلك شركا، وانكره — في سورة مريم — اشد الانكار « وقالوا اتخذ الرحمن ولدا .. لقد جئتم شيئا ادا . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا، ان دعوا للرحمن ولدا . وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا . ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا ... » ٣

ومع هذا النكير الشديد لعقيدة التعدد في الالهة، فقد أمر الله صاحب الرسالة ان يقول للمشركين « لكم دينكم ولي دين » ٤ .

اذن نستطيع ان نوجد تلاقيا ما بين أصحاب الاديان المختلفة، اما تذويب الفوارق بين التوحيد والتعدد كليهما، فذاك مستحيل ..

كتب بعض الناس كلاما يريد عقد لقاء بين عقيدة التوحيد الاسلامية وعقيدة التثليث المسيحية، فنفى ان يكون الله ثالث ثلاثة — كما ذكر القرآن الكريم — وقال ان الله الواحد هو جملة الاقانيم الثلاثة .

ولما كان كل اقنوم — على حدة — يسمى الها، فان الكاتب اراد ان يوضح هذا الغموض، ولا نقول يكشف هذا التناقض !! فقال — والكلام منقول عن مجلة توزع على طلاب كلية الهندسة بجامعة القاهرة — نثبته هنا بنصه : « اذن كيف نوفق بين هذا وذاك ؟ بين ثلاثة ثم واحد ؟ »

« ان هذا هو بيت القصيد وفحوى الحديث ! وسوف اذكر مثالا .. ماذا تعرف عن الشمس، الشمس الواحدة ؟ اعرف انها قرص، وحرارة، واشعة .. واي شيء من هذه الثلاثة هو الشمس ؟ هل القرص، أم الحرارة، او الاشعة ثلاثتهم يكونون الشمس ! اذن الشمس واحدة، وهكذا الله سبحانه واحد، مع فارق التشبيه العظيم من حيث المكانة .. »

---

(١) العنكبوت : ٦١ .
(٢) مريم : ٨٨، ٩٢ .
(٣) العنكبوت : ٦٣ .
(٤) الكافرون : ٦ .

ونقف قليلا لنذكر رأينا في هذا الكلام ، ان الكائن الواحد قد تكون له عدة صفات ، قد يكون طويل القامة اسمر اللون ذكي العقل .. ويمكن ان تنسب اليك صفات اخرى ، فهل قلة الصفات او كثرة الصفات تعني تعددا في الذات ؟ وهل يجوز ان يطلق شخصك نفسه على صفة الطول او السمرة او الذكاء ؟ وهل يتصور ان تنفصل احدى الصفات المذكورة ليطلق عليها الرصاص ، او تتدلى من حبل المشنقة او تسمر على خشبة الصليب ؟

ان الشمس واحدة ، ولكن استدارتها وحرارتها واضاءتها وكثافتها .. الخ صفات لها ، اعراض لذاتها ، والصفة لا تسمى ابنا ولا خالا ولا عما ، ونحن نثبت للاله الواحد عشرات الاوصاف الجليلة ، بيد ان اثبات الاوصاف شيء بعيد كل البعد عن القول بأن الاب هو الابن وهو الصديق ، وان خالق الكون هو هو الذي صلب على خشبة في ارضه .

ان التمثيل بالشمس واوصافها الكثيرة لا يخدم قضية التثليث ولا التربيع في ذات الله .. والامر لا يعدو لونا من اللعب بالالفاظ .

ان الله ـ خالق هذا العالم ـ واحد ، وما عداه عين له اوجده من الصفر ، ولن تنفك صفة العبودية عن اي موجود آخر ، سواء كان « عيسى » او « موسى » او « محمد » او غيرهم من اهل الارض والسماء .

ونريد أن نسأل : هل اذا كانت الشمس هي القرص والحرارة والاشعة فهل يمكن القول بأن الحرارة مثلا ثلث الشمس ؟

لا يقول هذا عاقل ، لان الصفة لا تكون قسيما للذات بتاتا ، هل يمكن القول بأن القرص شكا للاشعة ما نزل به من بلاء مثلا !

ذاك ما لا يتصوره ذو لب .. !!

ان هذا الكلام ـ كما قلت ـ لون من اللعب بالالفاظ ، ولا يصور العلاقة بين افراد الاقانيم الثلاثة كما رسمتها الاناجيل المقدسة ..

وذكرت المجلة التي توزع على الطلاب « بكلية الهندسة » دليلا آخر على ان التثليث هو التوحيد . قال الكاتب :

« اقول لك ايضا عن انسان اسمه ابراهيم ـ ابراهيم هذا في بيته ووسط اولاده يدعى ربا لاسرته وينادونه « يا ابانا يا ابراهيم » ، هذا ذهب يوما الى البحر ، فاذا الجموع محتشدة وانسان يغرق وليس من ينقذه ، فما كان منه الا ان خلع ملابسه ، وارتدى لباس البحر واسرع وانقذ الغريق ، فهتف المتجمهرون : ليحيا المنقذ ابراهيم .

ذهب بعد ذلك الى عمله ، واذ كان يعمل بالتدريس ويشرح للتلاميذ وصاروا ينادونه : المعلم ابراهيم . فايهم ابراهيم : الاب أم المنقذ ام المعلم ؟

كلهم ابراهيم وان اختلفت الالقاب مع الوظائف ، وهكذا ايضا الله خلق فهو الاب الله ، الله انقذ فهو الابن ، الله يعلم فهو الروح » !!

نقول : هذا الكلام اوغل من سابقه في **خداع النظر** ، فان الضابط قد

يرتدي في الجيش ملابسه العسكرية ، وقد يرتدي في عطلته الملابس المدنية وقد يرتدي في بيته ملابس النوم . ولم يقل مجنون ولا عاقل ان هؤلاء ثلاثة ، وانهم واحد ولا يتصور احد ان الضابط بزيه العسكري يصدر حكما بالاعدام على الضابط نفسه بزيه المدني وان هذا المدني يقول للعسكري : لماذا قتلتني او لماذا تركتني .

ان المعلم ابراهيم او المنقذ ابراهيم او الخالق ابراهيم يستحيل ان يكونوا ثلاثة اقانيم على النحو المألوف في المسيحية ، وانما المعقول ان يقال :

الله الواحد يوصف بالقدرة والعلم والرحمة والحكمة مثلا وهذا ما يذكره الاسلام فالله ذات واحدة ، لا تقبل التعدد بتة ، والروح القدس وهو جبريل عبد مخلوق له ، والمعلم المرشد الصالح عيسى عبد مخلوق له ، وما دام العقل البشري موجودا فلن يسيغ الا هذا .. اما الفرار من التناقض الحتم الى التلاعب بالالفاظ فلا جدوى منه !

واذا كان خالق اسماء هو هو المقتول على الصليب فمن كان يدبر العالم بعدما قتل خالقه ؟ بل كيف يبقى العالم بعد ان ذهب موجده ؟ والعالم انما يبقى لانه يستمد وجوده لحظة بعد اخرى من الحي القيوم جل جلاله .

ان القرآن الكريم ينصح اصحاب عقيدة التثليث فيقول لهم : « يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق ، انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيرا لكم ، انما الله اله واحد سبحانه أنى يكون له ولد ، له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا . لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون .. » (1)

وانه ليسرنا ان تكون عقيدة التوحيد محور العلاقة بين الناس جميعا وبين الله الواحد الاحد ، لكن من المضحك المبكي ان يحاول البعض التشبث بالثالوث وبألوهية كل فرد من افراده ثم يزعم بطريقة ما ان الثلاثة هم في الحقيقة واحد .

قيل في باب الفكاهة ان رجلا جلس على قهوة ثم طلب « ينسونا » وقبل ان يتناوله تركه وطلب بدله « شايا » شربه ثم قام لينصرف .. فلما طولب بثمن الشاي الذي شربه قال : انه بدل الينسون ، فلما طولب بثمن الينسون قال : وهل شربته حتى ادفع ثمنه ؟!

ويظهر ان هذا الاستدلال الفكاهي انتقل من ميدان المشروبات الى ميدان العقائد ، ليطمس الحقيقة ويسيغ المتناقضات ..

وقصة ثالثة تنشرها المجلة المعلقة بكلية الهندسة ـ جامعة القاهرة هي عجيبة العجائب نثبتها هنا ـ على طولها ـ بعد النقلين الموجزين السابقين !!

---

(1) النساء : 171 ، 172 .

عنوان القصه . « انت تعبان والله مرتاح . . » !!
والعنوان المذكور يحكي اجابة طريفة عن سبب الصلب .
والسؤال التقليدي في هذا الموضوع : لماذا قتل الاله الاب الاله الابن ؟!
والجواب المعروف لدى اخواننا المسيحيين هو : الفداء لخطايا الخليقة.
لكن الكاتب الذكي ـ تمشيا منه مع ان الواحد ثلاثة والثلاثة واحد ـ جعل القصة تدور حول هذا السؤال : لماذا قتل الاله نفسه ؟ ولنذكر القصة برمتها :

« انتهت الحياة ، وتزاحم الملايين من البشر في واد كبير امام عرش الله ، وكانت المقدمة من جماعات تتكلم بامتثال شديد دون خوف او خجل ، ولكن بطريقة عدوانية ، حتى تقدمت الصفوف فتاة تصرخ : كيف يستطيع الله ان يحاكمني ؟! وماذا يعرف هو عن الآلام التي عانيتها ؟!

قالت هذا وهي تكشف عن رقم على ذراعها مدموغ بالحرق في احد معسكرات التعذيب والابادة النازية ، ثم اردفت « لقد تحملت الضرب والتعذيب بل والقتل ايضا » .

وعلا صوت هادر من مجموعة اخرى قائلا « وما رايكم في هذا ؟ » وعلى اثر ذلك ازاح صاحب الصوت ـ وهو زنجي ـ ياقة قميصه كاشفا عن اثر بشع لحبل حول عنقه وصاح من جديد : « شنقت لا لسبب الا اني اسود . . » لقد وضعنا كالحيوانات في سفن العبيد ، بعد انتزاعنا من وسط احبائنا ، واستعبدنا ، حتى حررنا الموت » .

وعلى امتداد البعد كنت ترى المئات من امثال هذه المجموعات ، كل منها له دعوى ضد الله : بسبب الشر والعذاب اللذين سمح بهما في عالمه .
كم هو مرفه هذا الاله ! فهو يعيش في السماء حيث كل شيء مغلف بالجمال والنور ، لا بكاء ولا انين ، لا خوف ولا جوع ولا كراهية فماذا يعرف هو عما اصاب الانسان وتحمله مكرها في هذا العالم ؟
حقا ، ان الله يحيا حياة ناعمة هانئة لا تعرف الالم .

وهكذا خرج من كل مجموعة قائد ، كل مؤهلاته انه اكثر من قاسى وتألم في الحياة ، فكان منهم يهودي وزنجي وهندي ومنبوذ وطفل غير شرعي ، وواحد من هيروشيما وآخر عبد من معسكرات المنفى والسخرة . .
هؤلاء جميعا اجتمعوا معا يتشاورون ، وبعد مدة كانوا على استعداد لرفع دعواهم ، وكان جوهرها بسيطا جدا ، قبل ان يصبح الله اهلا لمحاكمتهم ، عليه ان يذوق ما ذاقوا !!
وكان قرارهم الحكم على الله ان يعيش على الارض كانسان ، ولانه اله ، وضعوا شروطا تضمن انه لن يستخدم قوته الالهية ليساعد نفسه ، وكانت شروطهم :

- ينبغي ان يولد في شعب مستعمر ذليل .

- ليكن مشكوكا في شرعية ميلاده ، فلا يعرف لـــه اب ، وكانه وليـد سفاح .
- ليكن صاحب قضية عادلة حقيقية ، لكنها متطرفة جدا حتى تجلب عليه الكراهية والحقد والادانة بل والطرد ايضا مــن كل سلطاته الرئيسية التقليدية ، ليحاول ان يصف للناس ما لم يره انسان او يسمع به ، ولا لمسته يداه ، ليحاول ان يعرف الانسان بالله .
- ليجعل اعز واقرب اصدقائه يخونه ويخدعه ، ويسلمه لمن يطلبونه ، ليجعله يدان بتهم كاذبة ، ويحاكم امام محكمـة متحيزة غير عادلة ، ويحكم عليه قاض جبان .
- ليذق ما معنى ان يكون وحيدا تماما بلا رفيق في وسط اهله ، منبوذا من كل احبائه ، كل الاحباء .
- ليتعذب ليموت .. نعم يموت ميتـــة بشمة محتقرة مــع ادنـى اللصوص .

كان كل قائد يتلو الجزء الــذي اقترحه في هـــذه الشروط ، وكانت همهمات الموافقة والاستحسان تعلو ... ولكن ما ان انتهى آخرهم من نطق الحكم حتى ساد الوادي صمت رهيب وطويل ، ولم يتكلم انسان او يتحرك.

فقد اكتشفوا جميعا ــ فجاة ــ ان الله قد نفذ فيه هذا الحكم فعلا .. لكنه اخلى نفسه ، آخذا صورة عبد ، صائرا في شبه الناس ، واذ وجد فـي الهيئة كانسان ، وضع نفسه واطاع حتى الموت .. موت الصليب .. »

ولنا بعد هذه المطالعة المفيدة عن سر « الانتحار الالهي » ان نسأل :

أ ــ هل كان العبيد الثائرون يعرفون ان الــه عديم الاحساس بآلامهم المبرحة ، فاحبوا ان يشعر شخصيا بمرارتها حتـى يـرق لحالهم ، ولذلـك حكموا بقتله ؟

ب ــ هل انقطعت هذه الآلام بعد الصلب أم بقيت تتجدد على اختلاف الزمان والمكان ؟ وبذلك لم تؤد قصة الصلب المنشود منهـــا ، فينبغـي ان تكرر ؟

جـ ــ ما هي درجة السلطة التي يمتلكها هذا الاله في العالم ؟ وهل هي من الهوان بحيث تسمح لثورة بيضاء او حمراء ان تنفجر مطالبـة بشنقه او صلبه ؟ وهل يحمل هذا الاله مسئولية المآسي العالمية ؟!

د ــ واذا كان الصلب لفداء الخطايا ، فهل هــذا الفداء يتناول صانعي الشرور والآثام والمظالم أم يتجاوزهم؟ أم هو لتصبر الضحايا على ما ينزل بها؟

ونحن لا نريد اجابات على هذه الاسئلـة ، فعقيدتنا نحن المسلمين ان الله العظيم فوق هذه التصورات الهازلة .

ان هذا الكلام الذي قرانا من اسوا واغرب ما وصف بـه الله وما كنـا نحن نتصور ان يصل الاسقاف في الحديث عن الله جل جلاله الى هذا الدرك المعيب ، ولكن صاحب الفم الذهبي ــ لافض فوه ــ يابى الا ان يستغل مهارته

الصحافية في تسطير هذا اللغو ونشره بين الطلاب المسلمين ، لانـه يعتقد ان القرآن يقبل التعاليم المسيحية وان التوحيد ينسجم مع التثليث .

وقد كتب في رمضان الاسبق مقالا في مجلة الهلال يحاول فيه اثبات هذا الهراء ، ويريد به ان يختل المسلمين عن توحيدهم وسلامة معتقدهم .

وكم نود ان نقول لهذا الكاتب ومن وراءه من الحاقدين عـلى الاسلام :
« يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل » . (١)

واعود الى ما بدأت به هذا الحديث : ان اتبـاع الاديـان المختلفـة يستطيعون ان يعيشوا اصدقـاء ، والوحـدة القوميـة بين العرب المسلمين والنصارى موضع احترام الجميع .

لكن الانسياق مع التعصب الامريكي ضـد الاسلام يجب ان يختفـي فورا . ان كل محاولة لاهانة الاسلام واحراج اهله لا يمكن ان تكـون موضع احترام ، والمال الامريكي المبذول في هذا السبيل يجب ان يذهب هدرا .

حـول صلب عيسى :

لا اعرف قضية طال فيها اللجاج دون سبب يعقل مثـل قضية الصلب والفداء ، ولعلها أصدق شاهد يساق لقوله تعالى: « وكان الانسان أكثر شيء جدلا » ولا ازال اذكر حكاية القسيس الالماني الذي زارنـي يومـا في مكتبي ، وشاء له سوء حظه ان يحدثني فيها ، فقلت لـه ضاحكا : اتـرى هذا الثوب الابيض الذي البسه ؟ ارايت اذا وقعت عليه نقطة حبر اتزول اذا غسلت انت ثوبك ؟ قال : لا . قلت : فلم يزول خطئي اذا اعتذر عنه آخر ؟

عندما الوث نفسي بخطأ دق او جل ، فانا المسئول عنـه ، اغسل انـا نفسي منه ، اشعر انا بالندم عليه ، اقوم انا من عثرتي اذا وقعت ، ثم أعـود انا الى الله لاعترف له بسوء تصرفي واطلب انا منه الصفح .

اما ان العالم يخطيء فيقتل الله ابنه كفارة للخطأ الواقع فهذا ما يضرب الانسان كفا بكف لتصوره !!

هذا اول الاسطورة ، اما آخرها فلا بد ان نعرف : مـن القاتل ومـن القتيل ؟؟

ان المسيحيين يقولون : ان الله ((الابن)) صلبَ ، لكنهم يقولون كذلك : ان الاب هو الابن ، هما ـ والروح القدس ـ جميعا شيء واحد .

ان كان الامر كذلك فالقاتل هو القتيل !! وذاك سر ما قاله احد الفرنجة المفكرين :

((خلاصة المسيحية ان الله قتل الله لارضاء الله !!))

---

(١) المائـدة : ٧٧ .

ولمن شاء ان يقنع نفسه بهذه النقائض ، وان يفني عمره في خدمتها ،
اما ان يجيء الينا نحن المسلمين ليلوينا بالختل او بالعنف عن عقيدتنا
الواضحة ويحاول الطعن فيها فهذه هي السماجة القصوى .

وبين يدي الآن نحو عشر نشرات وزعت خارج الكنائس للدعوة الى
اسطورة الفداء ، قراتها كلها وشعرت بالرثاء لكاتبيها .

وكما يحاول قروي ساذج اقناع العلماء ان القنبلة الذرية مصنوعة من
كيزان الذرة يحاول هؤلاء « المبشرون » العميان اقناعنا بأنهم على حق .

اقرأ معي هذه السطور الصادرة عن كنيسة « مار مرقص » بمصر
الجديدة ، يقول الكاتب : « ربما لم اقابلك شخصيا لكن هناك شيئا يجب ان
اقوله لك، انه امر في غاية الاهمية حتى انني سأكون مقصرا ان لم اخبرك به» .

حسنا ، هات ما عندك ، ولا تكن من المقصرين !!

يقول الكاتب : « دعني اخبرك باخلاص انها رسالة شخصية لك ،
لا يمكنك ان تهرب منها ، وهذه هي الرسالة من انجيل يوحنا (٣ : ١٦) :

« لانه هكذا احب الله العالم حتى بذل « ابنه » الوحيد لكي لا يهلك كل
من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الابدية » .

هذا هو الخبر الخطير ! تمخض الجبل فولد فأرا !!

لماذا يقتل الله ابنه الوحيد البريء من اجل ذنوب الآخرين .

واذا كان هذا الاله رب اسرة كبيرة فلم يقتل أبناءه كلهم او جلهم من
غير جريرة ؟

اليس الاعقل والاعدل ان يقول هذا الاله للمذنبين :

تطهروا من اخطائكم وتوبوا الي اقبلكم ؟!

ولا قتل هناك ولا لف ولا دوران ؟

هكذا فعل الاسلام وارسى قواعد العلاقة الصحيحة بين الله وعباده
« ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما » ١

اما قصة ان لله ولدا وحيدا او غير وحيد فكذب صارخ . أن الولادة
شيء يتوقع بين بعض الاحياء ، ولا مكان لهذه المفاهيم عند تصور الالوهية
« وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له
ولي من الذل وكبره تكبيرا » ٢ .

« يا ربي لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك » .

وهاك سطورا من نشرة اخرى تحت عنوان « حقائق مخفية » بداها
كاتبها قائلا : « حقائق انت أحوج الى ادراكها من الهواء الذي تتنفسه » !!

شيء مدهش ، ما هذه الحقائق التي نفتقر اليها على هذا النحو ولم
نشعر بفقدانها من زمن بعيد ؟

---

(١) النساء : ١١٠ .   (٢) الاسراء : ١١١ .

يقول الكاتب : « تعال الى الرب يسوع الآن كما انت ، لا تسع في اصلاح نفسك (!) لانه هو يستطيع ان يخلق منك شخصا جديدا طاهـرا » ولكـن لماذا لا اسعى في تزكية نفسي ورفع مستواي المادي والمعنوي ؟

يقول كاتب النشرة : « احذر ان يكون مثلك مثل المتسول مع الرسام .
ذلك ان رساما اراد ان يرسم رجلا في منتهى الـذل والمسكنة ، فراى متسولا يتمشى في اسمال بالية ، فطلب منه ان يحضر في ميعاد عينه له ، علـى ان يعطيه اجرا . . لكن ذلك المتسول خجل من اسماله البالية فاستعار لباسا يدفع به عن نفسه الخجل ، ثم اتى الى الرسام في الميعاد ، فلما نظـر اليـه الرسام قال : اني لا اعرفك . فأجاب الرجل : الا تذكـر شحاذا فقيرا اتفقت معه على ان يجيئك في هذا الميعاد . قال : اني لا اذكر الا رجلا في اسمال بالية اما انت فلا اذكرك » .

ان الرب ـ يعني يسوعا ـ يطلبك في حالتك السيئة ومـا عليك الا ان تعترف بكل الشرور التي انت مستعبد لها ، وتقبله مخلصا شخصيا لك ، اذا فعلت ذلك فان حمل خطاياك ينطرح عن ظهرك » .

ونحن المسلمين نقرا هذا الكلام ونستغرب ان تنقل صفات اللـه الـى شخص آخر . . اننا مكلفون ـ كسائر البشر ـ بتزكيـة انفسنا وصقلهـا وتربيتها « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها . قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها » .

فاذا اخطأ احدنا ، ذهب الى ربه يستغفره ويستهديه ويستعينه عـلى العودة الى الصواب « وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عـن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب للذيـن آمنوا وعملـوا الصالحات ويزيدهم مـن فضله » (1) .

ما دخل آدم او عيسى او محمد في ذلك ، انهم كلهم بشر يحتاجون الى المغفرة ، ويطلبون من ربهم النجدة .

ولكي يحس القاريء بما حوت هذه النشرة من خلط ننقل هذه العبارة من كلامه « هب انه طلب منك ان تشترك في جريمة صلب ربك ، وان تقف مع من هزءوا به ، اكنت ترضى ؟ يقينا لا . . . ولكنك ما دمت لـم تختبر قـوة صلب المسيح في خلاص نفسك مـن الخطيئة ، فانـك بخطاياك تشترك في جريمة صلب ربك » !

هذا الهراء هو الذي نحتاج اليه كما نحتاج الى الهواء الذي نتنفسه . .
عبيد يستطيعون صلب ربهم ، ومع ذلك يطلبون منه المغفرة والرضا . .
هلا طلبوا ذلك من الله الذي طلب منه المسيح نفسه النجاة ، وعاتبه ان تركه للاعداء كما يقولون !!

---

(1) الشورى : ٢٥ ، ٢٦ .

وهناك نشرة أخرى تحت عنوان « متجدد أم متدين » ؟ بدأت بهذه الكلمات : « الوردة الطبيعية جميلة الشكل زكية الرائحة ، فيها حياة . والوردة الصناعية جميلة الشكل عديمة الرائحة ليس فيها حياة . ان الوردة الطبيعية تمثل المتجدد ، اما الوردة الصناعية فتشبه اولئك الذين قال عنهم بولس : « لهم صورة التقوى ولكنهم ينكرون قوتها » .

ولا أفهم بالضبط ما يعني بولس ، أيقصد المرائين ؟ ربما . . المهم ان كاتب النشرة يختمها بهذه العبارات « دعني اسألك ايها العزيز : هل انت متجدد أم متدين . اذا كنت قد حصلت على الولادة من فوق فطوبى لك ، اثبت اذن في المسيح . . . اما اذا كنت متدينا فأسرع بتسليم حياتك الآن للمسيح . . فتنال الحياة الجديدة التي حصلت عليها المراة الخاطئة حين غسلت قدمي الرب يسوع بدموعها ومسحتها بشعر راسها ، والتي قال لها الرب : مغفورة لك خطاياك ، ايمانك قد خلصك » .

هذه النشرة من مثيلاتها مصرة على تسمية المسيح الرب ، ووصفه بأنه الغفار .

ونحن نقبل المسيح مبلغا عن الله كاخوانه الانبياء لا يزيد ولا ينقص ونقتدي به وبهم جميعا في التقرب الى الله بالعمل الصالح .

والتدين يهب لنا حياة عقلية ووجدانية راقية ، اما التجديد الذي تتحدث عنه النشرة فضرب من الهوس يستهوي الصبية ، ومن يحسبون الدين اوهاما وتهاويل « وجعلوا له من عباده جزءا ، ان الانسان لكفور مبين » [1] .

التجديد ليس ان تعجن الخالق والمخلوق في اقنوم مائع ، ثم تلف حوله حارقا البخور ، نافخا في المزمور ، كلا ، ان التجديد اولا وآخرا عقل يرفض الخرافة ، وقلب يتعشق الكمال ويتطلبه . .

وهذا منشور آخر من « لبنان » يدور كذلك حول يسوع المصلوب غفار الذنوب يقول كاتبه : « ايها الاخ العزيز خطاياك موضوعة على يسوع لتنال سلاما مع الله وتشفي نفسك من جروحها . ان تقدمت الى المصلوب المحبوب وسلمته خطاياك تختبر ان دمه يطهرك من كل اثم حتى ولو كنت قاتلا او متعصبا او حالفا بالله كذبا ، ومهما كانت خطاياك كبيرة او صغيرة فان المسيح هو يغفرها جميعا » !!!

ويجاوبه منشور آخر من القاهرة يرد فيه هذا التساؤل : « لكنك تقول توجد آراء كثيرة فكيف اعرف من هو على حق ؟

كل من يرشدك الى المسيح قارب النجاة فهو على حق ، وكل من يبقيك في السفينة العتيقة ــ المشرفة على الغرق ــ يخدعك ويضلك ، هل

---

(1) الزخرف : ١٥ .

انت مجتهد بشتى الوسائل في اصلاح السفينة العتيقة ، اي طبيعتك البشرية الساقطة ؟ اعلم انك اذن اذا استمررت على هذه الحال فلا بد ان تغطس ان عاجلا وان آجلا . . »

اي ان كل تهذيب وتأديب منتهيان بصاحبهما حتما الى الغرق ، ما لم يعتقد ان المسيح صلب من اجله ، وانه هو وحده فداء خطاياه . .

مهما اتيت ربك بقلب سليم بل لو اتيته بضمير في طهر السحاب وضياء الشروق فلا وزن لهذا كله ، ما لم تؤمن ان عيسى قتل من اجل ان يفتدي خطاياك ، ويخلصك من ذنوبك !!

هذه هي خلاصة المنشورات التي حررها بنفسه او اشرف على تحريرها صاحب الفم الذهبي رئيس اخواننا الاقباط ، وعمل على توزيعها في اوسع نطاق . .

« وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء ، انهم لكاذبون ، وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون » (1) .

انا معشر المسلمين نحب عيسى ونوقره ونعد انفسنا اتباعه ، ونرفض بغضب كل ريبة توجه اليه او الى السيدة البتول امه ، بل نحن اولى بعيسى من اولئك الذين ينتمون اليه ويغالون فيه .

وليس خلافنا مع النصارى انه قتل او لم يقتل ، الخلاف اعمق من ذلك . . الخلاف : أهو « انسان » كما نقول او « اله » كما يزعمون ؟

اكل امرىء بما كسب رهين ؟ أم ان هناك قربانا قدمه الله من نفسه لمحو خطايا البشر ؟

هم يرون ان الله في السماء ترك ابنه الوحيد على خشبة الصليب ليكون ذلك القربان . .

ونتساءل : اكان عيسى يجهل ذلك عندما قال : الهي لماذا تركتني ؟

وثم سؤال اخطر : هل المنادي المستغيث في الارض هو هو المنادي المستغاث به في السماء ، لان الاب والابن شيء واحد كما يزعمون ؟؟

هذا كلام له خبيء معناه ليست لنا عقول !!

الحق ان هذه العقيدة النصرانية يستحيل ان تفهم .

قرأت مقالا للدكتور « ميشيل فرح » في جريدة « لميساجي » الصادرة في القاهرة في ١٩٧٣/٩/١٦م يشرح هذه العقيدة بطريقة عقلانية قال : الكتاب المقدس ينبيء ان الله سوف يظهر نفسه ، اي ان الكلمة المجردة ستاخذ جسدا ولحما (!) وهذا هو الحدث الجديد . عمانوئيل . الله معنا . الله يصبح بشرى سارة ، الله يعلن ويخبر . وهذا الظهور أساس كل شيء .

---

(1) العنكبوت : ١٢ ، ١٣ .

هو الرد على سؤال توفيق الحكيم في قصته المشهورة « أرني الله » ها هو الله . شيء ما حدث وحصل ووقع وتأنس » .

هذا الكلام المبهم المضطرب الذي لا يعطي معنى هــو التعسير العقلاني للعقيدة المسيحية !

رب المشارق والمغارب ظهر في اهاب « بشر » ليراه الناس ثم مــن فرط رحمته بهم « ينتحر » من اجلهم !

- من يكلفني بهضم هذا القول ؟
- هل اعتنق هذا واترك القرآن الذي يقرر العقيدة على هــذا النحو :

« قل لمن ما في السموات والارض ، قل لله ، كتب عــلى نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه .

.. الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون » ١ .

الا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين من دون اللــه شركاء .. ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون » .

هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهــار مبصرا . ان في ذلــك لآيات لقوم يسمعون . قالوا : « اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني لــه ما في السموات وما في الارض . ان عندكم من سلطان بهذا ، اتقولون على الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون » ٢ .

هكذا خاصم الاسلام الخرافة وأعلن اباءه التام للون مقنع من الشرك ، وسد الطريق في وجه القرابين الوثنية وهي تتسلــل في خبث لتطمس معالــم التوحيد .

لم كرمنا الله بالعقل اذا كان مفروضا أن نطرحه ظهريا عندما نختار اهم شيء في الحياة وهو الايمان والسلوك ؟

ان العقل يجزم بأن عيسى بشر وحسب ، ويرفض ان يكــون « الهــا » ابنا مع « اله » أي مع « اله » اخر روح قدس ، وثلاثتهم واحد مع تعددهم ، وتعددهم حتم ، لان احدهم ترك الآخر يصلب ..

هذا كلام يدخل في باب الالغاز ولا مجال له في عالم الحق والتربية ..

ومع ذلك فنحن المسلمين نقــول لمــن يصدقــه : عش بــه مــا شئت « لا اكراه في الدين » ٣ فهل الرد على هذا المنطق اثارة كــل هــذا الدخان في آفاقنا ، ومحاولة ختل الشباب ونشر الفتنة ؟

وقال لي احدهم وهو يحاورني : اننا نرى ان الله محبة !! عــلى عكس ما ترون .. فأجبت ساخرا ، كأننا نرى الله كراهية ؟ ان اللــه مصدر كــل

---

(١) الانعام : ١٢ .

(٢) يونس : ٦٦ ، ٦٩ .

(٣) البقرة : ٢٥٦ .

رحمة وبر ، وكل نعمة وخير . . وصحيح اننــا نصفــه بالسخط على الفجار والظلمة والامر في ذلك كما قال جل شانه « ربكم ذو رحمــة واسعة ولا يــرد باسه عن القوم المجرمين » افليس الامر كذلك لديكم ؟ انكم تخدعــون العالمين بذكر هذه الكلمة وحدها ووضع ستائر كثيفة على ما عداها مــن كلمات تصف الجبروت الالهي بأشد مما ورد في الاسلام ، بل ان تعامل بعضكم مع البعض، وتعاملكم جميعا مع الخصوم لا يقوم الا عــلى هــذه الكلمــات الاخرى التــي تخفونها ، وما اكثرها لديكم .

قال « ايتين دينيــة » المستشرق المسلم : « بيـــد ان المسيــح نفسه ـ وهو سيدنا وسيد المسيحيين ـ يعلن :

« **ولا تظنوا اني جئت انشر السلام على الارض ، انني لــم آت احمل السلام وانما السيف** » (انجيل متى . الاصحاح العاشر ، ٣٤) .

ويقول السيد المسيح : « **انني جئت لالقي النار على الارض، وماذا اريد من ذلك الا اشتعالها** » (انجيل لوقا . الاصحاح الثاني عشر ، ٤٩) .

ويقول السيد المسيح : « **اذ اني جئت لافرق بين الولد وابيه ، والبنت وامها ، وبين زوجة الابن وامه** » (انجيل متى ، الاصحاح العاشر ، ٣٥) .

ويقول السيد المسيح : « **ان كان احد ياتي ولا يبغض اباه وامه ، وامراته واولاده ، واخوته واخواته ، حتى نفسه ايضا فلا يقدر ان يكون لي تلميذا** » (انجيل لوقا ، الاصحاح الرابع عشر ، ٢٦) .

اين من هذا ما جاء به النبي العربي الكريم من سلام حقيقي وحب كامل بين الاخ واخيه ، وبين الزوجة وزوجها ، وبين الاب وولده ، وبين الام وفلذة كبدها ، وبين الجار وجاره مسلما كان او غير مسلم ، وبين الارحام والاقرباء، وبين المشتركين في الانسانية الذين يتوفر لــديهم مدلــول الانسانية في بنــي الانسان » .

اننا ـ نحن المسلمين ـ نتقرب الــى الله عــز وجل برحمة الناس وغير الناس والبذل من مالنا وجهدنا ووقتنا في سبيل نفعهم ، ولنا على كــل شيء من ذلك اجر في ميزان الله الذي لا يختل عنده ميزان .

وما اصدقها شهادة تلك التي بعث بها البطريرك (النسطوري الثالث) الى البطريرك « سمعان » زميله في المجمع بعد ظهور الاسلام حيث قال فــي كتابه : « ان العرب الذين منحهم الرب سلطة العالم وقيادة الارض اصبحوا معنا ، ومع ذلك نراهم لا يعرضون للنصرانيـــة بسوء ، فهم يساعدوننــا ويشجعوننا على الاحتفاظ بمعتقداتنا ، وانهم ليجلون الرهبان والقسيسين ، ويعاونون بالمال الكنائس والاديرة » .

وما اصدق ما يقوله المؤرخ العالمي (هـ. ج. ويلز) في كتابه : « معالم تاريخ الانسانية » لقد تم في « ١٢٥ عاما ان نشر الاسلام لواءه من نهر السند الى المحيط الاطلسي واسبانيا ، ومن حدود الصين الى مصر العليا ولقد ساد الاسلام لانه كان خير نظام اجتماعي وسياسي استطاعت الايام تقديمه ، وهو

قد انتشر لانه كان يجد في كل مكان شعوبا بليـدة سياسيـا : تسلب وتظلم وتخوف ، ولا تعلم ولا تنظم ، كذلك وجدت حكومات انانية سقيمة لا اتصال بينها وبين اي شعب . فكان الاسلام اوسع واحدث وانظف فكـرة سياسية اتخذت سمة النشاط الفعلي في العالم حتى ذلـك اليـوم ، وكان يهب بنـي الانسان نظاما افضل من اي نظام آخر » .

تجليات العذراء

تقتعد خوارق العادات المكانة الاولى في الاديان البدائيـة وكلما وهـى الاساس العقلي لدين ما زاد اعتماده على هذه الخوارق ، وجمع منهـا الكثير لكهنته واتباعه .

والمسيحية من الاديان التي تعول في بقائها وانتشارها عـلى عجائب الشفاء ، وآثار القوى الخفية الغيبية .

وبين يدي الآن نشرة صغيرة عـلى احـد وجهيها صورة العذراء وهي تقطر وداعة ولطفا ، وعلى ذراعها الطفل الاله يسوع يمثـل البراءة والرقة . اما الوجه الآخر للصورة فقد تضمن هـذا الخبـر تحت عنـوان « محبـة الآخرين وخدمتهم » وتحته هـذه الجملـة « حسبما لنـا فرصة فلنعمـل الخير للجميع » (غل ٦ : ١٠) « كانت السيدة زهرة ابنة محمد عـلي باشا بها روح نجس ، ولما علم ابوها ان « الانبا حراباموني » اسقف المنوفية قـد اعطاه الله موهبة اخراج الارواح النجسة استدعاه . ولمـا صلـى لاجلها شفيت في الحال ، فأعطاه محمد عـلي باشا صرة بهـا اربعة آلاف جنيه ، فرفضها قائلا : انه ليس في حاجة اليهـا لانـه يعيش حياة الزهد ، وهـو قانع بها » .

هذا هو الخبر الذي يوزع على الجماهير ليترك اثره في صمت .

وموهبة استخراج العفاريت من الاجسام الممسوسة موهبـة يدعيها نفر من الناس ، اغلبهم يحترف الدجل ، واقلهم يستحق الاحترام ، واعرف بعض المسلمين يزعم هذا ، واشعر بريبة كبيرة نحوه .

ومرضى الاعصاب يحيرون الاطباء ، وربما اعيا امرهم عباقرة الطب ، ونجح في علاجهم عامـي يكتب « حجابـا » لا شيء فيـه غـير بعض الصور والارقام .

وليس يعنيني ان اصدق او اكـذب المأسوف عـلى مهارته اسقف المنوفية ، وانما يعنيني كشف طريقة مـن طرق اقنـاع الناس بصدق النصرانية ، وان الثالوث حق ، والصلب قـد وقـع ، والاتباع المخلصين يأتون العجائب . .

والمسيحية احوج الاديان لهذا اللون من الاقاصيص ، هـي فقيرة اليها في سلمها لاثبات اصولها الخارجة على المنطق العقلي ، وفقيرة اليه في قتالها لتبرير عدوانها على الآخرين .

وتدبر معي هذه القصة من قصص الحروب الصليبية المشهورة بقصة « الرمح المقدس » منقولة من كتاب « الشرق والغرب » :

« دفع الصليبيون من اجل عبور آسيا الصغرى ثمنا باهظا اذ فقدوا افضل جنودهم وخيرة عساكرهم بينما استولى الياس والفزع على البقية الباقية .

« وبدا الخوف من تفكك الجيش وفرار الجنود يساور القادة فعمدوا الى بعض الحيل الدينية لصد هذا الخطر وربط الجنود برباط العقيدة . ومن تلك الحيل التي روجوا لها ما رواه المؤرخون عن ظهور المسيح والعذراء امام الجنود الهيابين ووعدهم بالصفح عن الخطايا والخلود في الجنة اذا ما استماتوا في معاركهم ضد المسلمين .

غير أن هذا الاسلوب النظري لم يلهب حماس الجنود ولم يحقق الغرض الذي ابتدعه الصليبيون من اجله فكان لا بد من اسلوب آخر ينطوي على واقعة مادية يكون من شأنها اعادة الايمان الى القلوب التي استبد بها اليأس وتقوية العزائم التي اوهنتها الحرب . وهنا اذيع بين الجنود قصة اكتشاف الرمح المقدس .

تلك الواقعة التي روى تفاصيلها المؤرخ « جيبون » فضلا عن غيره من المؤرخين المعاصرين . قال :

« ان قسا يدعى بطرس بارتلمي من التابعين لاسقفية « مارسيليا » منحرف الخلق ذا عقلية شاذة ، وتفكير ملتو معقد زعم لمجلس قيادة الحملة الصليبية ان قديسا يدعى « اندريه » زاره اثناء نومه وهدده باشد العقوبات ان هو خالف اوامر السماء ثم افضى اليه بأن الرمح الذي اخترق قلب عيسى عليه السلام مدفون بجوار كنيسة القديس بطرس في مدينة « انطاكيا » فروى « بارتلمي » هذه الرؤيا لمجلس قيادة الجيش واخبرهم بأن هذا القديس الذي طاف به في منامه قد طلب اليه ان يبادر الى حفر ارض المحراب لمدة ايام ثلاثة تظهر بعدها « اداة الخلود » التي « تخلص » المسيحيين جميعا ، وان القديس قال له : « ابحثوا تجدوا .. ثم ارفعوا الرمح وسط الجيش وسوف يمرق الرمح ليصيب ارواح اعدائكم المسلمين » .

« واعلن القس « بارتلمي » اسم احد النبلاء ليكون حارسا للرمح واستمرت طقوس العبادة من صوم وصلاة ثلاثة ايام دخل في نهايتها اثنا عشر رجلا ليقوموا بالحفر والتنقيب عن « الرمح » في محراب الكنيسة (!)

« لكن اعمال الحفر والتنقيب التي توغلت في عمق الارض اثني عشر قدما لم تسفر عن شيء . فلما جن الليل اخلد « النبيل » الذي اختير لحراسة الرمح الى شيء من الراحة واخذته سنة من النوم وبدات الجماهير التي احتشدت بأبواب الكنيسة تتهامس ...!

فاستطاع القس « بارتلمي » في جنح الظلام ان ينزل الى الحفرة مخفيا في طيات ثيابه قطعة من نصل رمح احد المقاتلين العرب ، وبلغ اسماع القوم رنين من جوف الحجرة فتعالت صيحاتهم من فرط الفرح وظهر القس وبيده النصل الذي احتواه بعد ذلك قماش من الحرير الموشى بالذهب ثم عرض على الصليبيين ليلتمسوا منه البركة ، واذيعت هذه الحيلة بين الجنود وامتلأت قلوبهم بالثقة ، وقد امعن قادة الحملة في تاييد هذه الواقعة بغض النظر عن مدى ايمانهم بها او تكذيبهم لها .. »

على هذا النحو ، ولمثل هذا الغرض جرت اسطورة ظهور العذراء في كنيسة عادية ، وكاهنها فيما علمت رجل فاشل لا يتردد الاقباط على دروسه .

وبين عشية وضحاها أصبح كعبة الألاف ، فقد شاع وملأ البقاع ان العذراء تجلت شبحا نورانيا فوق برج كنيسته ، ورآها هو وغيره في جنح الليل البهيم ..

وكانما الصحف المصرية كانت على موعد مع هذه الاشاعة ، فقد ظهرت كلها بغتة وهي تذكر النبأ الغامض وتنشر صورة البرج المحظوظ وتلح الى حد الاسفاف في توكيد القصة ..

— وبلغ من الجراة انها ذكرت تكرار التجلي المقدس في كل ليلة .

وكنت موقنا ان كل حرف من هذا الكلام كذب متعمد ، ومع ذلك فان اسرة تحرير مجلة « لواء الاسلام » قررت ان تذهب الى جوار الكنيسة المذكورة كي ترى بعينيها ما هنالك ..

وذهبنا انا والشيخ ((محمد ابو زهرة)) وآخرون ، ومكثنا ليلا طويلا نرقب الافق ونبحث في الجو ونفتش عن شيء فلا نجد شيئا البتة .

وبين الحين والحين نسمع صياحا من الدهماء المحتشدين لا يلبث ان ينكشف عن صفر .. عن فراغ .. عن ظلام يسود السماء فوقنا .. لا عذراء ولا شمطاء ..

← وعدنا وكتبنا ما شاهدنا وفوجئنا بالرقابة تمنع النشر ..

وقال لنا بعض الخبراء : ان الحكومة محتاجة الى جعل هذه المنطقة سياحية ، لحاجتها الى المال ، ويهمها ان يبقى الخبر ولو كان مكذوبا ..

ما هذا ؟! ولقيني استاذ الظواهر الجوية بكلية العلوم في جامعة القاهرة ، ووجدني ساخطا العن التآمر على التخريف واشاعة الافك ، فقال لي : احب أن تسمع لي قليلا ، ان الشعاع الذي قيل برؤيته فوق برج الكنيسة له أصل علمي مدروس ، واقرأ هذا البحث .

وقرات البحث الذي كتبه الرجل العالم المتخصص ١ ، واقتنعت

---

(١) الاستاذ الدكتور محمد جمال الدين الفندي .

به ، واني اثبته كاملا هنا . . :

« ظاهرة كنيسة الزيتون ظاهرة طبيعية .

« عندما اتحدث باسم العلم لا اعتبر كلامي هذا ردا على احـد او فتحا لباب النقاش في ظاهرة معروفة ، فلكل شانه وعقيدته ، ولكن ما اكتب هـو بطبيعة الحال ملخص ما اثبته العلم في هذا المجال من حقائق لا تقبل الجدل ولا تحتمل التاويل نبصر بها الناس ، ولكل شانه وتقديره .

« ولا ينكر العلم الطبيعي حدوث هـذه الظاهرة ، واستمرارها فـي بعض الليالي لعدة ساعات ، بل يقرها ولكن على اساس انها مجرد نيران او وهج او ضياء متعددة الاشكال غيـر واضحة المعالم ، بحيث تسمـح للخيال ان يلعب فيها دوره ، وينسج منهـا مـا شاءت الظـروف ان ينسج مـن الوان الخيوط والصور . انها من ظواهر الكون الكهربائية التـي تحدث تحت ظروف جوية معينة تسمح بسريان الكهرباء من الهواء الـى الارض عبـر الاجسام المرتفعة نسبيا المدببة في نفس الوقت ، شأنها في ذلـك مثلا شأن الصواعق التي هي نيران مماثلة ولكن على مـدى اكبـر وشدة اعظم ، وشأن الفجر القطبي الذي هو في مضمونه تفريـغ كهربي في اعالي جـو الارض ، ولطالما اثار الفجر القطبي اهتمام الناس بمنظره الرائع الخلاب حتـى ذهب بعضهم خطأ الى انه ليلة القدر لانـه يتدلى كالستائر المزركشة ذات الالوان العديدة التي تتموج في مهب الريح .

« ومن امثلة الظواهر المماثلة لظاهرتنا هذه ايضا ـ من حيث حدوث الاضواء وسط الظلام ـ السحب المضيئة العالية المعروفة باسم « سحـاب اللؤلؤ » ، وهذا السحاب يضيء ، ويتلألأ وسط ظلام الليل لانه يرتفع فوق سطح الارض ويبعد عنها البعد الكافي الذي يسمح بسقوط اشعـة الشمس عليه رغم اختفاء قرص الشمس تحت الافق ، وتضيء تلك الاشعة ذلـك السحاب العالي المكون مـن ابر الثلـج فيتلألأ ويلمع ضياؤه ويترنـح وسط ظلام الليل ونقاء الهواء العلوي فيتغنى به الشعراء .

« وتذكرنا هذه الظاهرة كذلك بظاهرة السراب المعروفة ، تلـك التي حيرت جيوش الفرنسيين اثناء حملة نابليون على مصر ، فقد ظنوا انها مـن عمل الشياطين حتى جاءهم العالم الطبيعي « مونج » بالخبـر اليقين وعرف الناس انها من ظواهر الطبيعة الضوئية .

وظاهرتنا التي تهمنا وتشغل بال الكثيرين منـا تسمى في كتب العلـم « نيران القديس الـمو » او « نيران سانت الـمو » ، ونحن نسوق هنا ما جـاء عنها في دائرة المعارف البريطانية التي يملكهـا الكثيرون ويمكنهم الرجوع اليها : النص الانجليزي في : Handy Volume Essue Eleventh Edition

الصحيفة الاولى من المجلد للرابع والعشرين تحت اسم :

St. Elmos Firs

وترجمة ذلك الكلام حرفيا :

نيران سانت المو : هي الوهج الذي يلازم التفريغ الكهربي البطيء من الجو الى الارض . وهذا التفريغ المطابق لتفريغ « الفرشاة » المعروف في تجارب معامل الطبيعة يظهر عادة في صورة راس من الضوء على نهايات الاجسام المدببة التي على غرار برج الكنيسة وصاري السفينة او حتى نتوءات الاراضي المنبسطة ، وتصحبها عادة ضوضاء طقطقة وازيز .

« وتشاهد نيران سانت المو اكثر ما تشاهد في المستويات المنخفضة خلال موسم الشتاء اثناء وفي اعقاب عواصف الثلج .

« واسم سانت المو هو لفظ ايطالي محرف من سانت « رمو » واصله سانت اراموس ، وهو البابا في مدة حكم دومتيان ، وقد حطمت سفينته في ٢ يونيو عام ٣٠٤ ، ومنذ ذلك الحين اعتبر القديس الراعي لبحارة البحر المتوسط الذين اعتبروا نيران سانت المو بمثابة العلاقة المرئية لحمايته لهم ، وعرفت الظاهرة لدى قدماء الاغريق . ويقول بلن Biln في كتابه « التاريخ الطبيعي » انه كلما تواجد ضوءان كانت البحارة تسميهما التوأمان ، واعتبر بمثابة الجسم المقدس .

« على هذا النحو نرى ان اهل العلم الطبيعي لا يتحدثون عن خوارق الطبيعة ، وانما يرجعون كل شيء الى قانونه السليم العام التطبيق أما من حيث انبعاث الوان تميز تلك النيران فيمكننا الرجوع الى بعض ما عمله العلماء الالمان امثال جوكل Gockel من تفسير الاختلاف في الالوان ، فهو يبين في كتابه Das gewiter من التجارب التي اجراها في المانيا انه اثناء سقوط الثلج تكون الشحنة موجبة (اللون الاحمر) اما اثناء تساقط صفائح ثلج فان الشحنة ليست نادرة ويصحبها ازيز ويغلب عليها اللون الازرق .

وفي كتاب الكهرباء الجوية (Atmospheric Electricity) لمؤلفه شوتلاند صفحة ٣٨ نجده يقول :

تحت الظروف الملائمة فان القسم البارز على سطح الارض كصواري السفن اذا تعرضت الى مجالات شديدة من حالات شحن الكهرباء الجوية يحصل التفريغ الوهجي ويظهر واضحا ويسمى نيران سانت المو .

« قارن هذا بالاوصاف التي وردت في جريدة الاهرام بتاريخ ٦/٥/١٩٦٨ « هيئة جسم كامل من نور يظهر فوق القباب الاربع الصغيرة لكنيسة الزيتون او فوق الصليب الاعلى للقبة الكبرى او فوق الاشجار المحيطة بالكنيسة .. الخ .. »

« اما الالوان .. فقد اجمعت التقارير حتى الآن على انها الاصفر الفاتح المتوهج والازرق السماوي » .

وعندما نرجع بالذاكرة الى الحالة الجوية التي سبقت او لازمت الرؤية الظاهرة نجد ان الجمهورية كانت تجتاحها في طبقات الجو العلوي

موجة من الهواء الباردة جدا الذي فاق في برودته هواء اوربا نفسها ممـــا وفر الظرف الملائم لتولد موجات كهربية بسبب عـــدم الاستقرار ، ولكـن فروق الجهد الكهربي يمكن ان تظل كافية مدة طويلة .

« ويضيف ملهام Milham عالم الرصد الجوي البريطاني فـي كتابه « المتيرولوجيا » صفحة ٤٨١ « انه احيانا تنتشر رائحة من الوهج .. » وتفسيرنا العلمي للرائحة انها من نتائج التفاعلات الكيماوية التـــي تصحب التفريغ الكهربي وتكوّن مركبات كالاوزون .

« وخلاصة القول انه من المعروف والثابت علميا ان التفريـغ الكهربي المصحوب بالوهج يحدث من الموصلات المدببة عندما توضع في مجال كهربي كاف ، وهو يتكون من سيال من الايونات التي تحمل شحنات مـن نفس نوع الشحنات التي يحملها الموصل .

« والتفريغات الكهربية التي من هذا النوع يجب ان تتوقع حدوثها من اطراف الموصلات المعرضة على الارض مثل النخيل والابراج ونحوها عندمـا يكون مقدار التغير في الجهد الكهربي كافيا بشرط ان يكـون ارتفاع الجسم المتصل بالارض ودقة الاطراف المعرضة ملائمة ، ومن المؤكـد ان الباحثين الاول امثال فرنكلين لاحظوا مجال الجو الكهربـي حتـــى في حالات صفـاء السماء .

« وتحت الظروف الطبيعية الملائمة التـــي توفرها الاطراف المدببة للاجسام المرتفعة فوق سطح الارض قد يصبح وهج التفريغ ظاهرا واضحا

« وقد ذكر « ولسون » العالم البريطانـي في الكهربائيـة الجويـة ان التفريغ الكهربي البطيء للاجسام المدببة يلعب دورا هاما في التبادل الكهربي بين الجو والارض خصوصا عن طريق الاشجـار والشجيرات وقمم المنازل وحتى حقول الحشائش . وليس من اللازم ان ينتهي الجسم الموصل بطرف مدبب او يبرز الى ارتفاعات عظيمة .

وقد يتساءل الناس :

● .. ان الظاهرة خدعت الاقدمين من الرومان قبل عصر العلم ، ثـم في عصر العلم فسر العلماء الظاهرة على انها تفريغ كهربي لكن التاريخ يعيـد نفسه فقد خدعت نفس الظاهرة الطبيعية اهـــل مصر فاطلقوا عليها نفس الاسم الذي تحمله الكنيسة التي ظهرت النيران فوقها ، ومن هنـا ظن القوم خطأ انها روح مريم عليها السلام .

● .. الظاهرة الطبيعية تحدث في الهواء الطلق اعلى المباني والشجر ولا تحدث داخل المباني وهو عين ما شوهد ، ولو انهـــا كانت روح العذراء لراحت تظهر داخل الكنيسة بدلا من الظهور على الاشجار والقباب .

● .. الظاهرة الجوية يرتبط ظهورها ومكثها بالكهربائيـة الجويـة ، وعموما بالجو وتقلباته ، فهل اذا كانت روحا يرتبط ظهورها بالجو كذلك ؟؟

● .. الظاهرة الطبيعية لا تشاهد الا عندما يخيم الظلام بسبب ضعف

ضوء الوهج بالنسبة الى ضوء الشمس الساطع . ولكن مـا يمنع الارواح الظاهرة ان تظهر بالنهار ؟؟

● .. اذا كانت نفس الظاهرة تشاهد في اماكن اخـرى في مصر فما الموضوع ؟ »

وحاول الدكتور محمد جمال الدين الفندي ان ينشر بحثه في الصحف فابت ، والغريب انه لمـا نشر في مجلـة « الوعي الاسلامي » الكويتيـة منـع دخولها مصر ..

والاغرب من ذلـك ان الاوامـر صدرت لائمـة المساجـد الا يتعرضوا للقصة من قريب او بعيد !

وذهب محافظ القاهرة « سعد زايـد » ليضع تخطيطـا جديـدا للميدان ، يلائم الكنيسة التي سوف تبنى تخليدا لهـذا الحدث الجليل .. وعلمت بعد ذلك من زملائي وتلامذتي ان لتجليـات العـذراء دورات منظمة مقصودة .

فقد ظهرت في « الحبشة » قريبا من احد المساجد الكبرى فاستولت عليه السلطة فورا ، وشيدت على المكان كله كنيسة سامقة !!

وظهرت في « لبنان » فشدت من ازر المسيحية التـي تريـد فرض وجودها على جباله وسهوله مع ان كثرة لبنان مسلمة .

وها هي ذي قد ظهرت في القاهرة اخيرا لتضاعف من نشاط اخواننا الاقباط كي يشددوا ضغطهم على الاسلام ..

وقد ظلت جريدة ((وطني)) الطائفية تتحدث عن هذا التجلي الموهـوم قريبا من سنة ، اذ العـرض مستمر ، والخـوارق تتـرى ، والامـراض المستعصية تشفى ، والحاجات المستحيلة تقضى ..

كل ذلك وافواه المسلمين مكممـة ، واقلامهـم مكسورة حفاظـا عـلى الوحدة الوطنية .

وسوف تتجلى مرة اخرى بداهة عندما تريد ذلك المخابرات المركزية الامريكية . ولله في خلقه شئون ..

الباب الثالث

- مـاذا يريدون ؟
- تقرير رهيب
- الحقائق تتكلم
- نحن نريد الحفاظ على وحدة مصر الوطنية .

مـاذا يريدون ؟

اذا أراد اخواننا الاقباط ان يعيشوا كأعدادهم من المسلمين فانا معهم في ذلك ، وهم يقاربون الآن مليونين ونصف ، ويجب ان يعيشوا كمليونين ونصف من المسلمين ..

لهم ما لهم من حقوق وعليهم ما عليهم من واجبات ، امـا ان يحاولوا فرض وصايتهم على المسلمين ، وجعل ازمـة الحياة الاجتماعية والسياسية في ايديهم فلا ..

● اذا ارادوا ان يبنوا كنائس تسع اعدادهـم لصلواتهم وشعائرهم الدينية فلا يعترضهم احد ..

اما اذا ارادوا صبغ التراب المصري بالطابع المسيحي وابراز المسيحية وكأنها الدين المهيمن على البلاد فلا ..

● اذا ارادوا ان يحتفظوا بشخصيتهم فلا تمتهن وتعاليمهم فـلا تجرح فلهم ذلك ، اما ان يودوا « ارتداد » المسلمين عن دينهم ويعلنوا غضبهم اذا طالبنا بتطبيق الشريعة الاسلامية ، وتعميم التربيـة الدينية فهـذا مـا لا نقبله ..

ان الاستعمار اوعز الى بعضهم ان يقف مراغما للمسلمين ولكننا نريـد تفاهما شريفا مع ناس معقولين ..

ان الاستعمار اشاع بين من اعطـوه آذانهم وقلوبهم ان المسلمين فـي مصر غرباء ، طارئون عليها ، ويجب ان يزولوا - ان لم يكن اليوم فغدا .

وعلى هذا الاساس اسموا جريدتهم الطائفية « وطني » !

ومن هذا المنطلق شرع كثيرون من المغامرين يناوش الاسلام والمسلمين، وكلما رأى عودة من المسلمين الى دينهم همس أو صرخ : عـــاد التعصب ، الاقباط في خطر !!

ولا ذرة من ذلك في طول البـلاد وعرضها ، ولكنهـا صيحات مريبـة انعشها وقواها « بابا شنودة » دون اي اكتراث بالعواقب .

وقد سبقت محاولات من هذا النوع اخمدها العقلاء نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر كتابات القمص « سرجيوس » الذي احتفل « البابا » شنودة اخيرا بذكراه .

ففي العدد ٤١ من السنة ٢٠ من مجلة المنارة الصادر في ١٩٤٧/١٢/٦ كتب هذا القمص تحت عنوان :

« حسن البنا يحرض على قتال الاقليات بعد ان سلح جيوشه بعلم الحكومة » : يقول :

« نشرنا في العدد السابق تفسير الشيخ « حسن البنا » لآية سورة التوبة قوله : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » ١ .

قال :

« وقد قال الفقهاء وتظاهرت على ذلك الادلة من الكتاب والسنة : ان القتال فرض عين اذا ديست ارض الاسلام ، او اعتدى عليها المعتدون من غير المسلمين ، وهو فرض كفاية لحماية الدعوة الاسلامية وتأمين الوطن الاسلامي ، فيكون واجبا على من تتم بهم هذه الحماية وهذا التأمين :

« .. وليس الغرض من القتال في الاسلام اكراه الناس على عقيدة او ادخالهم قسرا في الدين والله يقول : « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » ٢ كما انه ليس الغرض من القتال كذلك الحصول على منافع دنيوية او مغانم دينية ، فالزيت والفحم والقمح والمطاط ليست من أهداف المقاتل المسلم الذي يخرج عن نفسه وماله ودمه لله بأن له الجنة « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن » ٣

حكم قتال اهل الكتاب :

واهل الكتاب : « يقاتلون كما يقاتل المشركون تماما اذا اعتدوا على ارض الاسلام او حالوا دون انتشار دعوته .. »

الرد : للشيخ « حسن البنا » اسلوبه الخاص في الكتابة والتفسير وفي الفتاوى ، ويعرف بالاسلوب المائع اذ يترك دائما الابواب مفتوحة ليدخل متى شاء في ما أراد دون ان يتقيد او يمسك ومن آيات ميوعته انه يقول ان القتال يكون فرض عين اذا ديست ارض الاسلام او اعتدى عليها المعتدون

---

(١) التوبة : ٢٩ .

(٢) البقرة : ٢٥٦ .

(٣) التوبة : ١١١ .

من غير المسلمين دون ان يبين او يحدد مـا هــي أرض الاسلام او الوطن الاسلامي : هل هي الحجاز فقط أم هي كل بلد من بـلاد العالم يكون فيهـا المسلمون اغلبية أو اقلية او متعادلين ؟

وكان في عدم تحديده لارض الاسلام او الوطن الاسلامي ماكرا سيئـا ليكون حرا في اعلان القتال على من يشاء مـن المستضعفين مـن المسيحيين واليهود الذين يقوى على محاربتهم في اي بلد كان ، وكان احرى به ان يقولها كلمة صريحة ان ارض الاسلام هي الحجاز ، اي الارض التـي نشأ عليهـا الاسلام ــ اي الدين الاسلامي ــ وليست البلاد التي يعيش فيها المسلمون في العالم . وسواء كانت ارض الاسلام او وطن الاسلام هــي الحجاز ام هي كل بلد من بلاد العالم يعيش فيه المسلمون فـلا يمكـن العمل بما يقول بـه الشيخ « حسن البنا » بأن القتال فرض عين او فرض كفاية عـلى المسلمين اذا ديست ارض الاسلام او اعتدى عليها المعتدون من غير المسلمين » .

وانا اسأل اي قارىء اطلع على تفسير « حسن البنـا » : هــل اشتم منه رائحة تحريض على الاقباط او اليهود ؟

واسأل اي منصف قرا الرد عليه : هل وجـد فيه الا التحرش والرغبة في الاشتباك دون ادنى سبب ؟

ان هذا القمص المفتري لا يريــد الا شيئا واحــدا : ابعاد الصفة الاسلامية عن مصر واعتبار الحجاز وحده وطنا اسلاميا . اما مصر فليست وطنا اسلاميا لان سكانها المسلمين فوق ٩٢٪ من جملة اهلها .

ولماذا تنفي الصفة الاسلامية عن مصر مع ان هـذه الصفة تذكر لجعل الدفاع عنها فريضة مقدسة ؟

هذا ما يسأل عنه القمص الوطني ، والذين احتفلوا بذكراه بعد ربـع قرن من وفاته . .

ان الدفاع عن مصر ضد الاستعمار العالمي ينبغي ان تهتـز بواعثه وان تفتر مشاعره . . !!

لقد كانت مصر وثنية في العصور القديمة ، ثم تنصر اغلبها فهل يقول الوثنيون المصريون لمن تنصر : انك فقدت وطنك بتنصرك ؟

ثم اقبل الاسلام فدخل فيه جمهـور المصريين ، فهـل يقـال للمسلم : انك فقدت وطنك باسلامك ؟

ما هذه الرقاعة ؟

بيد ان الحملة على الاسلام مضت في طريقها ، وزادت ضراوة وخسة في الايام الاخيرة ، ثم جاء « الانبا شنودة » رئيسـا للاقباط فقاد حملة لا بد من كشف خباياها وتوضيح مداها حتى يدرك الجميع : مم نحذر ؟ ومـاذا نخشى ؟

وما نستطيع السكوت ومستقبلنا كلـه تعصف بـه الفتن ويأتمـر بـه سماسرة الاستعمار .

كنت في الاسكندرية في مارس من سنة ١٩٧٢ ، وعلمت عن غير قصد بخطاب القاه البابا شنودة في الكنيسة المرقصية الكبرى في اجتماع سري أعان الله على اظهار ما وقع فيه .

والى القراء ما حدث كما نقل مسجلا الى الجهات المعنية :

« بسم الله الرحمن الرحيم

« نقدم لسيادتكم هذا التقرير لاهم ما دار في الاجتماع بعد اداء الصلاة والتراتيل :

« طلب البابا شنودة من عامة الحاضرين الانصراف ، ولم يمكث معه سوى رجال الدين وبعض اثريائهم بالاسكندرية وبدأ كلمته قائلا : ان كل شيء على ما يرام ويجري حسب الخطة الموضوعة لكل جانب من جوانب العمل على حدة في اطار الهدف الموحد ، ثم تحدث في عدد من الموضوعات على النحو التالي :

اولا : عدد شعب الكنيسة :

صرح لهم ان مصادرهم في ادارة التعبئة والاحصاء ابلغتهم ان عدد المسيحيين في مصر يقارب الثمانية مليون (٨ مليون نسمة) ، وعلى شعب الكنيسة ان يعلم ذلك جيدا كما يجب عليه ان ينشر ذلك ويؤكده بين المسلمين اذ سيكون ذلك سندنا في المطالب التي سنتقدم بها الى الحكومة التي سنذكرها لكم اليوم .

« والتخطيط العام الذي تم الاتفاق عليه بالاجماع والتي صدرت بشأنه التعليمات الخاصة لتنفيذه وضع على أساس بلوغ شعب الكنيسة الى نصف الشعب المصري بحيث يتساوى عدد شعب الكنيسة مع عدد المسلمين لاول مرة منذ ١٣ قرنا اي منذ « الاستعمار العربي والغزو الاسلامي لبلادنا » على حد قوله ٪ والمدة المحددة وفقا للتخطيط الموضوع للوصول الى هذه النتيجة المطلوبة تتراوح بين ١٢ ، ١٥ سنة من الآن .

« ولذلك فان الكنيسة تحرم تحريما باتا تحديد النسل او تنظيمه ، وتعد كل من يفعل ذلك خارجا عن تعليمات الكنيسة ومطرودا من رحمة الرب وقاتلا لشعب الكنيسة ومضيعا لمجده ، وذلك باستثناء الحالات التي يقرر فيها الطب والكنيسة خطر الحمل او الولادة على حياة المرأة ، وقد اتخذت الكنيسة عدة قرارات لتحقيق الخطة القاضية بزيادة عددهم :

- ١ ــ تحريم تحديد النسل او تنظيمه بين شعب الكنيسة .
- ٢ ــ تشجيع تحديد النسل وتنظيمه بين المسلمين (خاصة وان اكثر من ٦٥٪ (!) من الاطباء والقائمين على الخدمات الصحية هم من شعب الكنيسة) .
- ٣ ــ تشجيع الاكثار من شعبنا ووضع حوافز ومساعدات مادية ومعنوية للاسر الفقيرة من شعبنا .

● ٤ ـ التنبيه على العاملين بالخدمات الصحية على المستويين الحكومي وغير الحكومي كي يضاعفوا الخدمات الصحية لشعبنا ، وبذل العناية والجهد الوافرين ، وذلك من شأنه تقليل نسبة الوفيات بين شعبنا (على ان نفعل عكس ذلك مع المسلمين) .

● ٥ ـ تشجيع الزواج المبكر وتخفيض تكاليفه ، وذلك بتخفيف رسوم فتح الكنائس ورسوم الاكليل بكنائس الاحياء الشعبية .

● ٦ ـ تحرم الكنيسة تحريما تاما على اصحاب العمارات والمساكن المسيحيين تأجير اي مسكن او شقة او محل تجاري للمسلمين ، وتعتبر من يفعل ذلك من الآن فصاعدا مطرودا من رحمة الرب ورعاية الكنيسة ، كما يجب العمل بشتى الوسائل على اخراج السكان المسلمين من العمارات والبيوت المملوكة لشعب الكنيسة ، واذا نفذنا هذه السياسة بقدر ما يسعنا الجهد فسنشجع ونسهل الزواج بين شبابنا المسيحي ، كما سنصعبه ونضيق فرصه بين شباب المسلمين مما سيكون له أثر فعال في الوصول الى الهدف ، وليس بخاف ان الغرض من هذه القرارات هو انخفاض معدل الزيادة بين المسلمين وارتفاع هذا المعدل بين شعبنا المسيحي .

ثانيا : اقتصاد شعب الكنيسة :

قال شنودة : ان المال يأتينا بقدر ما نطلب واكثر مما نطلب ، وذلك من مصادر ثلاثة : امريكا ، الحبشة ، الفاتيكان ، ولكن ينبغي أن يكون الاعتماد الاول في تخطيطنا الاقتصادي على مالنا الخاص الذي نجمعه من الداخل ، وعلى التعاون على فعل الخير بين افراد شعب الكنيسة كذلك يجب الاهتمام اكثر بشراء الارض ، وتنفيذ نظام القروض والمساعدات لمن يقومون بذلك لمعاونتهم على البناء ، وقد ثبت من واقع الاحصاءات الرسمية أن أكثر من ٦٠٪ من تجارة مصر الداخلية هي بأيدي المسيحيين ، وعلينا ان نعمل على زيادة هذه النسبة .

« وتخطيطنا الاقتصادي للمستقبل يستهدف افقار المسلمين ونزع الثروة من ايديهم ما امكن ، بالقدر الذي يعمل به هذا التخطيط على اثراء شعبنا ، كما يلزمنا مداومة تذكير شعبنا والتنبيه عليه تنبيها مشددا من حين لآخر بأن يقاطع المسلمين اقتصاديا وان يمتنع عن التعامل المادي معهم امتناعا مطلقا الا في الحالات التي يتعذر فيها ذلك ، ويعني ذلك مقاطعة : المحامين ـ المحاسبين ـ المدرسين ـ الاطباء ـ الصيادلة ـ العيادات ـ المستشفيات الخاصة ـ المحلات التجارية الكبيرة والصغيرة ـ الجمعيات الاستهلاكية ايضا (!) وذلك ما دام ممكنا لهم التعامل مع اخوانهم من شعب الكنيسة ، كما يجب ان ينبهوا دوما الى مقاطعة صناع المسلمين وحرفييهم والاستعاضة عنهم بالصناع والحرفيين النصارى ، ولو كلفهم ذلك الانتقال والجهد والمشقة » .

ثم قال البابا شنودة : ان هـذا لامر بالغ الاهمية لتخطيطنا العام في المدى القريب والبعيد .

ثالثا : تعليم شعب الكنيسة :

قال البابا شنودة : انه يجب فيما يتعلق بالتعليم العام للشعب المسيحي الاستمرار في السياسة التعليمية المتبعة حاليا مع مضاعفة الجهد في ذلك خاصة وان بعض المساجد شرعت تقوم بمهام تعليمية كالتي نقدم بها في كنائسنا ، الامر الذي سيجعل مضاعفة الجهد المبذول حاليا امرا حتميا حتى تستمر النسبة التي يمكن الظفر بها من مقاعد الجامعة وخاصة الكليات العملية . ثم قال : اني اذ اهنيء شعب الكنيسة خاصة المدرسين منهم على هذا الجهد وتلك النتائج اذ وصلت نسبتنا في بعض الوظائف الهامة والخطيرة كالطب والصيدلة والهندسة وغيرها الى اكثر من ٦٠٪ (!) اني اذ اهنئهم ادعو لهم يسوع المسيح الرب المخلص ان يمنحهم بركاته وتوفيقه حتى يواصلوا الجهد لزيادة هذه النسبة في المستقبل القريب .

رابعا : التبشير :

قال البابا شنودة : كذلك فانه يجب مضاعفة الجهود التبشيرية الحالية اذ ان الخطة التبشيرية التي وضعت بنيت على اساس هدف اتفق عليه للمرحلة القادمة وهو زحزحة اكبر عدد ممكن من المسلمين عن دينهم والتمسك به ، على الا يكون من الضروري اعتناقهم المسيحية ، فان الهدف هو زعزعة الدين في نفوسهم ، وتشكيك الجموع الغفيرة منهم في كتابهم وصدق محمد ، ومن ثم يجب عمل كل الطرق واستغلال كل الامكانيات الكنسية للتشكيك في القرآن واثبات بطلانه وتكذيب محمد .

« واذا افلحنا في تنفيذ هذا المخطط التبشيري في المرحلة المقبلة فاننا نكون قد نجحنا في ازاحة هذه الفئات من طريقنا ، وان لم تكن هذه الفئات مستقبلا معنا فلن تكون علينا .

« غير أنه ينبغي ان يراعي في تنفيذ هـذا المخطط التبشيري ان يتم بطريقة هادئة لبقة وذكية حتى لا يكون ذلك سببا في اثارة حفيظة المسلمين او يقظتهم .

« وان الخطأ الذي وقع منا في المحاولات التبشيرية الاخيرة ـ التي نجح مبشرونا فيها في هداية عدد من المسلمين الى الايمان والخلاص على يد الرب يسوع المخلص (!) ـ هو تسرب انباء هذا النجاح الى المسلمين لان ذلك من شأنه تنبيه المسلمين وايقاظهم من غفلتهم ، وهذا امر ثابت في تاريخهم الطويل معنا ، وليس هو بالامر الهين ، ومن شأن هـذه اليقظة ان تفسد علينا مخططاتنا المدروسة ، وتؤخر ثمارها وتضيع جهودنا ، ولـذا فقد اصدرت التعليمات الخاصة بهذا الامر وسننشرها في كل الكنائس لكي يتصرف جميع شعبنا مع المسلمين بطريقة ودية تمتص غضبهم وتقنعهم

بكذب هذه الانباء ، كما سبق التنبيه على رعاة الكنائس والآباء والقساوسة بمشاركة المسلمين احتفالاتهم الدينية وتهنئتهم بأعيادهم واظهـــار المودة والمحبة لهم .

« وعلى شعب الكنيسة في المصالح والوزارات والمؤسسات اظهار هذه الروح لمن يخالطونهم من المسلمين .. ثم قال بالحرف الواحد :

« اننا يجب ان ننتهز ما هم فيه من نكسة ومحنة لان ذلك في صالحنا ، ولن نستطيع احراز اية مكاسب او اي تقدم نحـو هدفنا اذا انتهت المشكلـة مع اسرائيل سواء بالسلم او بالحرب » ثم هاجم مـــن اسماهـم بضعاف القلوب الذين يقدمون مصالحهم الخاصة على مجـد شعب الرب والكنيسة وعلى تحقيق الهدف الذي يعمل له الشعب منذ عهد بعيد ، وقال انه لـم يلتفت الى هلعهم ، وأصر على انه سيتقدم الـى الحكومـة رسميـا بالمطالب الواردة بعد حيث انه اذا لم يكسب شعب الكنيسة في هـذه المرحلة مكاسب على المستوى الرسمي فربما لا يستطيع احراز اي تقدم بعد ذلك .

ثم قال بالحرف الواحد : « وليعلم الجميع خاصة ضعاف القلـوب ان القوى الكبرى في العالم تقف وراءنا ولسنا نعمل وحدنا ، ولا بـــد مــن ان نحقق الهدف ، لكن العامل الاول والخطير في الوصول الـى مـا نريد هـو وحدة شعب الكنيسة وتماسكه وترابطه .. ولكن اذا تبددت هـذه الوحدة وذلك التماسك فلن تكون هناك قوة ما عـــلى وجه الارض مهما عظم شأنها تستطيع مساعدتنا » .

ثم قال : ولن انسى موقف هؤلاء الذين يريدون تفتيت وحدة شعب الكنيسـة ، وعليهم ان يبادروا فورا بالتوبـة وطلب الغفران والصفـح ، والا يعودوا لمخالفتنا ومناقشة تشريعاتنا واوامرنا ، والرب يغفر لهم (وهـــو يشير بذلك الى خلاف وقع بين بعض المسئولين منهم ، اذ كان البعض يرى التريث وتأجيل تقديم المطالب المزعومة الى الحكومة) .

ثم عدد البابا شنودة المطالب التي صرح بانـــه سوف يقدمها رسميا الى الحكومة :

- ١ ــ ان يصبح مركز البابا الرسمي فـي البروتوكول السياسي بعد رئيس الجمهورية وقبل رئيس الوزراء .
- ٢ ــ ان تخصص لهم ٨ وزارات (اي يكون وزراؤها نصارى) .
- ٣ ــ ان تخصص لهم ربع القيادات العليا في الجيش والبوليس .
- ٤ ــ ان تخصص لهم ربع المراكز القيادية المدنية ، كرؤساء مجالس المؤسسات والشركات والمحافظين ووكـلاء الوزارات والمديـرين العامين ورؤساء مجالس المدن .
- ٥ ــ ان يستشار البابا عنـد شغل هذه النسبة في الوزارات والمراكز العسكرية والمدنية ، ويكون له حق ترشيح بعض العناصر والتعديل فيها .

● ٦ ـ أن يسمح لهم بانشاء جامعة خاصة بهم ، وقد وضعت الكنيسة بالفعل تخطيط هذه الجامعة وهي تضم : المعاهد اللاهوتية الكليات العملية والنظرية ، وتمول من مالهم الخاص .

● ٧ ـ يسمح لهم باقامة اذاعة خاصة من مالهم الخاص .

ثم ختم حديثه بأن بشر الحاضرين ، وطلب اليهم نقل هذه البشرى لشعب الكنيسة بأن أملهم الاكبر في عودة البلاد والاراضي الى اصحابها من « الغزاة المسلمين » قد بات وشيكا ، وليس في ذلك ادنى غرابة ـ في زعمه ـ وضرب لهم مثلا باسبانيا النصرانية التي ظلت بأيدي « المستعمرين المسلمين » قرابة ثمانية قرون (٨٠٠ سنة) ، ثم استردها اصحابها النصارى ، ثم قال : « وفي التاريخ المعاصر عادت اكثر من بلد الى اهلها بعد ان طردوا منها منذ قرون طويلة جدا (واضح ان شنودة يقصد اسرائيل) ، وفي ختام الاجتماع انهى حديثه ببعض الادعية الدينية للمسيح الرب الذي يحميهم ويبارك خطواتهم » .

بين يدي هذا التقرير المثير لا بد من كلمة ، ان الوحدة الوطنية الرائعة بين مسلمي مصر واقباطها يجب ان تبقى وأن تصان ، وهي مفخرة تاريخية ، ودليل جيد على ما تسديه السماحة من بر وقسط .

ونحن ندرك ان الصليبية تغص بهذا المظهر الطيب وتريد القضاء عليه ، وليس بمستغرب ان تفلح في افساد بعض النفوس وفي رفعها الى تعكير الصفو ..

وعلينا ـ والحالة هذه ـ ان نراب كل صدع ، ونطفيء كل فتنة ، لكن ليس على حساب الاسلام والمسلمين ، وليس كذلك على حساب الجمهور الطيب من المواطنين الاقباط .

وقد كنت اريد ان اتجاهل ما يصنع الاخ العزيز « شنودة » الرئيس الديني لاخواننا الاقباط غير أني وجدت عددا من توجيهاته قد اخذ طريقه الى الحياة العملية .

● فقد قاطع الاقباط مكاتب تنظيم الاسرة تقريبا .

● ونفذوا بحزم خطة تكثير عددهم في الوقت الذي تنفذ فيه بقوة وحماسة سياسة تقليل المسلمين ..

واعتقد ان الاقباط الآن يناهزون ثلاثة ملايين اي انهم زادوا في الفترة الاخيرة بنسبة ما بين ٤٠٪ ، ٥٠٪ !!

● ثم ان الاديرة تحولت الى مراكز تخطيط وتدريب ـ خصوصا اديرة وادي النطرون التي يذهب اليها بابا الاقباط ولفيف من اعوانه المقربين ، والتي يستقدم اليها الشباب القبطي من اقاصي البلاد لقضاء فترات معينة وتلقي توجيهات مريبة ..

● وفي سبيل اضفاء الطابع النصراني على التراب المصري ، استغل الاخ العزيز « شنودة » ورطة البلاد في نزاعها مع اليهود والاستعمار العالمي

لبناء كنائس كثيرة لا يحتاج العابدون اليها ـ لوجود مـا يغني عنهـا ـ فماذا حـدث ؟

لقد صدر خلال اغسطس وسبتمبر واكتوبر سنـــة ١٧٩٢ خمسون مرسوما جمهوريا بانشاء ٥٠ كنيسة ، يعلم اللـــه ان اغلبها بنـــي للمباهاة واظهار السطوة واثبات الهيمنة في مصر .

وقد تكون الدولة محرجة عندما اذنت بهذا العدد الذي لم يسبق لـه مثيل في تاريخ مصر ..

لكننا نعرف المسئولين ان الاخ العزيز « شنودة » ! لن يرضى لانه في خطابه كشف عن نيته ، وهي نية تسيء الى الاقباط والمسلمين جميعا ..

وقد نفى رئيس لجنة « تقصي الحقائـق » ان يكـون هـذا الخطـاب صادرا عن رئيس الاقباط .

ولما كان رئيس اللجنة ذا ميـول « شيوعية » وتهجمه عـلى الشرع الاسلامي معروف ، فان هذا النفي لا وزن له ، ثـم انـه ليس المتحدث الرسمي باسم الكنيسة المصرية ..

ومبلغ علمي ان الخطاب مسجل بصوت البابا نفسه ومحفوظ ويوجـد الآن من يحاول تنفيذه كله .

ونحن نناشد الاقباط العقلاء ان يتريثوا وان يأخـذوا عـلى ايـدي سفهائهم وان يبقوا بلادنا عامـرة بالتسامح والوئام كما كان ذلك ديدنها مـن قرون طوال ..

واذا كانت قاعدة « لنا ما لكم وعلينا ما عليكم » لا تقنع فكثروا بعض ما لكم وقللوا بعض ما عليكم شيئا ما ، شيئا معقولا ، شيئـا يسهل التجاوز عنه والتماس المعاذير له !!

اما ان يحلم البعض بازالتنا من بلدنا ، ويضع لذلك خطـة طويلة المدى فذلك ما لا يطاق ، وما نرجو عقلاء الاقباط ان يكفونا مؤونته ، ونحن عـلى أتم استعداد لان ننسى .. وننسى ...

الباب الرابع

- الاسلام وجماعة الاخوان .
- تقرير يفضح النيات المبيتة للاسلام .
- صور من الهجوم على الاسلام ذاته ـ تحقير الماضي ـ تزوير التاريخ .
- القومية العربية ومعناها .
- فتح المجال على مصراعيه لضرب الاسلام .
- العدالـة العربيـة .
- صفحات من مذكرات معتقل .

انتسبت لجماعة الاخوان في العشرين من عمري ، ومكثت فيها قرابة سبع عشرة سنة ، كنت خلالها عضوا في هيئتها التاسيسية ، ثم عضوا في مكتب الارشاد العام ..

وشاء الله ان يقع نزاع حاد بيني وبين قيادة الجماعة انتهى بصدور قرار يقضي بفصلي وفصل عدد آخر من الاعضاء .

وبعد عدة شهور من ذلك الحدث صدر قرار حكومي بحل الجماعة كلها والاجهاز على جميع انشطتها .

واريد ان اكون منصفا ، فان الزعم بأن جميع الاخوان اشرار سخف وافتراء ، والزعم بأن الجماعة كلها كانت معصومة من الخطأ غرور وادعاء .

وليس ذلك ما يعنيني هنا ، انما الذي يعنيني امر آخر هو الاهم والاخطر ، عند الله وعند الناس ، أمر الاسلام نفسه .

قال لي أحد الناس : ليذهب الاخوان الى الجحيم !

قلت له : اسمع ، مصاير الناس بيد الله وحده ، وليذهب من شاء الى الجحيم .. لكن هل يذهب الاسلام الى الجحيم معهم ؟

قال : لا . قلت : دعني من العناوين ولنتحدث في الموضوع . هل نترك كتاب ربنا وسنة نبينا أم نتشبث بهما ونحرص عليهما ؟ فأجاب بعد تريث : لا نترك ديننا !

قلت : هل ننفذ من ديننا ما نحب ونهمل ما نكره ، أم نطيع الله في كل ما أمر به ونهى عنه ؟ ان هناك نصوصا في الكتاب والسنة معطلة محكوما عليها بالموت ، ونصوصا اخرى تنفذ جزئيا ولا يؤذن بتطبيقها على وجه كامل فهل تبقى هذه الاوضاع أم ينبغي اصلاحها ؟

قال : لكن هذا ما يقوله الاخوان المسلمون !!

قلت له : دعني من جماعة الاخوان ، فقد نفضت يدي من العناوين ، أنا اتحدث عن الاسلام نفسه ، وعن المنحدر الذي وقع فيه وعن الامة الكسيرة التي تنتمي اليه ، الم نتفق على ضرورة التمسك بكتاب ربنا وسنة نبينا ؟

قال : بلى !! قلت : وذاك ما نريد ان نتعاون على بلوغه ، ونرسم الخطة المثلى لتحقيقه !

ولعلك ترى معي بعد ذلك ان الانتساب للاسلام ليس جريمة ، وان الجريمة هي تشويه نهجه وانكار هديه وترك اعدائه احرارا في النيل منه ..

قال : اشعر انك تجرني بدهاء الى جماعة الاخوان !!

قلت له : يا أخي تخلَّ عن هذه العقدة التي تحكمك .. انني اريد ان اعمل للاسلام الذي رفع علمه خاتم الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم ، وخلفه على مواريثه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي .. هذا المصحف المهجور في دواوين السلطة ، وفى ارجاء المجتمع نريد ان نؤنس وحشته ونرفع شعاره .

دعني من اي تجمع حدث في هـذا العصر ، ولننس الاشخاص الذيـن اشتهروا ، ولنطو صحائفهم بما فيها من خطـأ وصواب ولنعمل للاسلام وحـده ..

فسكت مترددا حائرا .

قلت له : اسمع ، ان هناك قوما يكرهون الاسلام ذاتـه ويخدمـون بكراهيته القوى الثلاث التي تجمعت ضده اليوم :

الشيوعية ، الصهيونية ، الصليبية ، وهؤلاء يريدون ان يجعلوا مـن كلمة « الاخوان » سيفا مصلتا على عنق كل مخلص له عمل في حقله ، وانـا ارفض هذا الخلط ..

ان ارهاب المجاهدين في سبيل الله بوصفهم اخوانـا ، ووضع العوائق امام النهضة الاسلامية بزعم ان ذلك منع لعودة الجماعة المنحلـة ، ان هـذا وذاك خيانة عظمى ، وارتداد عن الملة ..

لقد اصبح التجمع على الاسلام ضرورة حياة في وجـه اليهـود الذين احتلوا اجزاء حساسة من ارضنا ، ويوشك ان تكون لهم وثبة اخرى ربمـا كانت نحو عواصمنا وبقيـة مقدساتنا ، فاصطياد الريب لهـذا التجمع لا استطيع وصفه الا بانه عمل لمصلحة بني اسرائيل ..

ان الخطة التي وضعت لمحاربة جماعـة الاخوان لا يسوغ ان تستغـل لمحاربة الله ورسوله .

ويسوءني ان الذين رسموا هذه الخطة يحاولـون ان يقضوا بهـا عـلى الدين نفسه ، والفرق واضح بين دين لـه قداسته ونفـر مـن الناس لهم خطؤهم وصوابهم .

اقرأ معي هذا التقرير ... :

تقرير اللجنة المؤلفـة برياسة السيـد « زكريـا محي الدين » رئيس الوزراء في حينـه بشان القضاء عـلى تفكير الاخـوان بناء على اوامر السيد الرئيس بتشكيل لجنـة عليـا لدراسة واستعراض الوسائل التي استعملت والنتائج التي تم التوصل اليها بخصوص مكافحة جماعـة الاخـوان المسلمين المنحلـة ، ولوضع برنامج لافضل الطرق التي يجب استعمالها في مكافحة الاخوان بالمخابرات ، والمباحث العامة ، لبلوغ هدفين :

- ا ــ غسل مخ الاخوان من افكارهم .
- ب ــ منع عدوى افكارهم من الانتقال الى غيرهم .

اجتمعت اللجنة المشكلة من :

١ ــ سيادة رئيس مجلس الوزراء
٢ ــ السيد / قائد المخابرات العامة
٣ ــ السيد / قائد المباحث الجنائية العسكرية

٤ ـ السيد / مدير المباحث العامة

٥ ـ السيد / مدير مكتب السيد المشير عبد الحكيم عامر

وذلك في مبنى المخابرات العامة بكوبري القبة ، وعقدت عشرة اجتماعات متتالية وبعد دراسة كل التقارير والبيانات والاحصائيات السابقة ، امكن تلخيص المعلومات المجتمعة في الآتي :

١ ـ تبين ان تدريس التاريخ الاسلامي في المدارس للنشء بحالته القديمة يربط السياسة بالدين في لا شعور كثير من التلاميذ منذ الصغر ويتتابع ظهور معتنقي الافكار الاخوانية .

٢ ـ صعوبة واستحالة التمييز بين اصحاب الميول والنزعات الدينية وبين معتنقي الافكار الاخوانية ، وسهولة وفجائية تحول الفئة الاولى الى الفئة الثانية بتطرف اكبر .

٣ ـ غالبية افراد الاخوان عاش على وهم الطهارة ، ولم يمارس الحياة الجماعية الحديثة ، ويمكن اعتبارهم من هذه الناحية « خام » .

٤ ـ غالبيتهم ذوو طاقة فكرية وقدرة تحمل ومثابرة كبيرة على العمل وقد ادى ذلك الى اطراد دائم وملموس في تفوقهم في المجالات العلمية والعملية التي يعيشون فيها وفي مستواهم الفكري والعلمي والاجتماعي بالنسبة لانداذهم رغم ان جزءا غير بسيط من وقتهم موجه لنشاطهم الخاص بدعوتهم المشئومة .

٥ ـ هناك انعكاسات ايجابية سريعة تظهر عند تحرك كل منهم للعمل في المحيط الذي يقتنع .

٦ ـ تداخلهم في بعض ، ودوام اتصالهم الفردي ببعض وتزاورهم ، والتعارف بين بعضهم البعض يؤدي الى ثقة كل منهم في الآخر ثقة كبيرة .

٧ ـ هناك توافق روحي ، وتقارب فكري وسلوكي يجمع بينهم في كل مكان حتى ولو لم تكن هناك صلة بينهم .

٨ ـ رغم كل المحاولات التي بذلت منذ عام ١٩٣٦ لافهام العامة والخاصة بأنهم يتسترون وراء الدين لبلوغ اهداف سياسية الا ان احتكاكهم الفردي بالشعب يؤدي الى محو هذه الفكرة عنهم ، رغم انها بقيت بالنسبة لبعض زعمائهم .

٩ ـ تزعمهم حرب العصابات سنة ١٩٤٨ والقتال سنة ١٩٥١ رسب في افكار بعض الناس صورهم كأصحاب بطولات وطنية عملية ، وليست دعائية فقط ، بالاضافة الى ان الاطماع الاسرائيلية والاستعمارية والشيوعية في المنطقة لا تخفي اغراضها في القضاء عليهم .

١٠ ـ نفورهم من كل من يعادي فكرتهم جعلهم لا يرتبطون بأي سياسة خارجية سواء كانت عربية او شيوعية او استعمارية ، وهذا يوحي لمن ينظر في ماضيهم انهم ليسوا عملاء .

وبناء على ذلك رأت اللجنة ان الاسلوب الجديد في المكافحة يجب ان

يشمل أساسا بندين متداخلين وهما :

آ ـ محو فكرة ارتباط الدين الاسلامي بالسياسة .

ب ـ ابادة تدريجية مادية ومعنوية وفكرية للجيل القائم فعلا من معتنقي الفكرة .

ويمكن تلخيص اسس الاسلوب الواجب استخدامه لبلوغ هذين الهدفين في الآتي :

● اولا : سياسة وقائية عامة :

١ ـ تغيير مناهج تدريس التاريخ الاسلامي والدين في المدارس وربطها بالمعتقدات الاشتراكية كاوضاع اجتماعية واقتصادية وليست سياسية ، مع ابراز مفاسد الخلافة خاصة زمن العثمانيين وان تقدم الغرب السريع انما كان عقب هزيمة الكنيسة واقصائها عن السياسة .

٢ ـ التحري الدقيق عن رسائل وكتب ونشرات ومقالات الاخوان المسلمين في كل مكان ثم مصادرتها واعدامها .

٣ ـ يحرم بتاتا قبول ذوي الاخوان واقربائهم حتى الدرجة الثالثة في القرابة من الانخراط في السلك العسكري او البوليس او السياسة مع سرعة عزلة الموجودين من هؤلاء الاقرباء من هذه الاماكن او نقلهم الى الاماكن الاخرى في حالة ثبوت ولائهم .

٤ ـ مضاعفة الجهود المبذولة في سياسة العمل الدائم على افقاد الثقة بينهم وتحطيم وحدتهم بشتى الوسائل وخاصة عن طريق اكراه البعض على كتابة تقارير عن زملائهم بخطهم ثم مواجهة الآخر بما معها مع العمل على منع كل من الطرفين من لقاء الآخر اطول فترة ممكنة لتزيد هوة انعدام الثقة بينهم .

٥ ـ بعد دراسة عميقة لموضوع المتدينين من غير الاخوان ، وهم الذين يمثلون « الاحتياطي » لهم وجد ان هناك حتمية طبيعية عطية لالتقاء الصنفين في المدى الطويل ، ووجد انه من الافضل ان يبدأ بتوحيد معاملتهم بمعاملة الاخوان قبل ان يفاجئونا كالعادة باتحادهم معهم علينا .

ومع افتراض احتمال كبير لوجود ابرياء منهم الا ان التضحية بهم خير من التضحية بالثورة في يوم ما على ايديهم .

ولصعوبة واستحالة التمييز بين الاخوان والمبتدئين بوجه عام فلا بد من وضع الجميع ضمن فئة واحدة ومراعاة ما يلي :

آ ـ تضييق فرص الظهور والعمل امام المتدينين عموما في المجالات العلمية والعملية .

ب ـ محاسبتهم بشدة وباستمرار على اي لقاء فردي او زيارات او اجتماعات تحدث بينهم .

جـ ـ عزل المتدينين عموما عن اي تنظيم او اتحاد شعبي او حكومي او اجتماعي او طلابي او عمالي او اعلامي .

د ـ التوقف عن السياسة السابقة في السماح لاي متدين بالسفر للخارج للدراسة او العمل حيث فشلت هذه السياسة في تطوير معتقداتهم وسلوكهم ، وعدد بسيط جدا منهم هو الذي تجاوب مع الحياة الاوربية في البلاد التي سافروا اليها . اما غالبيتهم فان من هبط منهم في مكان بدأ ينظم فيه الاتصالات والصلوات الجماعية او المحاضرات لنشر أفكاره .

هـ ـ التوقف عن سياسة استعمال المتدينين في حرب الشيوعيين واستعمال الشيوعيين في حربهم بفرض القضاء على الفئتين ، حيث ثبت تفوق المتدينين في هذا المجال ، ولذلك يجب ان نعطي الفرص للشيوعيين لحربهم وحرب افكارهم ومعتقداتهم ، مع حرمان المتدينين من الاماكن الاعلامية .

و ـ تشويش الفكرة الشائعة عن الاخوان في حرب فلسطين والقنال وتكرار النشر بالتلميح والتصريح عن اتصال الانجليز بالهضيبي ، وقيادة الاخوان ، حتى يمكن غرس فكرة انهم عملاء للاستعمار في اذهان الجميع .

ز ـ الاستمرار في سياسة محاولة الايقاع بين الاخوان المقيمين في الخارج وبين الحكومات العربية المختلفة وخاصة في الدول الرجعية الاسلامية المرتبطة بالغرب ، وذلك بأن يروج عنهم في تلك الدول انهم عناصر مخربة ومعادية لهم وانهم يضرون بمصلحتها ، وبهذا تسهل محاصرتهم في الخارج أيضا .

● ثانيا : سياسة استئصال السرطان الموجود الآن وبالنسبة للاخوان الذين اعتقلوا او سجنوا في اي عهد من العهود يعتبرون جميعا قد تمكنت منهم الفكرة كما يتمكن السرطان في الجسم ولا يرجى شفاؤه ، ولذا تجري عملية استئصالهم كالآتي :

● **المرحلة الاولى** : ادخالهم في سلسلة متصلة من المتاعب تبدأ بالاستيلاء او وضع الحراسة على اموالهم وممتلكاتهم ، ويتبع ذلك اعتقالهم واثناء الاعتقال تستعمل معهم اشد انواع الاهانة والعنف والتعذيب على مستوى فردي ودوري حتى يصيب الدور الجميع ثم يعاد وهكذا .

وفي نفس الوقت لا يتوقف التكدير على المستوى الجماعي بل يكون ملازما للتأديب الفردي .

وهذه المرحلة اذا نفذت بدقة ستؤدي الى :

● **بالنسبة للمعتقلين** : اهتزاز الافكار في عقولهم وانتشار الاضطرابات العصبية والنفسية والعاهات والامراض بينهم .

● **بالنسبة لنسائهم** : سواء كن زوجات او اخوات او بنات فسوف يتحررن ويتمردن لغياب عائلهن ، وحاجتهن المادية قد تؤدي لانزلاقهن .

● **بالنسبة للاولاد** : تضطر العائلات لغياب العائل ولحاجتها المادية الى توقيف الابناء عن الدراسة وتوجيههم للحرف والمهن ، وبذلك يخلو جيل الموجهين المتعلم القادم ممن في نفوسهم اي حقد او اثر من آثار أفكار

آبائهم .

● **المرحلة الثانية :**

اعدام كل من ينظر اليه بينهم كداعية ، ومن تظهر عليه الصلابة سواء داخل السجون او المعتقلات او بالمحاكمات ، ثم الافراج عنهم بحيث يكون الافراج عنهم على دفعات ، مع عمل الدعاية اللازمة لكي تنتشر انباء العفو عنهم ليكون ذلك سلاحا يمكن استعماله ضدهم من جديد في حالة الرغبة في اعادة اعتقالهم .

واذا احسن تنفيذ هذه المرحلة مع المرحلة السابقة فستكون النتائج كما يلي :

● ١ ـ يخرج المعفو عنه الى الحياة فان كان طالبا فقد تأخر عن اقرانه ، ويمكن ان يفصل من دراسته ويحرم من متابعة تعليمه .

● ٢ ـ ان كان موظفا او عاملا فقد تقدم زملاؤه وترقوا وهو قابع مكانه .

● ٣ ـ ان كان تاجرا فقد افلست تجارته ، ويمكن ان يحرم من مزاولة تجارته .

● ٤ ـ ان كان مزارعا فلن يجد ارضا يزرعها حيث وقعت تحت الحراسة او صدر قرار استيلاء عليها .

وسوف تشترك الفئات المعفو عنها جميعها في الآتي :

● ١ ـ الضعف الجسماني والصحي والسعي المستمر خلف العلاج والشعور المستمر بالضعف المانع من اية مقاومة .

● ٢ ـ الشعور العميق بالنكبات التي جرتها عليهم دعوة الاخوان وكراهية الفكرة والنقمة عليها .

● ٣ ـ انعدام ثقة كل منهم في الآخر ، وهي نقطة لها اهميتها في انعزالهم عن المجتمع وانطوائهم على انفسهم .

● ٤ ـ خروجهم بعائلاتهم من مستوى اجتماعي أعلى الى مستوى اجتماعي ادنى نتيجة لعوامل الافقار التي احاطت بهم .

● ٥ ـ تمرد نسائهم وثورتهن على تقاليدهم ، وفي هذا اذلال فكري ومعنوي لكون النساء في بيوتهن يخالف سلوكهن افكارهم ، ونظرا للضعف الجسماني والمادي لا يمكنهم الاعتراض .

● ٦ ـ كثرة الديون عليهم نتيجة لتوقف ايراداتهم واستمرار مصروفات عائلاتهم .

النتائج الايجابية لهذه السياسة هي :

١ ـ الضباط والجنود الذين يقومون بتنفيذ هذه السياسة سواء من الجيش او البوليس سيعتبرون فئة جديدة ارتبط مصيرها بمصير هذا الحكم القائم حيث **يستشعرون عقب التنفيذ انهم (اي الضباط والجنود) في حاجة الى نظام الحكم القائم ليحميه من اي عمل انتقامي قد يقوم به**

الاخوان للثار .

٢ ــ اثارة الرعب في نفس كل مــن تسول لــه نفسه القيام بمعارضة فكرية للحكم القائم .

٣ ــ وجود الشعور الدائم بان المخابرات تشعــر بكــل صغيرة وكبيرة وان المعارضين لن يستتروا وسيكون مصيرهم اسوأ مصير .

٤ ــ محول فكرة ارتباط السياسة بالدين الاسلامي .

انتهى ويعرض على السيد الرئيس جمال عبد الناصر

امضاء

السيد / رئيس مجلس الوزراء

السيد / قائد المخابرات

السيد / قائد المباحث الجنائية العسكرية

السيد / مدير المباحث العامة

السيد / شمس بدران

أوافق على اقتراحات اللجنة .

جمال عبد الناصر

هذا تقرير رديء ، وقع في الخلط الذي حذرنا منه ، ونلاحظ عليه ثلاثة أمور :

- أن الخصومة بلغت حد اللدد والعنت ، وسنؤخــر الحديث فــي حقيقة ما وقع الى آخر هذا الفصل .
- ان عاطفة التدين امست موضع اتهام ، وان المتدينين جملة لا يرتاح اليهم .
- ان باب المسخ والتحريف الاسلامي نفسه انفتح عــلى مصراعيه

والمتأمل في اسماء واضعي التقرير يرى ان اغلبهم يساري النزعـة ، وهم في السجون الآن لمحاولات آثمة ارتكبوها ضد حركة التصحيح التـي قادهـا الرئيس انور السادات . .

لقد اتجه الهدم اذن الى اعمدة الفكر الاسلامي نفسه ، وانفسح المجال امام كل افاك ليقول ما عنده وهو آمن ، على حين احتبست أصوات المؤمنين في حلوقهم .

ولم يتحرك في ميدان الدين كلــه الا واحد مــن رجلين : امــا مسلـم منحرف يضر الاسلام ولا ينفعه ، او نصراني ذكي اهتبل الفرصة فامتد الــى ما قصرت عنه آمال اسلافه من ألف عام . .

وظهر المسلمون وكانهم في اعقاب غارة عاتية أكلت الاخضر واليابس .

ولنشرح في ايضاح الامور التي لاحظناها عــلى التقرير الآنف بادئين بآخرها الذي يمس التاريخ الاسلامي .

ظهرت حركة تحقير « للماضي » وصرف للشباب عنه وعن القيم التـي يحتويها .

(١) ترجم الدكتور زكي نجيب محمود عن ذلك في مقـال نشرتـه جريدة « الاهرام » جاء فيه ان بناء الانسـان العربي في العصر الحديث لا يجـوز ان يعتمد على ما كان اي على ما قال فلان وروى علان .. !!

من المقصود بهذا الكلام المرسل ؟

من الذين يعتمدون على القول والرواية في مجتمعنا ؟

ان الرجل يطلب في اجمال ترك القرآن والسنة ، واذا لم يصرح بذلك فلأنه حدد هدفه وصرح به في مقال آخر عندما أوصى بقراءة كتاب « راس المال » لكارل ماركس .

ونحن المسلمين تعلمنا في كتابنا احترام « الحقيقة » بغض النظر عـن زمان ماض او قادم ، فلا الحقيقة يشينها انها من نتاج الاوائل ، ولا الخرافة يزكيها انها من انتاج المعاصرين ..

ومن بيع الماء للسقائين ــ كما يقول العامـة ــ ان ينصح ناصح الاسلام والمسلمين بعدم التعويل على الماضي عنـــد وزن الحقائق ، كيف والقرآن الكريم يعيب المقلدين الجامدين فيقول :

« واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا او لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون » !

ولكن الماضي يعاب يوم يكون أمجاد الاسلام وهداياته ويترك ليؤثر في الكيان الدولي يوم يكون اقامة لاسرائيل واحياء لترهات العهد القديم !!

اما الدكتور « فؤاد زكريا » فيربط بين تقديس المـــاضي والنظـــام الاقطاعي فيقول : « ان زمام السيطرة في هــذا المجتمع يقــع في قبضة أناس يتجهون بحكم وضعهم الاجتماعي الــى تكريم الاسلاف والاشادة بماضيهم ، فالمالك الاقطاعي الكبير يدين بثروته ونفوذه في معظم الاحيان للوراثة ..

وهكذا فان أمجاده كلها مرتبطة بالماضي ، وكــل قيمة للحاضر انمــا تستمد ــ في نظره ــ من علاقته بهذا الماضي . ولمـا كان الاعيان الاقطاعيون هم المسيطرين في هذا المجتمع فان طرق تفكيرهم وقيمهم الاخلاقية هي التي تنتشر وتطبع صورتها على المجتمع ككل !

ومن هنا تتعلق الاذهان في مثل هــذا المجتمع بالماضي ، وتنظر الــى المستقبل بعين الارتياب ، بل انها لا ترضى عن الحاضر ذاته الا بقدر ما يكون انعكاسا للماضي .. »

انني تحيرت في بواعث هذا الكلام ، هل الشكوى مــن التعلق بالماضي تعود الى تشبث الملاك الكبار والصغار بوسائل عقيمة في الانتاج ؟

واقع بلادنا ينطق بغير هذا .

اذن ما القصد من مهاجمة الماضي ورفض امتداده في الحاضر ؟

---

(١) المائدة : ١٠٤

ومضيت في قراءة كتاب « الجوانب الفكرية للنظم الاجتماعية » الذي الفه الدكتور « فؤاد زكريا » فاذا هو يتحدث عن تأثير المصالح الاقطاعية في التصورات الدينية فيقول انها « اسهمت بدورها في تشكيل عقول الافراد بصورة مميزة : تلك هي ادخال نوع من التفاوت او التسلسل في المراتب في المجال الروحي ذاته . فهناك مجتمعات تتصور الالوهية عالية مترفعة عن عالم البشر ، وتقيم نوعا من تدرج المراتب بين هذه الالوهية وعامة الناس ، فبعد الله يأتي الانبياء والقديسون ، ثم كبار الكهنة ورجال الدين ، وبتدرج الترتيب بعد ذلك حتى يصل آخر الامر الى الانسان العادي . ولا بد في الارتقاء الى كل مرحلة من هذه المراحل من المرور بالمراحل السابقة ، اي ان الانسان العادي لا يستطيع مثلا ان يتقرب الى الله او يحظى بالشفاعة من احد القديسين الا عن طريق الكاهن الذي يتوسط بينه وبينهم .

بالتدرج وتفاوت المراتب ان هناك نظرات اخرى الى الدين تختفي فيها هذه الحواجز ، ويشيع فيها التقارب بين الله والانسان !! اذ يعد الله قريبا من البشر مستجيبا ومعينا لهم ، بل ان بعض المذاهب الدينية تؤكد حلول الله في العالم ، وامكان اتحاد الانسان به اذا هو ارتقى الى مستوى معين من الروحانية !! هذه الفكرة الاخيرة ترتبط بنظرة اكثر ديمقراطية الى المجتمع

والدليل على ان هذه النظرة الى الدين انعكاس لنظام اجتماعي يتسم بالديمقراطية على حين ان فكرة تسلسل المراتب من الاعلى الى الادنى كانت البشرى لانها لا ترتكز على تأكيد الفوارق في المرتبة بين الموجودات ... وبالفعل سادت هذه النظرة في العصور التي كانت اقرب الى روح مقترنة بالفوارق التي هي اولى خصائص المجتمع الاقطاعي .. » .

أي أن الدين قد يكون انتاجا اقطاعيا او انتاجا ديمقراطيا !! فحيث توجد فوارق بين الله والناس فالدين اختراع الاقطاعيين أما حيث تقل الفوارق ويمكن أن يتحد الانسان مع الله فالدين اختراع الديمقراطيين !!

هذه هي فكرة أستاذ فلسفة عن الدين يقدمها لطلابه في كلية آداب عين شمس .

فما تكون اذن تصورات الاطفال والبله عن حقائق الاديان ؟!

ظاهر ان الدكتور شيوعي ، وان حديثه الغامض عن الماضي وتقديس الاسلاف انما هو لصرف الطلاب المسلمين عن النهر الذي يستقون منه ، لان منابعه هناك في الماضي القديم .

هل الامانة العلمية تقتضي تدريس الباطل وحده ؟ أم يدرس الحق والباطل معا ويترك للطلاب حرية الموازنة والاختيار .

لكن أساتذة الفلسفة الذين ذكرناهم هنا لم يجشموا انفسهم عبء الاطلاع على الفكر الاسلامي في مظانه المعروفة وانطلقوا في طريقهم يدمرون مستقبل امة وهم آمنون .

بل لعلهم كانوا يفعلون ذلك وهم ينفذون خطة مرسومة ، ويرقبون من

ورائها الرضا والانتفاع .

وشعبة اخرى حاذت هذه الشعبة الفلسفية في نبذ الماضي . علام تقوم؟ تقوم على تزوير التاريخ الاسلامي والسيرة النبوية اجمع ابتداء من دولة الخلافة الى يوم الناس هذا . . .

وهدف هذه الشعبة الفكرية ابراز « محمد » انسانا عاديا ، او قائد انقلاب اقتصادي يساري على نحو ما صنع او حاول ان يصنع « جيفارا » .

وقد كتب السيد عبد الرحمن الشرقاوي ـ وهو شيوعي معروف ـ سيرة على هذا النسق حشاها بالدس والتدليس العلمي وتوجيه الاحداث بعنف في غير مسارها .

واصدرت مجلة الازهر عددا يحتوي جملة مقالات فضحت هذه السيرة السيئة ، وحلرت منها دون جدوى .

وقد تعرض السيرة الشريفة من خلال نظرات استشراقية واتهامات تبشيرية من غير كشف لتهافت هذه النظرات والاتهامات .

ولا باس ان يعرض الفتح الاسلامي ، وكأن العرب اسراب جراد منطلق في الاودية اليانعة ليأتي على ما فيها .. اما تحريرهم للشعوب المسترقة وتحطيمهم للقوتين العظيمتين المنتفختين بالجبروت والاستعلاء فهذا ما لا يقال !؟

وقد ينسب للعرب ـ امتنانا عليهم ـ انهم نقلوا حضارة الاقدمين الى العصور الوسطى ، اما انهم اصحاب حضارة مقدورة ورسالة هادية ومدنية راقية فلا . . .

وفي كلية آداب عين شمس كان التاريخ يدرس على هذا النحو !!

مساكين طلابنا الذين راحوا ضحية هذا الارهاب الفكري في مرحلة « جار » فيها الضلال « وخرس » فيها الحق !!

كتب اخونا « علي عبد العظيم » هذا التقرير عن كتاب الفه الدكتور « عبد المنعم ماجد » واسماه « التاريخ السياسي للدولة العربية » ننشر نصه كاملا لما له من دلالة . قال :

« المؤلف من اعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب بجامعة عين شمس ، وكان عليه ان يقدر المسئولية وان يرعى الامانة العلمية ، وان يعتمد في ابحاثه ودراساته على المراجع التاريخية الاصيلة التي عاصر مؤلفوها الاحداث او نقلوها بامانة عمن عاصرها وشارك في احداثها ، ولكنه اعتمد على المبشرين والمستشرقين المتعصبين اللذين تمتلىء قلوبهم بالاحقاد المتوارثة على الاسلام والمسلمين والذين اعمتهم العصبية الجمقاء فاضلتهم سواء السبيل .

« ومن الغريب انه يسرد آراءهم دون مراجعة او تمحيص وينقلها كانها حقائق ثابتة ويلقنها لتلاميذه ويلزمهم بها كانها احكام صحيحة لا تحتمل البحث او الجدال ، وليس هذا شان الاساتذة الجامعيين الذين يرعون الامانة ويقدرون المسئولية ويتحرون الحقائق من مصادرها الاصيلة

ويراجعون انفسهم مراجعة دقيقة قبل اصدار الاحكام الحاسمة التي تشوه التاريخ العربي وتلطخ القيم الاسلامية العليا بابشع الاكاذيب والمفتريات .

ولو كان الامر مقصورا على كتاب يؤلفه صاحبه ويحشوه بما يشاء من آراء المنحرفين المتعصبين لهان الامر ، ولكنه كتاب جامعي مفروض على طلبة الكلية فرضا منذ سنوات يتلقاه الطلبة عن استاذهم واثقين به ليرددوا ما فيه ــ بعد ذلك ــ على عشرات الآلاف من تلاميذهم في التعليم العام عاما بعد عام» .

والمؤلف يعلم ان هناك مستشرقين منصفين درسوا الحضارة الاسلامية والتاريخ العربي دراسة علمية عميقة بعيدة عن الهوى والتعصب وانصفوا العرب والمسلمين وعززوا آراءهم بالادلة الحاسمة والبراهين القاطعة معتمدين على الآثار الاسلامية الباقية والتراث العربي الخالد ، ولكن المؤلف تحاماهم جميعا واستباح لنفسه ان يسرد آراء المتعصبين الحاقدين دون دليل او برهان كأنه يشفي غليلا في نفسه او يشبع ما حملته طبيعته من بواعث الهدم والتدمير ، ومن الخير ان نسوق بعض الاحكام التي ملأ بها الكاتب صفحات كتابه دون نقد او تمحيص :

● **اولا** : صفحة ٦٠ ، ٦١ من الجزء الاول : « كان بعض الاعراب يذبحون الكلاب كقبيلة أسد او يأكلون لحوم الناس كقبيلة هذيل .. كما ان بعض الاعراب كانوا يأكلون الحيات والعقارب والجعلان والخنافس او حتى القمل .

● **ثانيا** : يذكر المؤلف في صفحة ٩٤ ، ٩٥ أن تاريخ ميلاد الرسول صلىالله عليه وسلم غير معروف بالضبط ويتشكك في ربطه بعام الفيل ويوحي بأن ذلك ناشيء عن محاولة الربط بين مولده وهذا الحادث القومي بالنسبة لقريش ، ومن الغريب ان يعتمد في ذلك على معجم البلدان لياقوت، وهو كتاب متأخر ويعتبر من الكتب الجغرافية لا التاريخية ، كما يعتمد على ثلاثة مراجع فرنسية ، يفعل هذا على حين يترك المصادر التاريخية المتقدمة الاصيلة مثل تاريخ الطبري وسيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وفتوح البلدان والروض الآنف ..

● **ثالثا** : في صفحة ١٩٨ من الجزء الاول يقول المؤلف : « وفجاة في سن الاربعين يملك محمد موهبة النبوة » وهذا التعبير غير لائق بجلال النبوة فانها ليست موهبة فطرية كالمواهب الاخرى ، ولكنها اصطفاء من الله للاخيار الذين اجتباهم من عباده المخلصين .

● **رابعا** : يستبيح المؤلف لنفسه ان يسرد عبارات تصف القرآن بانه من صياغة محمد صلى الله عليه وسلم مثل قوله في صفحة ٩٩ من الجزء الاول : « ومع ذلك فلم يرد على لسان النبي في القرآن .. » ويقول في صفحة ١٢٥ : « وقد اناب فيه ابا بكر صديقه ليقرا عليهم سورة براءة التي يتبرا فيها محمد ممن يحج من المشركين » وكأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو الذي

الف هذه السورة ليتبرأ فيها من المشركين مع ان اول السورة « براءة من الله ورسوله » .

● **خامسا :** في صفحة ٢٥٠ يصدر المؤلف حكما غريبا يهدم الشريعة الاسلامية من اساسها حيث يقرر ان الوحي كان يتم في المنام ، وكانه اضغاث احلام فيقول عن الوحي : « انه كان ينزل عليه وهو نائم » .

● **سادسا :** يدعي في صفحة ٢٥٠ ان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ « كان ينسخ بعض الآيات ويأتي بأخرى محلها » وكانه هو الذي الف القرآن ثم أجرى فيه بعض المحو والاثبات ، وكأنه ليس وحيا سماويا منزلا .

على ان موضوع النسخ في القرآن محل جدل بين علماء المسلمين ، وعلى فرض ثبوته فهو من عند الله وحده وهو تدرج في التشريع موحى به من عند الله لا من عند محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ . قال تعالى: « ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين : فما منكم من احد عنه حاجزين » (1) .

● **سابعا :** يذكر المؤلف في صفحة ١٢٧ ، ١٢٨ من الجزء الاول عن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم فيقول : « وهو وان كان ارسل الى العرب الا انه اعتبر نفسه انه مرسل الى العرب وحدهم ولكنه تجاوز حده واعتبر نفسه رسولا الى كافة الناس ، وكأنما الامر متروك اليه يقرر فيه ما يشاء مع دلالة النصوص القرآنية وتواتر الاحاديث النبوية على رسالته الى جميع الناس « ليكون للعالمين نذيرا » الفرقان : ١

● **ثامنا :** في صفحة ١٢٧ يذكر المؤلف ان رسالة المسيحية عامة وليست خاصة كاليهودية ، والمؤلف هنا يخالف القرآن الكريم في قوله تعالى : على لسان عيسى عليه السلام « ورسولا الى بني اسرائيل » آل عمران ٤٩ كما يخالف العهد الجديد حيث جاء في انجيل متى « لم ارسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة » الاصحاح ١٥ : ٢٤ ، فالمؤلف ينقل آراء المستشرقين والمبشرين دون نقد او تمحيص ولو خالفت القرآن الكريم والحديث الشريف.

● **تاسعا :** يتحدث المؤلف في صفحة ١٢٨ وما بعدها عن قضية البعث والحساب فيصوغها في عبارات توحي بالسخرية والشك فيما رواه القرآن الكريم فيقول مثلا : « ويخرج الاموات من قبورهم ليقفوا امام الله والملائكة ليحاكموهم » وكأنها محكمة جماعية يتبادل فيها القضاة الآراء ويحكمون برأي الاغلبية ، ولنا ان نتساءل ما علاقة هذا بالدراسة التاريخية ؟

والمؤلف متأثر بما كتبه صاحب كتاب « الفن القصصي في القرآن الكريم » الذي رفضت جامعة القاهرة قبوله رسالة للدكتوراه ، وكأنه مولع بنقل آراء الحائدين عن الصواب من شرقيين وغربيين .

---

(1) الحاقة : ٤٤ ، ٤٧ .

● عاشرا : يقول المؤلف في صفحة ١٢٣ ان الزكـاة في الاسلام ليست نوعا من التضامن الاجتماعي كما في وقتنا وانما هـي حث عـلى الشفقة والرحمة واستغلال في الجهاد ونشر الدين ، فهل الشفقة تتعارض والتضامن الاجتماعي ؟

ان القرآن الكريم لم يعتبر الزكاة احسانا وانما جعلها حقـا مفروضا للسائل والمحروم ، وقد حدد الاسلام مصارف الزكاة وليس فيها نص عـلى الجهاد وحده ونشر الدين فحسب ، وانما هما يدخلان في احد وجوه الصرف الثمانية كما ذهب اليه بعض المفسرين .

● حادي عشر : ينفي المؤلف في صفحـة ١٣٤ ان « الديـن الاسلامـي عالج نظم الحياة بنصوص صريحة » وكل من له المام بالتشريع الاسلامي يدرك بأدنى ملاحظة النصوص الصريحة التي تناولت جميع شئون الحياة مـن بيع وشراء وهبة ودين ووصية وزواج وميراث كما حددت الفضائـل والرذائـل والعلاقات الاجتماعية والنظم السياسية وشؤون الحرب والسلام ، كمـا تناولت اساليب الحكم والقضاء وحددت الجرائـم والقصاص والحدود . . . كما تناولت حقوق الانسان قبل ان تحدده هيئة الامم باكثر من ١٣ قرنا .

ثم يكرر هذا الاتهام في صفحة ١٣٨ فيقول: « والواقع ان الاسلام لم يدع انه بنى مجتمعا في غاية التنظيم » !!! لقد كان العرب قبائل متناحرة متنافرة يحارب بعضها بعضا لاتفه الاسباب ، وما كان يمكن ان تتالف منهـا وحـدة تامة ، وما كاد القرآن الكريم ينفذ الى قلوب افرادها حتى اصبحت امة قوية متماسكة كالجسد الواحد او البنيان المرصوص ، قال تعالـى : « والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم » وما تفرق شملهم الا بعد ان تهاونوا في التمسك بدينهم القويم وكتابهم الكريم .

● ثاني عشر : سرد المؤلف في صفحة ١٣٤ ما يلوكه المبشرون من تعدد الزوجات دون مراجعة او مناقشة او تمحيص ، وكانه بوق يـردد اصداء الحاقدين .

● ثالث عشر : في صفحة ١٣٦ يذكر ان الاسلام حرم الربـا لان معظم القائمين به هم اليهود وكأن التشريع الاسلامي يقوم على الاغراض الشخصية وليس وحيا سماويا يستهدف الصالح العام لجميع العالمين ، ومـن العجيب ان المؤلف يتناول الآيات القرآنية ويفسرها تفسيرا يدل على عدم فهمه لاسلوب القرآن العربي المبين فقد فسر المؤلف قولهتعالى : « الذين ياكلـون الربـا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس »)[1](وقـد فسرها المؤلف بأن الآية تشبه « آكل الربا بالشيطان » (جزء ٢ ، ص ٢٧٥) مـع ان الآية الكريمة واضحة بينة يفهمها العامة قبل الخاصة ، ولكـن سوء الفهم

---

١ ــ البقرة : ٢٧٥ .

حجبه عن انوار القرآن الكريم .

● **رابع عشر** : في صفحة ١٤٥ يقول المؤلف : « ولا ريب ان النبي نفسه تعب من استهتار العرب بالدين وعدم ميلهم اليه » وهو تعبير يجافي الذوق السليم ازاء النبي صلى الله عليه وسلم الذي قضى حياته مكافحا مناضلا يتقدم الصفوف ويقود المسلمين في مواطن الخطر دون ان يدركه ملل او كلل ودون ان يخشى في الله لومة لائم فكيف يتعب من الدعوة الى الله .

● **خامس عشر** : لاحظنا ان المؤلف يلتزم نقل آراء المستشرقين ويتحمس لها ، ولكنهم اذا انصفوا الاسلام في موقف ما اسرع الى مخالفتهم وكأنه موكل بتشويه صفحة الاسلام الوضاءة وتلويث تراثه المجيد فنجده في صفحة ١٦٣ يقول : « لا نوافق بعض المستشرقين في قولهم ان العرب كانوا مدفوعين نحو الفتوح بالحماس الديني .. ولكن من غير المعقول ان يخرج البدوي ـ وهو الذي لا يهتم بالدين (!) ـ لنشر الاسلام » .

ومن العجيب ان يقرر المستشرقون الحقيقة وينصفوا الفتوحات الاسلامية ، ولكن المؤلف المسلم يخالفهم على غير عادته فيزعم ان الصحابة لا يهتمون بالدين ، وان الفتوحات الاسلامية كانت قائمة على النهب والسلب لا على نشر الاسلام .

● **سادس عشر** : ينكر المؤلف كعادته آثار التسامح الاسلامي في تحرير الشعوب من اغلالها فيخالف آراء جميع المؤرخين العرب كما يخالف آراء جمهرة المستشرقين ، ويكتفي براي يوحنا النقيوس الذي انفرد بذكر مقاومة الاقباط في مصر للفتح الاسلامي مدة ١٢ عاما دون مناقشة او دليل ليخلص من هذا الى ان الفتوح الاسلامية كانت قائمة على النهب والسلب واشباع شهوة سفك الدماء (ص ٢٢١ ـ ٢٢٣) .

● **سابع عشر** : يذكر في صفحة ١٨٠ انه « كان لانتصار المسلمين في اجنادين وقع عظيم بحيث اعتقد المسلمون ان هذا النصر من عند الله » ، وهي عبارة تصدم العقيدة الاسلامية في الصميم ، لقد انتصر المسلمون قبل اجنادين ، فهل كانوا يعتقدون ان هذا النصر من عندهم لا من عند الله ؟

ولقد كانوا يحفظون القرآن الكريم وفيه قوله تعالى : « وما النصر الا من عند الله » (الانفال ١٠) ، ولو كان للمؤلف الاغر ادنى معرفة بالعقيدة الاسلامية لعلم ان النفع والضر بيد الله وحده وان الانسان لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله ، فهل كان الصحابة ينكرون هذا ولم يعتقدوه الا بعد انتصارهم في اجنادين !!

● **ثامن عشر** : في صفحة ٢٢٧ ، ٢٣٠ يرمي المؤلف الصحابة بالوحشية والاجرام في فتوحاتهم الاسلامية ويزعم انهم كانوا قساة القلوب غلاظ الاكباد لا يكتفون بحرق المزارع وهدم البيوت وانما يحاولون قهر الشعوب المفتوحة وارغامهم على دفع الجزية حتى ولو اسلموا مخالفا بذلك النصوص القرآنية والاحاديث النبوية واجماع المؤرخين ثم يشتط في احكامه فيزعم ان العرب في

فتحهم لبرقة وطرابلس اكتفوا بفرض الجزية واحتازوا لاهلها يبيع ابنائهم ليدفعوا الجزية ، ولو رجع الى المصادر الوثيقة لعلم ان الجزية لا تفرض الا على القادرين ــ من غير المسلمين ــ على دفعها ، وانهـــا تقابل فريضة الزكاة عند المسلمين وانها تنفق لتحقيق الصالح العـام للجميع لا للغزاة الفاتحين ، ولكنه لا يريد ان يعلم وانما يلتزم الباطل التزاما . ومن هذا ما زعمه مـن ان المسلمين « ارغموا اهل النوبة على ان يحملوا كل سنة الـى ولاة مصر ٣٦٠. راسا من الرقيق غير المعيب المتوسط العمر !! ولو كان المؤلف الاغـر ادنـى المام بالثقافة الاسلامية لعلم حرص الاسلام الشديد على تحرير الرقاب وانـه اهاب بالمسلمين ان يتقربوا الى الله بتحرير الرقيق اي الرقاب ، وانه جعـل هذا العتق كفارة بعض الذنوب وانه رصد جزءا من صدقات المسلمين لانفاقها في تحرير الرقاب قال تعالى : « فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة : فـك رقبة . . . » (البلد ١١ ، ١٣) ولكن المؤلف يجهل احيانـا ويتجاهل في معظم الاحيان .

● المؤلف مولع بتشويه صفحات الفتوحات الاسلامية بكـل الوسـائـل وهو يستبيح في سبيل اشباع شهوته نقل الاساطير الوهمية وهو يسوقها دون مناقشة او جدال كما قال في صفحة ٢٠٤ من الجزء ٢ عـــن فتـح المسلمين للاندلس « قيل انهم طبخوا اول من قتلوه في القدور » ولو كان المؤلف مؤرخا حقا لدرس الفتح الاندلسي دراسة جادة فعلـم ان الاهالـي ساعدوا العرب مساعدة قيمة للتخلص من حكم طاغيتهم المستبد لذريق ، ولـــو كان المؤلف جادا فيما يكتب مـا اعتمد عـلى الاساطير والخرافات ، ولعلـم ان المسلمين حريصون على تحرير الشعوب ولكنه حريص على ان يصور المسلمين وحوشا مفترسة من آكلي البشر ، ولو كان المؤلف قد نال قسطا يسيرا مـن الثقافة الاسلامية لتذكر وصية النبي صلى الله عليه وسلم للمجاهدين من الصحابة ومن تلاهم : « لا تقطعوا شجرا ولا تقتلوا طفلا ولا امراة ولا شيخا ولا تهدموا بيتا » ويظهر ان المؤلف الاغر لا ياخذ بالقرآن الكريم ولا بالحديث الشريف وان ذكرهما في مصادره للتمويه والتضليل .

● **عشرون** : المؤلف مهتم كل الاهتمام بتشويه سيرة الصحابة رضوان الله عليهم فهو يرمي عمر بانـــه كان يخشى الرجـال الاشداء فينحيهم عـــن مناصب القيادة (صفحة ١٨٣) ويكرر هذا في صفحة ٢٠٠ ليبرر عزله خالدا او المثنى بن حارثة ، ونسال المؤلف الاغر : هل نحي عمر ابا عبيدة وسعد بن ابي وقاص وعمرو بن العاص وغيرهم من كبار القادة الاقوياء عن مناصبهم ؟

وشبيه بهذا ما ذكره عن الامام الحسن رضي الله عنـه ناقلا مـا ذكره خصومه من الامويين وطائفة من المبشرين والمستشرقين حيث يقول في صفحة ٢١ من الجزء الثاني : « فلعل وفـاة الحسن كانت بسبب اسرافه في حيـاة اللهو . . » ويتناسى انه سبط الرسول صلى الله عليه وسلم وسيـد شباب اهل الجنة ، وان الله سبحانه وتعالى انزل فيه وفي اسرته: « يريد الله ليذهب

عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » ، نعم يتناسى ان هناك رأيا قويا في التاريخ الاسلامي مؤداه ان معاوية اغرى امرأة الحسن بسمه على ان يزوجها ابنه يزيد فلما اقدمت على فعلتها النكراء واتته تستنجزه وعده راغ منها وارضاها ببعض المال ، فالحسن على هذه الرواية قتيل السياسة الاموية الدنيوية لا قتيل الشهوات الدنية . لكن مصادر الاسلام الصحيحة والراجحة من قرآن وسنة وخبر صادق وراجح لا ترقى لمستوى مطاعن المبشرين والمستشرقين عند هذا المؤرخ « المسلم » !

● **واحد وعشرون** : يستبيح المؤلف لنفسه ان يهب النبوة لمن يشاء ويسلبها ممن يشاء ، فهو يمنح « زرادشت » النبوة دون سند حيث يقول في صفحة ١٩٤ من الجزء الاول « وكان رسول هذه الديانة نبي اسمه زرادشت » على حين ينكر النبوة على ادريس عليه السلام جاهلا او متجاهلا قوله تعالى : « واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا » (مريم ٥٦) .

● **اثنان وعشرون** : المؤلف يلتزم التعبير المجافي للذوق السليم فضلا من مجافاته للتعبير فهو يذكر « الفتح العربي » بدلا من الفتح الاسلامي ويذكر « الدين العربي » بدلا من الدين الاسلامي وكأن الفتح الاسلامي كان مقصورا على العرب وحدهم وكأن الدين الاسلامي كان مقصورا على العرب وحدهم ولم يكن موجها الى العالمين ، وما سمح لنفسه قط ان يتبع ذكر محمد بالعبارة المأثورة « صلى الله عليه وسلم » والله تعالى يقول : « ان الله وملائكته يصلون على النبي ، يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » (١) واذا كان المؤلف لا يعد نفسه من « الذين آمنوا » فهو يخاطب قوما مؤمنين ، فان فاته أدب الايمان فلا يفوتنه أدب الخطاب !

وقد حرص المؤلف الاغر على طبع كتابه في بيروت خشية ان يلاحقه الرقيب في مصر ، وفرضه على تلاميذه منذ خمس سنوات ، وفاته أن عين الله لا تغفل وان الذين يلحدون في آياته لا يخفون عليه .

ولعل هناك صلة بين كتابه وكتب التبشير الصادرة في بيروت ، ولو اجتهد المؤلف فاخطأ مرة واصاب مرات لالتمسنا له العذر ولكنه ـ وااسفاه ـ لا يجتهد ولا يبحث وانما هو ناسخ فحسب يتعمد نقل ما يشوه القيم الاسلامية المثالية ويرتمي على اقدام المبشرين والمستشرقين المتعصبين ويمعن كل الامعان في التفاهة والضلال .

وكأنه يعيش في دولة غير اسلامية ينص دستورها على ان دينها هو الاسلام وينادي رئيسها بشعار « دولة العلم والايمان » .

---

(١) الاحزاب : ٥٦ .

ان بقاء هذا المؤلف بين اعضاء هيئة التدريس بكليـة آداب عين شمس حطر على البحث العلمي والامانة التاريخية والفضائل الخلقيـة والتـراث الاسلامي المجيد » . « علي عبد العظيم »

***

وندع هذا التحامل الجهول على تراثنا وتاريخنا ونستعرض لونا آخـر من تزوير الحقائق وتضليل الاجيال وتحريف الكلم عن مواضعه لخدمة الالحاد والاستعمار بدعوى القومية العربية او الوطنية المصرية .

عندما أغار الاستعمار الحديث عـلى العالم الاسلامي كـان عقله الباطن والواعي طافحا بالحقد على الاسلام وامته المترامية الاطراف .

كان عقله الباطن والواعي مستغرقا في المكر بهذا الدين والقضاء عليه ، وكان اتجاهه الى الاغتيال شاملا للعقيـدة والشريعـة عـلى سواء او للقلب النابض والمظاهر المتحركة جميعا .

الا ان عمله لثقب الصدور وتفريغ الايمان منها وابقائهـا جوفاء فارغـة كان احظى واسرع لابلاغه مآربه من أي تغيير آخر لانماط الحيـاة واشكالها ، ومن ثم استمات في محاربة الايمان ، وانشاء اجيال جاهلة بربها ورسولها أي بكتابها وسنتها .

يقول شوقي مناجيا النبي صلى الله عليه وسلم وباكيا تلك الحال :

شعوبـك في شرق البـلاد وغربهـا   كاصحاب كهف في عميـق سبـات
بايمانهـم نـوران : ذكـر وسنـة   فما بالهـم فـي حالـك الظلمات ؟

والحقيقة ان الاستعمار جرد ايدي المسلمين من الذكر الحكيم والسنة المطهرة وبنى الثقافات التي احتضنها والنهضات التـي اقرها عـلى ان تكون بعيدة كل البعد عن الكتاب والسنة .

وبناء الامم على غير عقيدة لا يساوي شيئـا .. ان العقيدة في الكيـان الاجتماعي كالقلب في الجسد الانسانـي ، وكالتيار في المصبـاح الكهربائـي وكالوقود في الآلة الدوارة .

واجتياح عقيدة في أمة ما ، معناه ابقاؤها على الارض مجموعة من الناس لا تصلح في سلم ولا حرب ولا تكترث الا لملذاتهـا الفردية ولا تصير في الاسرة الدولية الا عضوا زريا يحسن الاكل والسفاد وحسب .

وقد اجتهد الاستعمار ان يوقع بالمسلمين هذه النكبة الماحقـة عندمـا هبط ارضهم ، واستباح عرضهم وقرر سرا وعلنا ان يفتنهم عـن دينهم والا يسمح لهم بالعيش في ظله .

يقول الاستاذ أحمد موسى سالم في كتابه «الاسلام وقضايانا المعاصرة» انه منذ أواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين والى اليوم ظهرت دعوات وصيغ كثيرة في بناء القومية العربيـة ، او في العمل عـلى تقويضها

وتفتيت فكرتها . بعض هذه الدعوات أوحى به الاستعمار ، وبعضها افرزه التخلف وشجعه الشعور المهين بالتبعية الثقافية للغرب ، وبعضها يمكن ان يصحح نفسه ويتطور ويقترب من الاتجاه الصحيح .

وفيما يلي نستعرض في ايجاز عابر صورا دقيقة بقدر الامكان لهذه الدعوات او الصيغ التي يتداولها الفكر في المجتمع العربي من الخليج الى المحيط ، في اطار الدعوة للقومية العربية ، وذلك منذ سقط الصرح البالي للامبراطورية العثمانية عن هذا الوليد العربي القوي الفني الذي يصرخ بطلب الحياة ، بينما تمتد مخالب كثيرة لاعدائه تدعي امومته او ابوته لتصنع منه عبدا ، وتفرض عليه وصاية من خلال حضانتها له بفكر سياسي خاطيء وان كان له بريق :

● ١ ــ دعوة قديمة حديثة ترفض الاقليمية والقومية معا وتنادي بالفكرة العالمية الغربية ، وهذه تتردد في افكار فردية ، او مدارس فكرية مقنعة تتحرك هنا وهناك في مباحث ثقافية ذات طابع تحرري ، وهي دعوة تشجعها الصهيونية والاستعمار من قرب أو من بعد .

● ٢ ــ دعوة اقليمية ترفض القومية العربية ايثارا لوطنيات ضيقة باسم الفرعونية أو الفينيقية او الآشورية ، وهي اثر من آثار التحرك الاستعماري العاجل عقب سقوط الدولة العثمانية لقتل اي احتمال بظهور وانتشار فكرة القومية العربية بمعناها المقبول .

● ٣ ــ دعوة لاتحاد العالم الاسلامي ترفض القومية العربية ، وهي اثر من آثار وتراكمات الوجود التركي في الوطن العربي ، ودعوة يجند لها الاستعمار الجديد كل قواه لتفتيت الصمود العربي امام اسرائيل (١) ، وهو يحاول من خلال جماعات اسلامية كثيرة ووسائل اعلام ملتوية ان يبث بها المخاوف من القومية العربية في قلوب علماء الدين .

● ٤ ــ دعوة للقومية العربية اوربية الشكل والمضمون ، وهي دعوة ينفثها الاستعمار ــ مع جهوده المتنوعة لقتل القومية العربية ــ داخل الجماعات الرجعية وقيادتها المثقفة التي تؤمن بمجتمع « الكبراء والصغراء »، وتريد ان تفرض تصورها للقومية العربية بالشكل الذي يحمي نظرية التفوق والدم وامتيازات راس المال .

● ٥ ــ دعوى للقومية العربية ترفض الدين وتشترط هذا الرفض ، وهي دعوى تمتزج فيها المؤامرات الثقافية الخارجية بالانعكاسات المحلية لجيوب دينية وطنية .

● ٦ ــ دعوى لاتحاد وتضامن العرب تتجاوز ارادة الشعوب الى علاقات الحكومات وتتمثل في جامعة الدول العربية التي تأسست سنة ١٩٤٤ بهدف

---

(١) لنا راي في هذا الكلام سوف نذكره

« بوثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها تحقيقا للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها كما جاء في ميثاقها » .

● ٧ ــ دعوى للقومية العربية يتبناها التقدميون الماركسيون يضعون في مقوماتها التجانس العقلي والثقافي ووحدة النظرة الى الكون بدلا من الدين . والأممية بدلا من الانسانية » .

ولنا تعليق على الطيف الثالث من هذه الاطياف السبعة فان العالم الاسلامي المركب من اجناس شتى يحترم العرب ويقدس لغتهم ، ويعلم أن العرب هم دماغ الاسلام وقلبه ، وأنه يستحيل وجود اسلام من غير امة عربية سيدة ما دام القرآن عربي الآيات ، وما دام النبي عربي التراث ، وما بقيت مكة في مكانها من أرض الله فالعرب ان اكتشفوا ذاتهم واحترموا مكانتهم هم جزء من الرسالة الخاتمة ولن يتبرم بوضعهم مؤمن او يفتات على حقهم منصف .

ولكن يوم ينسى العرب هذه الحقيقة الدينية والتاريخية فسينطبق عليهم قول القائل :

اذا انت لم تعرف لنفسك حقها هوانا بها كانت على الناس اهونا

والمؤلف الكبير ذكر ان هناك عربا تجردوا من تاريخهم ورسالتهم أو بتعبير أصرح جردهم الاستعمار من ذلك كله ، وأغراهم برفع راية العروبة وحدها على نحو ما شرح في الطيف الرابع والخامس والسابع ، ولكي يعرف الناس لحقيقة هؤلاء الخادعين المخدوعين ننقل كلامهم [1] بالتفصيل :

---

(١) من كتابات « ميشيل عفلق » و « ساطع الحصري » وقسطنطين زريق وآخرين ..

الباب الخامس

شبهات من كل مكان

- غلطة فلكية !..
- الكسوف والخسوف .
- غلطة جغرافية !..
- الشهاب الراصد .
- خزان المياه !! ..
- فهم عجيب !.
- حد السرقة .
- نبي مرعب !.
- كذب على رسول الله !.
- نماذج لتحريف الكلم !
- المداد القرآني !! .
- حديث الذباب .
- أساطير العهد القديم .

شبهات اخرى

اتانا وافد من « اسيوط » بوريقات تضمنت عشرات المطاعن ضد الاسلام كتبها شخص يدعى « كميل جرجس » وجمع عليها بعض طلاب الجامعة !

وتصفحت على عجل مختلف الموضوعات التي تعرض لها الكاتب ، ورايت انها تحتاج الى رد وبيان ، وسيعرف القراء قيمتها عندما نذكرها .

وقد اسافر الى اسيوط لاحسم العلة من جذورها ، ويكفي هنا ان اسوق امثلة لما يشاع عن ديننا ويجد طريقه ممهودا الى ادمغة القاصرين !!

* * *

كذّب الكاتب قوله تعالى : « والشمس تجري لمستقر لها » وزعم ان ذلك يخالف العلم ..

اي علم ؟!

.. ان جريان الشمس من اسرتها المعروفة في فضاء الله الواسع مقرر فلكيا . لم ينكره احد قط ، ولكن « عبقري اسيوط » يريد تكذيب القرآن فحكى دورة الارض حول محورها ودورتها حول امها الشمس ثم قال : « من هذا يتضح ان الشمس لا تجري ولا تذهب لتسجد تحت العرش ، وانها لا تغرب في عين حمئة .. »

والاستنتاج مضحك فقد فهم العبقري ان دوران الارض حول الشمس يعني ان الشمس ثابتة ، وفهم من قوله تعالى : « وجدها تغرب في عين حمئة» ان الشمس تغطس في الماء يوميا ثم تخرج !!

ولم يدرك ما يعرفه الاطفال عندنا ان اختفاء قرص الشمس في الماء انما هو في عين الرائي لا في حقيقة الامر !!

اما ان الشمس تسجد لربها فان الجماد والنبات والحيوان والكائنات جمعاء خاضعة لله تسبح بحمده وتهتف بمجده وتلبي امره وهي طوع مشيئته ..

ويوم لا يأذن للشمس في الشروق ، وينهي امر الدنيا ، ويفتح يوم الحساب فمن الذي يعصيه ؟

ويظهر ان المسكين فهم من سجود الشمس انها تصلي ركعتين كسائر البشر !! « الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس . وكثير حق عليه العذاب . ومن يهن الله فماله من مكرم ان الله يفعل ما يشاء » ١

قال الكاتب : « جاء في سورة الروم » « ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا ، وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ، ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون » .

وروى البخاري في صحيحه عن ابي موسى الاشعري قال : خسفت الشمس فقام النبي فزعا يخشى ان تقوم الساعة فاتى المسجد فصلى بأطول قيام وركوع وسجود ، ما رايته قط يفعله ، وقال : « هذه الآيات التي يرسل الله لا تكون لموت احد ولا حياته ، ولكن يخوف الله بها عباده ، فاذا رأيتم شيئا من ذلك فافزعوا الى ذكره ودعائه واستغفاره » ٢

وبعد ان ذكر الكاتب التفسير العلمي للبرق ، والكسوف ، والخسوف كما هو مقرر في الكتب المدرسية قال : « اذن فالواضح انه ليس الهدف من البرق ان يخوف الله البشر ، او الهدف من الكسوف ما ظنه البعض بجهالة انه لموت ابراهيم (ابن النبي) ، او خشية قيام الساعة بل الامر مجرد ظواهر طبيعية عادية ، وهذا هو فضل العلم الحديث على البشرية جمعاء ، ولكنهم لم يكونوا يدركون ذلك بعد ، وكان تفسيرهم لتلك الظواهر نابعا من استنتاجات محدودة » .

ونقول هذه الظواهر الطبيعية العادية كما يسميها الكاتب هي آيات الله في منطق المؤمنين به . . فحياة الارض بعد نزول الماء آية وان سماها ظاهرة طبيعية ، والتفريغ الكهربي الناشيء من تلاقي السحب آية سواء احدث صوت الرعد أم ضوء البرق .

ورجاء الناس في ان تهمي هذه السحب طمع في محله لا يستغرب ، وخوفهم ان يكون البرق وليد سحاب جهام لا خير فيه خوف في محله لا يستنكر . ولو خشوا ان يتحول التيار الكهربائي الى صواعق مهلكة فخشيتهم طبيعية لا نكير عليها . .

اما تصور الكاتب ان الناس تخاف البرق لان عفريتا يصنعه فهذا تصور أطفال ، والآية التي اوردها عن البرق والمطر واحدة من ثماني آيات

---

(١) الروم : ٢٤ .

(٢) البخاري .

متتابعة تصف ما نسميه ظواهر طبيعية وصفا جليلا رائعا يحييه العلماء من قلوبهم .

اما قصة الكسوف فلا ندري مقدار العمى الذي صحب الكاتب وهو يذكرها ، لقد وهل الناس ان الشمس كسفت لموت ابراهيم ابن النبي عليه الصلاة والسلام ، فقام النبي ينفي ذلك بشدة مؤكدا ان الكسوف والخسوف آيات الهية ، او بالتعبير الحديث ظواهر طبيعية .

وزهد صاحب الرسالة في المجد الذي اتاحته الظروف !! وكان في وسعه ان يسكت تاركا هذا الظن يستقر ، ولكنه ابى ، وامر اتباعه بالصلاة تحية لرب الارض والسماء ، وانحناء امام عظمة مسير الكواكب في الفضاء .

اهذا مسلك يعاب ؟! شاهت الوجوه ..

ومعروف في سيرة النبي الكريم انه كان شديد الرقابة لله ، شديد الخشية منه ، وربما تعصف الريح فيقلق خشية ان تكون ريحا مدمرة يعذب الله بها المتمردين عليه ، فهل قالوا : ان هبوب الريح من علامات الساعة ؟

وهل خوف النبي من ان يكون الكسوف ايذانا باقتراب الساعة يدل على شيء اكثر من شعوره الحي بقرب لقاء الله .

ولنترك ما حكاه « ابو موسى الاشعري » في ذلك ولنتدبر ماذا قال الرسول نفسه عن الكسوف والخسوف ؟ قال عنهما : آيتان من آيات الله .. وحسب ..

فاي اعتراض علمي على هذا ؟

ويقول الكاتب : « يحدد لنا العلم ان الكسوف للشمس ، والخسوف للقمر » ، وليس كما جاء في الحديث : « خسفت الشمس » .

الجواب : ليس هذا تحديدا علميا ، وانما هي اصطلاحات تواضع عليها بعض الناس لا تؤثر في طبيعة اللغة العربية التي تسمح باستعمال الكسوف والخسوف للشمس على سواء .

ان كلمة « التبشير » شاعت فيما يفرح ، ولكنها لغة تستعمل فيما يسر ، وفيما يسوء .

وكلمة « أصاب » او « مصيبة » تستعمل في الآلام والمتاعب ، ولكنها لغة تستعمل كذلك في الافراح « ما اصابك من حسنة فمن الله » ١ و « نصيب برحمتنا من نشاء » ٢ .

ولكن عبقري أسيوط الذي لا يعرف من لغة العرب الا نزرا يريد ان يتصيد أخطاء لغوية لرجال البلاغة العربية .

وننقل هذه « النكتة » ليتفكه بها القراء :

روى البخاري بسنده ان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ذكر مواقيت

---

(١) النساء : ٧٩ . (٢) يوسف : ٥٦ .

الحج : قرنا لاهل نجد ، وذا الحليفة لاهل المدينة ، والجحفة لاهل الشام ، ويلملم لاهل اليمن » وذكر العراق فقال : لم يكن يومئذ عراق .. » .

وليس يعنينا : من سال ولا من اجاب وبديهي ان معنى « لم يكن يومئذ عراق » انه لم يكن حجيج وافدون من العراق ..

لكن اخصائي الشبه قال : « ولكن الواقع العلمي يثبت ويؤكد انه كان يومئذ عراق ، ولكن القوم لم يكونوا قد ذهبوا اليه !! أو سمعوا عنه !! .. »

العرب في الجزيرة والشام لم يكونوا يعرفون ان هناك قطرا مجاورا لهم اسمه العراق .

لقد كان سكان العراق عربا ، وكانت علاقاتهم بسكان الجزيرة قائمة ، وكان العرب اذا ذهبوا الى فارس او الهند مروا طبعا بالعراق .

ولقد وصف النبي قصور « الحيرة » كبرى مدن العراق يومئذ للمسلمين وهم محصورون وراء الخندق وبشرهم بأنهم سيفتتحونها ، فكيف يقول ابله : ان العرب كانوا يجهلون وجود العراق لان « علم الجغرافيا » لم يكن تأسس بعد !!

* * *

ويتحدث الكاتب عن الشهب الساقطة فيكذب ما ورد في القرآن من انها رجوم للشياطين .

جاء في سورة الجن : « وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا ، وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا » ١ .. وتقول : اجمع علماء الكون على رحابته ، واتساع آفاقه ، والسؤال الذي نورده : هل أبناء آدم وحدهم هم العقلاء الذين يحيون فيه ؟!. ايبني رجل قصرا من سبعين الف طبقة ثم يسكن غرفة منه ويدع الباقي تصفر فيه الريح ؟ فلم بناه بهذه الضخامة ؟

الواقع ان هناك غيرنا يسكن هذا الكون ، ومن هؤلاء « الجن » الذين تحدثت عنهم الاديان ، فاذا حاول احدهم التمرد ، وافساد الهداية النازلة لاهل الارض فما المانع من ارسال شهاب وراءه يحرق كيانه ؟

ولم يقل القرآن الكريم ان « كل » شهاب يلمع فهو وراء شيطان سارق! لم يرد هذا القصر في القرآن قط ، فقد تتساقط الشهب لامور اخرى لا ندريها ولم يعرف العلم المعاصر عنها شيئا .

ومن هنا فان القول بان القرآن « اصبح يتناقض مع العلم في قصة الشهب » لغو لا اصل له .

---

(١) سورة الجن : ٨ ، ٩ .

(٢) الحجر : ٢٢ .

ويكذب الكاتب النابغ قوله تعالى « وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين » ٢ فيقول :

اصبحنا بعد اقامة السد العالي من اكبر الخازنين لمياه الامطار .

وبذلك تكون الآية كاذبة !!

فان خزن المياه في « الازيار » او في « الصهاريج » أو وراء السدود لم يكن معروفا في الدنيا حتى بني سد اسوان .

ارايت هذا العمى ؟!

ان خزن مياه الامطار على هذا النحو معروف للاولين والآخرين .

والآية تشير الى معنى رائع فان الزروع تحتاج الى الماء لتنمو ، والناس والدواب تحتاج الى الماء لتحيا ، وقد تكفل الله باعداد المقادير من الماء الصالح لسد هذه الحاجات كلها ، ورتب لذلك عمليات البخر وتكون السحب وسقوط الامطار ، وتفجر الينابيع او جريان الانهار . .

وستذوي اعواد النبات وتفنى اجساد البشر ، ويعود ما في هذه وتلك وغيرهما من ماء ، ليأخذ دوره البخر والسحب والامطار . . الخ وهكذا دواليك [١] . .

وتوفير العذوبة للماء ، وحفظ القدر الذي تحتاج الدنيا له هما معنى الاختزان الوارد في الآية .

وما فهم ذكي ولا غبي ان الناس عاجزون عن خزن المياه لانفسهم في قلة او زير او مستودع صغير أو كبير . . !!

* * *

وتصفحت الكراسة التي بين يدي ، وهي مليئة بلغو ممل لأتبين حدود الهجوم على القرآن الكريم فوجدت الكاتب يتحدث عن ابني آدم اللذين قتل احدهما اخاه .

والقصة معروفة : اخ صالح تقرب الى الله بقربان فقبله منه ، واخ شرير تقرب كذلك فرفض الله قربانه ، فتوعد الشرير اخاه بالقتل ولكن الاخ الطيب نصح اخاه الفاشل قائلا : « انما يتقبل الله من المتقين » أي اتق الله ليقبل منك عملك ، كما قبل مني ولم تجد النصيحة ، وافترس الشرير اخاه .

وقد تناول عبقري أسيوط هذه القصة ، وذكر انها واردة في التوراة .

لماذا ؟ يقول هذه القصة لو تمت على هذه الصورة لكان القائل بريئا اذ تعرض بسبب رفض قربانه لحالة نفسية قاسية نتيجة شعوره بعدالة

---

١ ـ اكدت هذا المعنى آية اخرى « وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض ، وانا على ذهاب به لقادرون » .

ما كان يرنو اليه من قبول ، ثم يقول : « ان القصة تشير باصابع الاتهام الى المحرض على القتل ، وهو الذي رفض قبول القربان » .

ثم يقول المغفل عن الله : « انه لو كان قبل القربان ما تمت الجريمة » .

ووقعت عيناي على هذه العبارات في اثناء هجوم الكاتب على « حد السرقة » يقول: « اما عن تحريم الاديان للسرقة فقد كان الغرض منه ترضية الاغنياء وتأمينهم على مالهم وضمان تأييدهم ، اذ المفروض بداهة الا يسرق الا الفقير » !!

ويقول : « التاميم هو اغتصاب شرعي لما سبق ان اغتصب ظلما من الجماهير الكادحة فهو تصحيح للاوضاع وازالة للظلم التاريخي المتأصل » .

وقد يلومني بعض القراء لاهتمامي بذكر هذه السخافات والرد عليها ، ولو علموا ما تركته من آثار بين طلاب الجامعة في اسيوط لعذروني .

ان هؤلاء الطلاب لم يعرفوا عن الاسلام شيئا ، والخطة الموضوعة « لتخريجهم » باعدت بينهم وبين الثقافة الاسلامية الناضجة ، والسليقة الادبية العالية ، حتى اذا تركوا الجامعة بعد نيل « اجازاتها » خدموا كل شيء الا دينهم ، واصبحوا فريسة سهلة لمبشرين محتالين او افاكين من النوع الذي قرات هنا شبهاته ضد القرآن الكريم . .

وما وقع في « اسيوط » وقع قريب منه في « الاسكندرية » ونتج عنه ارتداد بعض الفتية والفتيات .

انهم مساكين غير محصنين بشيء ضد الالحاد او الشرك .

ولما كانت كتب السنة قد تضمنت اشياء تحتاج الى بيان وتمحيص وكشف فلا بد من الوقوف قليلا امام ما اثاره هؤلاء الفتانون .

* * *

قال لي طالب جامعي بالاسكندرية : لقد اروني كتاب البخاري ، وقرءوا لي منه حديث « نصرت بالرعب » وتضاحكوا وهم يقولون : « نبي مرعب » ينشر دينه بالارهاب ، والاعتراف سيد الادلة !!

وقلت للطالب ان البخاري وغيره رووا هذا الحديث ، **واريد ان اشرح لك المعنى الوحيد له مستعرضا مواضع هذه الكلمة لا في السنة الشريفة ، بل في القرآن الكريم ، لتعلم انها اتت في سياق حرب « دفاعية » عن الحق « هجومية » على الباطل ، لا عدوان فيها ولا ارهاب . .**

بعد هزيمة المسلمين في احد نزلت هذه الآية : « سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وماواهم النار وبئس مثوى الظالمين » [1] .

---

(1) آل عمران : ١٥١ .

وهزيمة احد كانت في اعقاب خروج المشركين من مكة ، وشنهم الهجوم على الاسلام وامته في المدينة .

وقد استطاع المشركون ايقاع خسائر جسيمة بالمدافعين عن الدين وموطنه الجديد مما ترك آثارا سيئة في النفوس . .

فأراد الله ان يواسي جراحهم ، وان يشعرهم ان القتال القادم سيكون لمصلحتهم ، وانه سيقذف الرعب في قلوب المعتدين عندما يكررون هجومهم . فماذا في ذلك من عيب ؟

وجاءت هذه الكلمة عندما خان يهود بني النضير عهدهم ، وحاولوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم ، فجرد عليهم حملة ليؤدبهم ، ولكن القوم دون قتال حل بهم الفزع وقرروا الجلاء عن المدينة « ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم ما نعتهم حصونهم من الله فأتاهم من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب » ١

واخيرا ذكرت هذه الكلمة عندما انضم يهود بني قريظة الى الاحزاب التي احاطت بالمدينة تبغي دكها على من فيها ، واعلنت حصارا رهيبا عليها .

وكان بنو قريظة قد اعطوا العهد من قبل على ان يعيشوا مع المسلمين في سلام شريف ، واعترف رئيسهم بأنه لم يجد من النبي الا خيرا ، ومع ذلك فقد انتهز الفرصة التي سنحت واعلن الحرب الغادره وظن انه سيقاسم المشركين الغنايم بعد الاجهاز على محمد وصحابته . ولكن قدر الله كان اغلب ، لقد فض الله جموع المحاصرين « وانزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا » ٢ .

اذا وقعت حرب الآن بيننا وبين اسرائيل ، حرب جادة يستعلن فيها الاسلام وتتحد الكلمة ويتقدم ليوث محمد يطلبون احدى الحسنيين : اما النصر واما الشهادة . وفزع اليهود لهذا الزحف الجديد ، الواثق العنيد ، اذا حدث ذلك وسرى الرعب في قلوب اعدائنا قيل عنا اننا ارهابيون ؟

ان تحريف الكلم عن موضعه شيء مألوف عند اعداء الاسلام .

لقد نصر الله نبيه محمدا بالرعب كما قال ، فهلا قيل نصره في اي قتال؟

ان اشرف قتال وقع على ظهر الارض هو القتال الذي خاضه محمد واصحابه . .

ولقد شعرت بشيء غير قليل من الضيق وانا اقرا قول الكاتب الاسيوطي « توفي محمد عن ثلاث وستين سنة بعدما رفرفت راية التوحيد وطهرت الارض من الوثنية في اعقاب غزوات ضارية ، متعددة بلغت تسع عشرة

---

(١) الحشر : ٢ .

(٢) الاحزاب : ٢٦ .

غزوة ـ كما يقول البخاري ـ هي على التوالي : العشيرة ، بدر ، أحد ، الرجيع ، رعل وذكوان ، الخندق ، بنو قريظة ، ذات الرقاع، بنو المصطلق ، الحديبية ، خيبر ، مؤتة ، تبوك ، الفتح ، حنين ، الطائف ، ذات السلاسل، سيف البحر » .

وبغض النظر عن الترتيب التاريخي ، **ما راي القاريء اذا قلت له : ان عشرا منها على الاقل لم يقتل فيها اكثر من عشرة اشخاص هم مجموع خسائر المشركين !!!**

وان جملة الوثنيين في شتى المعارك الكبرى تتجاوز المائتين قليلا . وان خسائر اليهود في صراعهم مع الاسلام عدة مئات من القتلى .،. هذه هي الغزوات الضارية المتعددة التي نشرت الاسلام كما يزعم الافاكون ! : خسائرها الحربية عشر ، بل نصف عشر الفتنة التي وقعت بين الكاثوليك والبروتستانت في عيد ((سان بارثلميو)) .

... خسائرها قطرة دم اريقت لمنع العدوان ، نعم قطرة بالنسبة لحمامات الدم التي صحبت تطبيق الشيوعية ، وتوطيد سلطانها .

قطرة بالنسبة للالوف المؤلفة الذين ذبحوا في صمت او في ضجة لدعم الحكم الفردي المطلق .

وبعد ان احرقت رفات الضحايا سمعت اغرب صيحة في العالم : ان الشيوعية تدعو للسلام !

والشيوعية في هذا النفاق الفاجر تقلد الصهيونية والصليبية .. المتهم المسكين هو ديننا وحده !!!

* * *

ونعود الى ذكر الاحاديث التي هاجمها المستشرقون والمبشرون وسماسرتهم .

روى الكاتب الاسيوطي ان رسول الله قال : « اذا غضب الله على قوم امطرهم صيفا » (١)

وبني على هذا الحديث جهل قائله بالحقائق الجغرافية .. ونقول ما رواه الكاتب كذب ، والحديث باطل موضوع .

وروي عن النبي عليه الصلاة والسلام انه حرم الثوم تحريما قاطعا مع ما فيه من فوائد غذائية وطبية .

ونقول هنا كذب فاكل الثوم والبصل والفجل جائز ، وهذه المواد

---

(١) لم اجده حتى في كتب الموضوعات المشهورة !! .

(٢) الحديث رواه البخاري ، والترمذي ، وابن ماجة : كلهم في : الطب ورواه مسلم في « السلام » والدارمي من الرقاق ، ومالك واحمد . وهو صحيح كما بين شيخنا .

مباحة كلها ، ولكن على آكلها الا يؤذي المجتمع برائحة فمه ، ويستطيع ان يبتعد عن غيره ويقوم باي عمل انفرادي ، وتسقط عنه صلاة الجماعة بل ان الأبخر تسقط عنه صلاة الجماعة ، رحمة بالآخرين ..

وروى الكاتب حديث « الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء » ؟. وكذبه قائلا : الحمى ليست من فيح جهنم ، بل هي من فيح الارض وما فيها من قاذورات تساعد على تولد الجراثيم ..

والكاتب كاذب والحديث صحيح ، وما قاله ليس ردا ، فان الحمى مهما كان سببها ترفع درجة الحرارة ، وتكاد تصدع الراس بآلامها فاذا شبهها النبي بعذاب جهنم ، واوصى ان تخفض درجة الحرارة بالمبردات ، فهو محق

وذكر الكاتب الحديث القدسي « اذا ابتليت عبدي بحبيبيه فصبر عوضته عنهما الجنة » (١) ، (يريد عينيه) . ثم علق عليه بهذه الكلمات الحمقاء :

الرأي متروك لاطباء العيون ليقرروا هل فقد البصر ابتلاء من الله ام هو ناتج عن امراض معينة ؟

ثم قال بعد لغو طويل : « اذن المسالة ليست الصبر او التعويض عن فقد العينين بالجنة !! المسالة كلها نقص في المستوى العلمي آنذاك !! »

والمرء يتحير في هذا الغباء ، هل يقال لمن اصيب بانفصال في الشبكية مثلا : انتحر فقد فقدت نور الحياة ، ام يقال له اصبر واحتسب ؟!

وهل الوصية بالصبر تعني عدم التماس العلاج ان وجد اليه سبيل ؟

لقد امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتداوي والتماس العافية من اي سبيل ميسور .

لكن ما العمل اذا لم ينفع الدواء ؟ ايقول الانبياء للمرضى : موتوا بغيظكم . ام اصبرو على قضاء ربكم ، ياجركم يوم اللقاء بما يطيب خاطركم .

وذكر الكاتب حديث رسول الله في الطاعون ثم اخذ يتخبط في التعليق عليه ، وتعليمات النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك تحصر الوباء في أضيق نطاق ممكن لانه يقول : اذا سمعتم بالطاعون في بلد فلا تسافروا اليها ولا تخرجوا منها ..

ولا شك ان الباقي في بلد تحدثه نفسه بالفرار نجاة بحياته ، بيد ان النبي الكريم يوصيه بالبقاء — منعا للعدوى — كما اسلفنا ويجعل لمن مات مصابا اجر شهيد ، وهي مواساة كريمة ، ووعد مصدوق ..

وبديهي ان يكون هذا الاجر الاخروي لمن يؤمن بالآخرة وحده ، اذ ماذا ينتظر من الله منكر لوجوده ، او مفتر الكذب عليه ؟!

---

(١) رواه احمد : ١٤٤/٣ ط الحلبي ، والبخاري في كتاب المرضى ، والدارمي في الرقاق ، والترمذي في الزهد .

لكن هذا الاسيوطي المسكين يسوق حديث البخاري في هذا الموضوع على هذا النحو :

روت عائشة قالت : « سألت رسول الله عن الطاعون فأخبرني انه عذاب يبعثه الله على من يشاء ، وان الله جعله رحمة للمؤمنين ، ليس من احد يقع الطاعون في بلده فيمكث صابرا محتسبا يعلم انه لا يصيبه الا ما كتب الله الا كان له أجر شهيد » ١ .

ثم يتساءل : « والآن لا نقول ما راي الطب في هذا القول ؟ بل ما راي المثقف العادي ؟ وبعد ثرثرة فارغة يقول : « ارجو كبار الاطباء ان ينظروا في مراجعهم حتى يشرحوا نوع الشهادة التي راى محمد ان يخص بها المسلمين فقط . . »

وما نجد شيئا نعقب به على هذا الغباء . .

ومعروف من تعاليم الاسلام انه شديد الاهتمام بنظافة البدن ، وتنقيته من كل درن ، وما دام الانسان يأكل الطعام فهو محتاج الى ارشادات مهمة لاستقباله ، والخلاص من فضلاته .

ولم يؤثر عن احد انه امر بتطهير الفم كما اثر ذلك عن محمد عليه الصلاة والسلام .

ولم يؤثر عن أحد انه أمر بالتطهر التام من آثار الفضلات الادبية كما اثر ذلك عن الانسان الطهور الوضيء محمد بن عبد الله فقد أوصى باستخدام الماء ، بعد ان أوصى بازالة القذى دون ملامسة اليد له ، ولا بأس في بيئة صحراوية من الاستعانة ببعض الحصى في ذلك تنزيها لليد من مباشرة النجس !! ومع ذلك كله فقد امر بدلك اليد بالتراب ، او بأي مزيل للروائح الكريهة ! ماذا يفعل اكثر من ذلك لتكريم الجسد الانساني ؟

وفي الجنابة اذا كانت هناك آثار للسائل المنوي تفسل ، وينقى منها البدن والثوب ، مع ان السائل المنوي طاهر عند فريق من الفقهاء .

غير ان عبقري اسيوط دخل في هذه القضية بفكر متعصب قذر فذكر عن ميمونة ــ زوج النبي ــ انه اغتسل من الجنابة فغسل فرجه بيده ثم دلك بها الحائط ، ثم غسلها ، ثم توضأ وضوءه للصلاة ، فلما فرغ من غسله غسل رجليه » ١ .

قال الكاتب: «في هذا الحديث نقف عند جملة معينة هي: «فغسل فرجه بيده ثم دلك بها الحائط » اي مسح يده بالحائط ، اليس هذا التصرف ناقلا للعدوى لو انا تابعناه . . ان الطب يؤكد ان امراضا كثيرة مثل الديدان

---

(١) رواه : البخاري واحمد .

(٢) رواه البخاري ، ومسلم ، والاسماعيلي في مستخرجه وابن حبان ، راجع التلخيص الحبير : ١/١٤٢ .

المعوية والبلهارسيا تنتقل بهذا التصرف من المريض الى السليم .. » وهذا كذب في كذب ، من قال : ان اي زوج ينقي جسمه من آثار المباشرة الجنسية ينقل البلهارسيا وديدان الامعاء ؟!

والكاتب الذي يمد عينه الى هذه الشئون كيف ينسى ما عنده من تعاليم تجعل ما يخرج من جسمه – ايا كان – ليس نجسا .. اي الفريقين اطهر واشرف ؟ هل نذكر له ما ورد في الاناجيل من ذلك ؟ !

ان التوجيهات المحمدية في ذلك بلغت القمة ، اما ما ينقل عن غيره فيثير الغثيان .

واذا لم يكن الكاتب نصرانيا وكان شيوعيا فهل يدلنا كيف كان ماركس يتطهر ؟ ان ابقاء الغطاء على هذا الموضوع احفظ للمروءة واصون للذوق العام .

ويتهكم الكاتب بالطهارة الرمزية المعروفة في الاسلام باسم التيمم . ونحن نقول له : اذا كنت تضيق ان يمس التراب بعض اعضاء الانسان فما رايك اذا كان الكتاب المقدس يأمر بابتلاع هذا التراب نفسه ٢ .

وينكر الكاتب وجود السماء قائلا ان الفكر البشري أيام جهالته اخطأ في فهم الزرقة التي تحيط بنا ، فوصفها بانها سقف الارض وسماها سماء ، ثم جاءت الاديان فأكدت ذلك ، وزادت بأن حددت عدد طبقاتها ، وظل هذا الاعتقاد سائدا حتى ابطله العلم .

ونقول : تطلق السماء لغة على كل ما علا . وقد أطلق القرآن الكريم السماء على السحاب . قال تعالى : « الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها » ٣ وفي آية اخرى : « الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله .. » ٤ – اي المطر – .

ومن الآيتين معا نعلم ان السماء هي السحاب .

واطلق القرآن السماء على السقف العادي ، وكل ما ارتفع : « من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع .. » ٥

وتطلق السماوات السبع على طباق فوقنا لا نعرف : ما هي ، ولا ما أبعادها ، ولم يتحدث الدين عن مادتها ، ولا عن طريقة بنائها ، فماذا في العلم يخالف ما اسلفنا بيانه ؟

---

(١) يراجع كتابنا دفاع عن العقيدة والشريعة .

(٢) سنسوق النص بعد قليل عند الحديث عن الاعتراف .

(٣) فاطر : ٢٧ . (٤) النور : ٤٣ . (٥) الحج : ١٥ .

يقول هذا الكاتب : وراء النجوم فراغ لا نهائي ، لا محدود . .

ونقول هذا كذب ، فالكون محدود ، والوصف بالمطلق هـو لله وحده ، ولم يقل علماء الفلك انهم استيقنوا من ان كوننا هذا لا نهائي . .

ثم يجيء الكاتب الى قوله تعالى : « اولم يـر الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما » فيزعم ان هذا الراي يناقض جميع النظريات العلمية ، كما يعرف ذلك طلاب المدارس . .

لقد فهم الاحمق من الآية ان الارض كانت ملزوقة في الزرقـة الفضائية قبل ان تنفصل وحدها . . وهذا ما لم يقله احد .

سئل ابن عباس عن هذه الآيـة فقال : فتـق السماء بالمطر ، وفتـق الارض بالنبات . .

وهناك راي علمي بأن المجموعة الشمسية كانت سديما ، ثم انفصلـت عن الشمس وتوابعها على نحو ما نرى .

ونحن لا نصدق ولا نكذب رايـا علميا لـم يستقر في وضعه الاخير . . والمهم ان القرآن يستحيل ان يكون به ما يناقض حقيقة علميـة مقررة ومـن سخافات المسكين ان يقول ان القرآن كله تتم كتابته بقطرات مـن محبرة ، فكيف يجيء به « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربـي لنفـد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي . . » [1]

ان كلمات الله تكثر كثرة ما يعلم ، وقـد وسع كـل شيء علما ، انهـا الكلمات المتصلة بتدبير الوجود كله ، والقيام على أمره ، انها تتصل بحياة كل ذرة في الارض والسماء .

وليست بداهة الفاظ القرآن ، ولكن الجنون فنون . .

ولا اريد ان أطيل السرد ، والاخذ والرد مع شخص يهـزل ويرى انـه يجـد !!

اريد ان اقرر حقيقة اسلامية ربمـا جهلهـا البعض : **هل رفض حديث آحاد الحفظ ما يعد صدعا في بناء الاسلام ؟**

كلا فان سنن الآحاد عندنا تفيد الظن العلمي ، انها قرينة تستفاد منها الاحكام الفرعية في ديننا ، فاذا وجد الفقيه او المحدث ان هناك قرينة ارجـح منها ، تركها الى الدليل الاقوى دون غضاضة .

وتعريف الحديث الصحيح : ((الا تكون فيه علة قادحة)) ، فاذا بـدت علة في ((سنده)) او ((متنه)) تلاشت صحته ، ولا حرج .

وائمة الفقه الاسلامي بنوا اجتهادهم على هذا النظر الصائب .

● فابو حنيفة مثلا رفض ان يترك المسلم اذا قتل كافـرا دون قصاص

---

(1) الكهف : ١٠٩ .

وتجاوز حديث البخاري في ذلك « لا يقتل مسلم في كافر » واعتمد في مذهبه على آية « النفس بالنفس » .

● ومالك كره ان يتنفل المصلى قبل فريضة المغرب ، ولم يلتفت لما رواه البخاري في ذلك من استحباب صلاة ركعتين لمن شاء ، ورايه هذا يرجع الى ان عمل اهل المدينة ادل على السنة من حديث آحاد ، وهم لا يتنفلون قبل المغرب ، فاتباعهم أولى من رواية البخاري .

وابو حنيفة ومالك جميعا يكرهون ان يصلي المرء تحية المسجد والامام يخطب يوم الجمعة ، ويردون ما رواه البخاري في ذلك بردود شتى .

واغلب الائمة يرفض ما روي .. في الصحيح من ان رضاعة الكبار تثبت حرمة المصاهرة ، ويرون ان الرضاعة المثبتة للحرمة ما كان في فترة الطفولة، اي ما انبت اللحم وشد العظم .

ولا نريد ان ننتقل الى مباحث فقهية مفصلة ، وانما نريد ان نقول : هب ان رجلا قال : لا استطيع قبول رواية « اذا وقع الذباب في شراب احدكم فليغمسه ثم لينزعه ، فان في احدى جناحيه داء والاخرى شفاء » ايكون من الكافرين ؟ كلا !! فلم يقل احد ان اركان الاسلام تضم الايمان بالله واليوم الآخر وغمس الذباب في الشراب اذا سقط فيه .

وحديث الآحاد ليس مصدر عقيدة شرعية او حكم قاطع بيد **اني من باب استكمال البحث العلمي فقط اسال : هل الحديث مردود ؟ ان بعض علماء الحشرات قرر ان هذه الحشرة تفرز الشيء والشيء المضاد له فان استقر هذا الراي الفني فالحديث صحيح ، وان ثبت قطعا ان الذباب مؤذ في جميع الاحوال التي تعرض له ومن بينها الحالة المروية في الحديث رددته دون غضاضة .**

وليس بقادح هذا في ديني ولا يقيني .

وقد روى « البخاري » احاديث صحيحة السند لكن ائمة الفقه عملوا بغيرها لأدلة أقوى عندهم منها .. **وانا شخصيا متوقف في هذا الحديث ، لم انته فيه الى حكم حاسم ، وعلى اية حال فهو لا يتعلق بسلوك خاص او عام..**

ان قواعد الدين وعبادته وفضائله وقيمه ترتكز اولا على القرآن الكريم ثم ما يشرحه من سنن استراح النقاد الاخصائيون لها ..

وما دام هناك من يضرب راسه بالجبل ليثبت ان في الاسلام متناقضات بالاحترام **ومنهج المحدثين في تلقي التراث النبوي لا غبار عليه ، بل ان هذا المنهج هو ما تحتاج اليه الديانات الاخرى لتكون موضع ثقة وقبول .**

وما دام هناك من يضرب رأسه بالجبل ليثبت ان في الاسلام متناقضات فلنلق نحن نظرة خاطفة على تراث القوم ليرى القراء ايـن تقـع التناقضات الحقيقية :

انا في الفصل الاول من هذا الكتاب فضحنا الاسلوب الطفولي الماجن الذي تحدث به العهد القديم عن الالوهية فلنسمع هذه الاخبار عن عدد بني

اسرائيل حين دخلوا مصر وحين خرجوا منها ، يقول الاستاذ عصام الدين حفني ناصف كاشفا عن التزوير الذي اقترفه كتاب التوراة :

« من ذلك ما زعموه ان يعقوب واسرته وفدوا على مصر بدعوة من يوسف ، وكانت عدتهم ٧٠ شخصا فما انصرمت ٢١٥ عاما حتى كان عددهم قد ناهز ٣٠٠٠٠٠٠ (اي ٣ مليون) فلما نزحوا عن ديارنا كان بينهم « نحو ستمائة الف ماش من الرجال عدا الاولاد » ــ هكذا سجل سفر الخروج ــ (١٢ : ٣٧) .

وقد احصوا ابكارهم فكان جميع الابكار الذكور بعدد الاسماء من ابن شهر فصاعدا ، المعدودين منهم اثنين وعشرين الفا ومائتين وثلاثة وسبعين (عدد ٣ : ٤٣) .

فاذا ضاعفنا هذا الرقم كان جميع الابكار من الجنسين نحو ٤٥٠٠٠ وبقسمة عدد الجماعة على عدد الابكار نخلص الى ان المراة الاسرائيلية كانت تلد زهاء ٦٥ وليدا !! »

هذه هي مقررات الكتاب المقدس ، دون تعليق .

وظاهر ان اليهود كذبوا في ذكر عددهم كذبا صارخا وانهم اودعوا كذبهم هذا في تضاعيف التوراة ، وعلينا ان نصدق !!!

يقول « عصام ناصف » : « ان هذه الملايين الثلاثة المزعومة من اليهود الابقين من مصر لو أنها سارت في صفوف عرضية متراصة يضم كل صف منها عشرين يهوديا ، ويشغل الصف بين سابقه ولاحقه مترا واحدا لاستطال هذا القطار البشري « الطابور » مسافة ١٥٠ كيلو مترا ــ ابعد من المسافة بين القاهرة وخليج السويس ــ ولتعذر على قائدهم موسى أن يبلغهم أوامره » !

وعن كهنة الاديان السابقة واغراقهم في المتاع المادي يقول : « ان المال والجاه وان كانا في حقيقة امرهما غرضا يبتغى لذاته ، هما كذلك وقبل ذلك وسيلة لغرض لا تكتمل المتعة الا به ، وهو قضاء الوطر من الناحية الجنسية ، ومن ثم خولوا انفسهم حق الاستماع الى اعترافات النساء ، فيما يتصل بأوثق علاقاتهن بالرجال .

وقد اشترعوا لهذا الغرض ما اسموه « شريعة الغيرة » . فاذا استراب رجل بامراته ، وهجس في صدره انها خانته مع آخر « يأتي الرجل بامراته الى الكاهن ويأتي بقربانها معها ، فيقعدها الكاهن ويوقفها امام الرب ، ويأخذ الكاهن ماء مقدسا في اناء خزف ويأخذ الكاهن من الغبار الذي في أرض المسكن ويجعله في الماء » (عدد : ١٥ ــ ١٧)

ويخلو الكاهن بالمراة ويشرع في تلاوة بعض الالفاظ ويستحلف المراة ان تقر بما كان منها ثم يجرعها الماء المشوب بالغبار .

ومتى سقاها الماء فان كانت قد تنجست وخانت رجلها يدخل فيها ماء اللعنة للمرارة فيرم ــ يتورم ــ بطنها وتسقط فخذها (!) فتصير المراة لعنة

في وسط شعبها . وان لم تكن المراة قد تنجست بل كانت طاهرة تتبرأ وتحبل بزرع » ! (عدد : ١٥ ـ ١٧)

ومن المعلوم ان الماء لا يدخل المرارة ، وان وظائف الأعضاء لا تمت الى المسلك الخلقي بسبب وثيق ، ولكنها اجراءات خادعة تتخذ لتعزيز سلطان الكاهن على المراة ، فهو ينفرد بها في خلوة ثم يخرج راضيا او ساخطا وينطق بالقول الفصل فيدينها بالموت مجللة بالعار ، او يدعها تنعم بالحياة مرفوعة الراس ناصعة الجبين » .

هذه توجيهات الكتاب المقدس ، ومبدأ الاعتراف على هذا النحو او على اي نحو آخر لا معنى له ولا اثر ، اللهم الا افساد الدين والخلق ..

ماذا على من اخطأ ان يتصل بربه لفوره في دعاء النادم ، ورجاء الخاشع ، والله يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، وبابه يستقبل كل شخص رجلا كان او امراة ، شيخا او شابا ، عالما او جاهلا ؟؟

هذه توجيهات الاسلام ، وهي نابعة من مبدئه العتيد : « كل امرىء بما كسب رهين » **اما انفراد المراة بكاهن ـ او غير كاهن ـ في خلوة فامر لا تحمد عقباه ، خصوصا اذا كانت هذه الخلوة مع محروم من الزواج معلوف باطايب الطعام !!**

هل الله جل شانه مصدر هذه التعليمات ؟ كلا ..

ان من المقطوع به ان عددا من المؤلفين لا مؤلفا واحدا اشرف على وضع الكتاب المقدس كله ، ولا نزعم انه خال من الوحي الالهي من اوله الى آخره ، لا ، بل نقرر ان خليطا معقدا من اهواء الناس وهدايات الله ... تم التنسيق بينهما على النحو الذي نرى .

بيد أن من المضحك أن الذي قام بتاليف التوراة نسي نفسه وهو يكتب، وذهل كل الذهول انه سوف ينسب ما يكتب الى موسى !!

فأورد في تضاعيف التوراة ـ النازلة على موسى فرضا ـ هذه العبارات : « فمات هناك موسى عبد الرب في ارض موآب حسب قول الرب، ودفنه في الجواء في ارض موآب مقابل بيت فغور ، ولم يعرف انسان قبره الى هذا اليوم . وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات . ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته ، فبكى بنو اسرائيل في عربات موآب ثلاثين يوما فكملت ايام بكاء مناحة موسى .. »

ما هذا ؟ موسى الذي انزلت عليه التوراة تتحدث عنه التوراة بهذا النعي والعزاء والمناحة ؟؟

ما يستطيع عاقل الا الاقرار بأن كاتب التوراة بعد موسى نسي نفسه

---

(١) تقدم هذا النص لن لم يرقهم « التيمم » بالغبار ، ها هو ذا الغبار يشرب عندهم .

ونسي الدور التمثيلي الذي يقوم به ، وغلبت عليـه صفة المؤرخ لا المؤلف فقال ما قال ليعرف المستغفلون ماذا يقرءون !!

ونقرن هذا النص بخبر آخر نشرته جريدة الاهرام في ٣ مايو سنة ١٩٧٢ (١٩ من ربيع الاول سنة ١٣٩٢) تحت عنوان « وثائق دينية تاريخية تسلمها هولندا الى الاردن » :

« عمان : ــ سلم اليوم الدكتور « هانك بانكير » بالنيابة عن الحكومة الهولندية الى الدكتور غالب بركات وزير السياحة الاردني وثائق تاريخية تتضمن النصوص القديمة التي قال المؤرخون انها تطلبت اعادة تقييم الانجيل. وكانت بعثة اثرية هولندية قد اكتشفت هذه الوثائق في عام ١٩٦٧ ، وهي وثائق كتبت بالآرامية في القرن السابع قبل الميلاد ، وعثرت عليها البعثة في وادي الاردن ، وكانت البعثة قد حملت تلك الوثائق الى هولندا لدراستها وحل رموزها بقصد حفظها . وقال الدكتور « هـ . فراكين » الذي رأس تلك البعثة : ان هذه الوثائق فريدة من نوعها ، وقال : **ان كل المعلومات التي وردت في الانجيل حول فلسطين والاردن في نهاية العصر البرونزي وبداية العصر الحديث غير موثوق بها لانها كانت محاولة قام بها قساوسة من القدس لجعل التاريخ يتناسب مع الآراء الدينية للقرن السابع للميلاد .** »

هذا الخبر الصغير نقطة في بحر من الاوهام والترهات التي تغص بها هذه الصحائف .

وما نعلم كتابا حفته العناية العظمى ، وصانته اجل صيانة من هذا القرآن الكريم .

ان القارات الخمس ليس فيها ما يوصف بانه وحي السماء الا هذا الكتاب الفذ .

فهل يؤدي المسلمون حقه ؟!

تحقير التدين ومطاردة المتدينين لادنى ملابسة خطوة الى الارتداد الذي لا ريب فيه ، وهو في الظروف التي تواجهها امتنا نوع من الخيانة العظمى او هو الخيانة العظمى نفسها .

وقد افهم ان تشتبك السلطات الحاكمة مع افراد او جماعات ينازعونها السيادة لغرض سيء او حسن ! لكن هل يقال ان التاريخ الاسلامي يعين على تكوين جماعة الاخوان فليمسخ هذا التاريخ او ان البيئات المتدينة مستودع يستمد منه الاخوان فلتحارب هذه البيئات ؟!

ان هذا القول يعني بداهة نقل الخصومة من ميدان الى ميدان آخر وان الاسلام ذاته قد اصبح عرضة للعدوان .

وقد هززت راسي أسفا وانا اسمع شابا يتبرأ من الانتساب الى الاخوان فيقول لقضاته : انا عمري ما ركعتها ، ويعلم صحبي اني أشرب الخمر ، وافعل كذا وكذا !! .

وقد استمع الناس الى احد « نجوم الفكاهة » في مصر يذكر ان امراة

افتيد زوجها الى السجن فسئلت : أهو مـــن الاخوان ؟ فقالت : « فشر ! زوجي حرامي قد الدنيا » .

وهكذا اصبحت اللصوصية شرفا ! او نسبة لا حرج فيها على الاقل !

والواقع انه مرت ببلدنا ايام كالحة الوجه ، مشئومة العقبى كان التعين فيها تهمة تخرب البيوت ، وكان عدد مـــن الشبان المؤمنين يختفـــي بصلاته وتقواه ، وقل تردده على المساجد لانه اشيع ان نفرا من الذين صلوا الفجر في مسجد كذا قد اعتقلوا . .

وامتدادا لهذه السياسة ـ سياسة سوء الظن بكل ذي نزعة متدينة ـ **وضعت المؤسسات الاسلامية الكبرى تحت رياسة عسكرية لها الكلمة العليا مثل « الجمعية الشرعية » ، و « الشبـــان المسلمين » ، و « المجلس الاعلـــى للشئون الاسلامية » و « مدينة البعوث الاسلامية » . . .**

وذلك لضمان حصر عاطفة التدين داخل اطار معين :

- فلا يسمع اي كلام عن تطبيق الشريعة الاسلامية .
- ولا يقبل اي اتجاه للعودة بالامة الى الاصطباغ بدينها في ظاهر امرها وباطنه .

ومن الانصاف ان نذكر ان من بين هؤلاء العسكريين من تـــرك الشعور الاسلامي ينمو دون حرج ، خصوصا بعـــد ان تغيرت الظـــروف التـــي املت بالتقرير المثبت في هذا الكتاب [1] .

على ان الشيوعيين والصليبيين قد انتهزوا فرصة هـــذه المطاردة المثيرة فاعلنوا حربا على الشارات الاسلامية في المجتمع ونجحوا في تحقيرها وتأليب قوى شتى ضدها .

وعن طريق المسرح وحده امكن عرض روايات هازلـــة وجادة غرضها انتزاع كل مهابة لشيوخ الاسلام والمتحدثين باسمه .

كما ان سماسرة الغزو الثقافي في بلادنا استماتوا في صرف الشباب عن الدين ، واغروه بفنون الشهوات لينسى ربه ودينه ونبيه .

فلما تغلبت الفطرة الاصيلة واخذ الشباب يعـــود الـــى دينه في صمت وظهرت ملابس الحشمة بين الطالبات الجامعيات جن جنـــون السماسرة من صحافيين وصحافيات وانطلقوا يفترون الكـــذب عـــلى العفيفات المحصنات ووصفت امراة ماجنة ملابس الفضيلة بانها « اكفان موتـــى ! » واخذت مـــع غيرها ينهشن بضراوة اعراض الطيبات الطاهرات .

وقد تصفحت المجلة التي نشرت هذا اللغو فوجدت بها دعوة الى الزنـــا والرضا به ، والتحريض عليه ، في عدة مواضع . . !!

---

(1) راجع تقرير اللجنة التي شكلت مـــن : زكريـــا محيي الديـــن ، صلاح نصر ، وشمس بدران لدراسة القاهرة الاخوانية .

ولا عجب فرئيسة تحرير المجلة هي التي ناقشت المقيد « القذافي » بسماجة نادرة ، وسوغت امامه انتشار الخنا في شارع الهرم عندما نصح الرجل النساء بالتزام احكام الاسلام .

« الخيانة الزوجية » تعبير مخفف عن جريمة الزنا عندما يرتكبها رجل مغافلا امراته او ترتكبها امراة مخادعة زوجها .

واظن هذا التعبير مترجما عن اللغات الاوربية حيث يعتبر اقتراف ذلك الاثم تفريطا في حق انساني عادي ، اما نحن المسلمين ، بل معشر المتدينين اجمالا ، فنرى الزنا تفريطا في حق الله قبل ان يكون تفريطا في حق عباده ، وهو من الشخص المحصن اغلظ واشنع ممن لم يسبق له زواج .

لكن الاستاذة المعلمة « امينة السعيد » لها وجهة نظر اخرى في هذه القضية : لماذا ينظر الى الزنا هذه النظرة السيئة ؟ بل لماذا تستبشع الخيانة الزوجية على هذا النحو الشائع بين الناس ؟ فنشرت في صفحة ٤٧ من مجلة حواء (١) هذا الكلام تحت عنوان « اراحت نفسها » :

« سألوها (وهي زوجة فرنسية) : هل تغارين ؟ اجابت اعاني من الشعور بالوحدة عندما يبتعد عني زوجي ، لكني لا اغار واعتقد ان الغيرة شيء لا معنى له ، ولذلك ينبغي الا نستسلم له !!

لكن سائلها لم تقنعه هذه الاجابة ، فقال لها : اشرحي لي ! قالت : انني اقول لنفسي أفرضي انه الآن مع واحدة اخرى ، هل من حقي ان اعترض ؟ انني لم اتزوج فردا او نكرة وانما تزوجت رجلا « ملء ثوبه » ، احببته لهذا ، ولا بد ان يعجب غيري من النساء ! انني لا احمل له عاطفة الحب وحدها ولكن ايضا الاحترام والتقدير !. قاطعها السائل : لا اهمية عندك اذن للاخلاص والوفاء ؟ قالت وهي تأخذ رشفة من فنجان القهوة : « اسمع انا الآن اشرب هذه القهوة .. شعرت بحاجة اليها .. وها انذا استمتع بها .. هل يمانع احد ؟ .. هل من حق زوجي اذا دخل الآن ان يلومني قائلا : لماذا شربت القهوة دون اذن مني ؟ اقصد ان الخيانة العابرة ليست اكثر من فنجان قهوة بالنسبة لي .. لماذا اجعل لها من الاهمية اكثر مما تستحق ؟ اليس من الجائز ان يستمتع هو في غيابي ايضا بقطعة موسيقى .. باستلقاءة في الشمس .. بنكتة يسمعها من احد زملائه ؟ هل يوجد فرق كبير حقا بين الاثنين ؟ اقصد ان النزوات .. الغلطات العابرة ينبغي ان نتسامح فيها ، فاذا تغير شعوره نحوي تماما ونفض يده مني فهذا شيء آخر .. شيء يستحق حزني ، لكن حتى في هذه الحالة لن تفيدني الغيرة شيئا ! »

والآن (ما زال الكلام للمجلة) هل اثارت دهشتك ردود هذه السيدة ؟! انها زوجة فرنسية .. ولا اعتقد ان كل الزوجات الفرنسيات يعتنقن هذا

---

(١) العدد ٨٤٣ – ١٩٧٢/١١/١٨ م .

الراي الجريء والذي عبرت عنه في حديث اجرته صحيفة « ماري كلير » مع بعض الزوجات .. لكن الذي لا شك فيه ان في كلامها حكمة تفتح نافذة على نوع من راحة البال يحتاج اليه كثير من المتزوجين » .

وفي الصفحة رقم (٥) من هذا العدد علاج مماثل لقضية الزنا او الخيانة الزوجية كما شاع على الالسنة ، وهذه الكلمة المكتوبة تعليق على رواية للصحافي المشهور « توفيق الحكيم » .. فان هذا « التوفيق حكيم » منح الرجل حق الزنا او حق خيانة زوجته ، وضن على المراه بهذا الحق !! فجاءت مجلة « حواء » لترفع راية المساواة بين الجنسين ، ولتطلب من الفنان الخليع ان يعيد النظر فيما كتب لانه يعالج موضوعا « يتعرض للكثير من التغير بين جيل وجيل » .

يقول المعلق الخسيس : « فانا لا اقصد ان كل ما جاء في الرواية في حاجة لمراجعة ، ولكن يكفي ان بعضها محتاج الى ذلك ، لكي يحمل رجل الاجتماع الذي يسكن في اعماق الفنان ان يقول كلمة التطور والتغير اللذين اصابا المجتمع وبدلا من اوضاعه وافكاره » .

ما الراي فيما قالته الزوجة في تساؤلها : واذا خان الزوج ، اليس لها الحق ان تخونه ؟ وكان جواب « راهب الفكر » : لا ، وكان تبريره لذلك ان الرجل هو الذي يعرق والمراة هي التي تنفق ، ثم يمضي قائلا : اكدحي كما يكدح زوجك ، اعرقي كما يعرق فاذا تساويتما في التضحيات تساويتما في الحقوق فالرجل اذا خان خان من ماله ، لكن الزوجة تخون من مال زوجها ، لن تكون هناك مساواة مطلقة بينكن وبين الرجال في هذا الاثم الا اذا تطور الزمن تطورا آخر فراينا الزوجة تناضل في الحياة وتكتسب بالقدر الذي يربحه الزوج ! اليس هذا المنطق بحاجة لمراجعة بعد ان تطور الزمن الى ما نراه الآن ؟

ان ريح التغير قد أصابت بعض ما جاء في هذه الرواية من افكار ، لكنها مع ذلك تظل قطعة فنية تحمل طابع زمنها وتتضوع بالاريج الذي يفوح دائما من قلم فناننا الكبير المبدع » .

هكذا تعالج مجلة حواء جريمة الزنا وتطلب اعادة النظر في جعلها حكرا على الزوج وحده كما يرى راهب الفكر ، هذه هي رهبانية الفكر في عالم الدواب .

هل يستغرب من مجلة حواء التي تتمرغ في هذا الحضيض ان تنشر مقالا للسيدة محررتها تحمل فيه حملة شعواء على ملابس الفضيلة التي تستر بدن المراة كله عدا الوجه والكفين ؟

ان « المعلمة » التي تقود نشاطا نسويا في بلادنا تشبه هذه الملابس الشرعية السابغة بـ « الكفن ! » .

وقد لعب التصوير دوره في هذه المأساة ، ففي الصفحة الخامسة من العدد صورة امراة مضطجعة على وسادتها تحلم بالحب .. ان هذا امر سائغ

لا يعاب وفي الصفحة الحادية عشرة صورة طالبـة جميلـة اللابس مشوهـة الوجه ، بادية الحشمة ، كئيبة الطلعة !!

لم هذا التحامل ؟ ولحساب من ؟ الجواب معروف !.

وتبلغ الوقاحة قرارها السحيق عندما تصف رئيسة التحرير نفسها ـ وقد نقلنا نماذج من أخلاق مجلتها ـ فتقول انها « من الوقورات المحتشمات المؤمنات بدينهن المتقيات لله الفاعلات للخير .. الخ » .

وهذا أسلوب جديد في الحرب المعلنة على الاسلام ، يقول لك مستبيح الخمر والزنا والانحلال والاعوجاج : هل انت بدعوتك الى الصلاة والاستقامة مسلـم ؟

لا ، نحن أولى بالاسلام منك ، انك لا تعرف الاسلام ، الاسلام تطـور ومدنية ، وليس المظاهر التي تتمسكون بها ، نحن الصالحات الراقيات .

ونذكر قول الشاعر :

« فيا له مـن عمل صالح يرفعه الله الـى اسفل !! »

الباب السادس

- الدعوة الاسلامية وسياسة بعض الحكام
- الذنب الاغبـــر .
- اندونيسيا المسلمة .
- سماسرة الفاتيكان .
- الاسلام في كوريا .
- قبـــرص .
- العقيد الناصري !!

الدعوة الاسلامية والحكام الخونة

المسلمون مكلفون بنشر دينهم في القارات الخمس . ويجب ان تكون لديهم اجهزة متخصصة تعرف العالم كله : من محمد ؟ ورسالته ؟ ما الذي ينشده للناس كي يسعدوا في معاشهم ومعادهم ؟

يجب ان تكون تعاليم الاسلام تحت ابصار الناس قاطبة ، فمن شاء قبلها ، ومن شاء ردها ، المهم أن يعرفها على حقيقتها ، وان يزول الجهل بها ، والا يكون الدخان الذي أطلقه اعداؤها حائلا دون هذا الادراك الواعي السليم ..

وقد كانت « الخلافة » الكبرى مسئولة عن ذلك ، اذ كانت رمزا للاسلام ، وشاخصا عاليا يلفت الانظار اليه ، ويذود الاعداء عنه .

ومع ان « الخلافة » عندما تولاها الجنس التركي قد اصبحت شبحا عليلا ، ومع ان الخلفاء الاتراك كانوا اقرب الى السلاطين الجبابرة منهم الى امراء المؤمنين وحراس اليقين ودعاة الحق وهداة الخلق !! مع ذلك كله فان وجود الخلافة فيهم كان له اثره في وحدة المسلمين وتقليل الخسائر النازلة بهم من هنا وهناك .

وحسبنا ان نشير الى موقف السلطان «عبد الحميد» من فلسطين ، فقد ساق اليه اليهود قناطير الذهب ليسمح بوجود يهودي فيها فأبى الرجل اباء قطع كل محاولات الاغراء واحبط جميع المؤمرات لشطر العالم الاسلامي بهذا العنصر الغريب ...

ولما كان لوجود « **الخلافة** » من آثار مادية وادبية بعيدة المدى فقد كان همّ العالم الصليبي ان يجهز عليها ، وقد استطاع ان يبلغ غرضه بعد الحرب العالمية الاولى مستغلا اطماع القائد التركي « مصطفى كمال » الذي باع الاسلام والمسلمين من اجل البقاء رئيسا للدولة التركية الجديدة !!

ان الشروط الاربعة التي عرضها « الحلفاء » المنتصرون عليه هي ان يقطع صلة تركيا بالعالم الاسلامي وبالعرب خاصة ، وان يلغي نظام الخلافة ، وان يحكم الشعب بدستور تقدمي مبتوت الصلة بالدين .

وفي سبيل الزعامة رضي القائد الحائن بهذه الشروط ، والبسته اوربا حلل المجد ، ولو انه بقي على دينه وبقيت الامة على دينها لتقلص الاحتلال الصليبي في الاناضول قبل ان يتقلص في مصر والشام والجزائر والمغرب !!
فقد كانت مقاومة الاتراك له اشد واقسى ..

ولكي تعرف من هو « مصطفى كمال » الحقيقي اليك بهذه العدلكة الموجزة عنه : قال عنه « ارمسترونج » في كتابه « الذئب الاغبر » :

● انه كان بفطرته ثائرا لا يحترم دينا او انسانا او وضعا من الاوضاع ولا يقدس شيئا على الاطلاق .

● وقال عنه ايضا : ان الغازي لن يقود تركيا الى حماقة من تلك الحماقات أو ينصب نفسه بطلا للشرق معاديا للغرب ، وللاسلام ضد المسيحية ، او للاجناس المضطهدة ضد مضطهديها ، ولكنه لن يكون الا كما حدد برنامجه بقوله : « ليس لنا الا مبدا واحد : هو ان ننظر الى جميع المشكلات بالعين التركية ونصون مصالح تركيا » .

● ونقل عنه قوله لممثل حكومة فرنسا : « تستطيعون ان تنالوا سوريا وبلاد العرب ولكن كفوا ايديكم عن تركيا ، نحن نطالب بحق كل شعب في الحرية داخل حدود بلادنا الطبيعية ، ولا نبغي شبرا واحدا اكثر من ذلك ولا اقل .

● ونقل عنه قوله في الجمعية الوطنية التركية : « انا لست مؤمنا بعصبة من جميع الدول الاسلامية ولا حتى بعصبة من الشعوب التركية » .

● وقال عنه ايضا انه طالما اوضح لاصدقائه انه يرى وجوب اقتلاع الدين من تركيا !!

* * *

لندع هذه الذكريات الحزينة ولنخلص الى ما نريد ، ان الدعوة الى الاسلام قد سقط لواؤها العالمي ، وكانت شعوب كثيرة يمكن ان تدخل فيه ، ولكن من لها بالدعاة ؟ ومن الذي يهتم بذلك ؟

نشرت جريدة الاخبار تحت عنوان « مسئول كوري يشرح لماذا لم ينتشر الاسلام في كوريا ؟ » قالت .

« المسلم الذي يزور كوريا الجنوبية يلاحظ مدى اهتمام حكومتها بتشجيع الاديان ، فليس هناك اي قيد على اي مواطن يريد ان يعتنق دينا آمن به او يتبع مذهبا ارتضاه » .

هناك نشاط كاثوليكي كبير اذ توجد ٢٥٠ كنيسة ، كما انه توجد مستشفيات ، وملاعب رياضية ، وجامعات مسيحية في انحاء كوريا الجنوبية التي يدين معظم سكانها بالبوذية .

اما النشاط الاسلامي فقد اقتصر حتى الآن على ٤٠٠٠ مواطن فقط ـ ليس لهم ما يجمع شتاتهم ـ فما سر هذه الظاهرة ؟

يجيب مسئول حكومي ان الفرصة سانحة لانتشار الاسلام في كوريا

الجنوبية لاسباب كثيرة .

منها ان الرئيس الحالي « بارك سنج هي » ينادي بالحرية الدينية وعلى من يهمهم نشر الاسلام ان يتحركوا بسرعة منتهزين سماحة هذا الرئيس ، فقد يتغير ويجيء بعده رئيس جديد للجمهورية تكون له وجهة نظر اخرى فتضيع الفرصة على المسلمين .

ثم ان الكوريين الجنوبيين يؤمنون منذ القدم « بهنانيم » وهي كلمة معناها ، الاله الواحد الذي لا شريك له ، ومن ثم فان الدعاة الى الاسلام لن يجدوا اية صعوبة في نشر عقيدتهم بين الكوريين .

والكوري الجنوبي لا يميل الى الالحاد وهو يمقت الشيوعية ، ويرفض النزعات المادية المجردة ، انه يؤمن بالروح والعقل ، بالدين الصحيح ، والاسلام يملأ العقل بمبادئه ويتفق مع الفكر والزمان والتطور — هكذا يقول المسئول الكوري — وتسأل المسلمين في كوريا عن أسباب عدم انتشار الاسلام في ارض فتحت قلبها لكل الاديان ؟

فتسمع من يقول : ليست لدينا امكانات مادية كافية كافية ، نريد مسجدا كبيرا في العاصمة « سيول » ، والارض غالية الثمن !!

لكن رئيس الجمهورية حل هذه المشكلة ، فاهدى الى المسلمين قطعة ارض يبنون عليها مسجدهم ، والى الآن لم يجتمع لدى المسلمين المال الذي يبنون عليه مسجدهم الكبير !!

والمنح الدراسية التي تصل الى كوريا من الدول الاسلامية قليلة جدا . ويكفي ان تعلم ان عدد الكوريين الذين ارسلوا الى الدول الاسلامية خلال عشر سنوات ٢٩ طالبا . . !! »

هذه بيئة كاملة الصلاحية لازدهار الاسلام .

لو وجدت دعاة مدربين لدخل اهلوها في دين الله افواجا .

لكن الاسلام دين يتيم ! من يهتم به على الصعيد العالمي .

ان المنتسبين اليه يخضعون لحكومات تضيق به ، او تأبى الانتساب اليه أو تعجز عن اسداء خدمة له ، وهم أولى الناس بما قال الله في بني اسرائيل : « وقطعناهم في الارض أمما : منهم الصالحون ومنهم دون ذلك »[1]

في المجال الانساني الرحب ليست للاسلام راية تحتشد حولها الجهود وتهوي اليها الافئدة .

ومن هنا فنحن نقول آسفين : ان الدعاية الاسلامية العالمية صفر . .

فلنتواضع ولنرجع الى داخل العالم الاسلامي لنرى ما هنالك . .

ان الغازي الهمام « مصطفى كمال » ليس أول حاكم ارتد عن الاسلام جريا وراء الحكم ، ففي اثناء الحروب الصليبية الاولى كفر حكام ليبقوا ملوكا أو رؤساء كفروا وتعاونوا مع الغزاة في ضرب الاسلام وامته .

---

(١) الاعراف : ١٦٨ .

قال الاستاذ « علال الفاسي » : « بعد ضياع الاندلس تطلع الاسبان المسيحيون لاحتلال المغرب . وانتهز ملـــك قشتالة « فردناند » الثالث ان « ادريس ابو العلا المأمون » طلب مساعدتـه عـلى استعادة ملكـه في المغرب ، فأمده بجيش من اثني عشر الف جندي مسيحي ، وذلـك مقابـل الشروط الآتية التي التزم بها المأمون :

(١) ان يعطي المأمون لفرديناد قواعد يختارها ملك قشتالة .

(٢) اذا فتح المأمون مدينة مراكش وجبعليه بناء كنيسة للمسيحيين .

(٣) للجنود الاسبان حق المجاهـرة بشعائـر دينهـم ، وان يضربـوا النواقيس لمناداة المصلين معهم .

(٤) (اذا) اراد بعض المسيحيين ان يسلم لا يسمح لـــه بذلك ويتم تسليمه الى النصارى كي يطبقوا عليه احكامهم .

(٥) واذا اراد بعض المسلمين ان يتنصر لم يتعرض له احد !!

هذه الحادثة التاريخية تبين كيف ان تهافت بعض الرؤساء على السلطة جعلهم يقبلون مثل هذه الشروط . .

على ان هذا « المأمون » قضي عليـه آخـر الامر ، وأمكن طرد الجنود النصارى الذين استجلبهم ، فلم ير في المغرب بعد ذلك مسيحي .

ومالنا ننبش الماضي البعيد لتفوح منه هذه الروائح العفنة ؟

فلننظر الى حاضرنا وما يحفه من اخطار جسام .

ان الثقافة الاسلامية تنكمش والثقافات الدخيلة تمتد .

والانماط الاسلامية في الحياة تتزعـزع وتتلاشى ، والانماط الاجنبيـة تفرض نفسها وتستقر .

والدعوة الاسلامية قد تعني نصح منحرف من سواد الناس او توصيته بالصلاة والزكاة فاذا تطلعت الى ما هو ابعد من ذلك لقيت العنت والتجهم !

وقد امر بعض الكبراء بنزع مكبرات الصوت في المساجد المجاورة لـــه حتى لا يسمع الاذان وقت الفجر !

وواضح ان سائر الملـل والنحـل اتفقت عـلى تكوين جبهـة معاديـة للاسلام فالكنائس الغربية ، والحكومات المسيحية سانـــدت اسرائيل ضد العرب المسلمين والشيوعية والوثنية الهندوكية تعاوننا على سحق باكستان المسلمة بينما وقفت الولايات المتحـدة حليفتهـا السياسية ترمـق المنظـر متسلية .

وفي مصر قلب العالم الاسلامي تتسابق النشرات الشيوعية والصليبية على خداع القراء وسرقة عقائدهم .

وليت الامر صراع كتابات ، وحوار مجالس ، اذن لخرج الاسلام مـن هذه الساحات كلها منتصرا .

ان الحرية هي الصديق الاول لديننا ، وعندمـا ينهض الحكـم في بلادنا

على اساس الرضا الشعبي والتجاوب مع ارادة الجماهير ، فلن يكون الحاد ولا انحراف ، سيكون الحكم اسلاميا حتما فتلك رغبة الكثرة الساحقة من افراد الامة .

أتظن ان الغازي « مصطفى كمال » مثلا لو عرض نفسه على الشعب التركي كان يظفر بـ (١٪) من أصوات الناخبين ؟ انه سوف يخرج من أي انتخابات حرة يجر أذيال الفشل .. ان الحكم الفردي المستبد هو وحده الذي يقهر الاسلام ويذل امته ، وقد عرفت امريكا وروسيا ذلك فقررتا احداث انقلابات عسكرية في ارجاء العالم الاسلامي المترامي الاطراف .

وعن هذا الطريق لا غير يمكن لي عنان الجماهير ، وتجريعها الصاب والعلقم .

والمضحك المبكي ان ذلك سيتم باسم الشعب نفسه وقد سمي مصطفى كمال « اتاتورك » اي ابا الشعب ، وهو في خبيئته وعلانيته عدو الترك وكذلك اشباههم من الحاكمين المستبدين ..

ولنضرب مثلا من « اندونيسيا » المسلمة الحائرة التي بلغ سكانها الآن نحو « ١٢٠ » مليونا تسعة اعشارهم مسلمون ، انها في ظل الاستعمار الهولندي تعرضت لحركة تنصير واسعة النطاق ، اذ عزلت عن العالم الاسلامي ، ومنعت الكتب الاسلامية الا ما كان تافها قليل الغناء ، بل ان الشعب الاندونيسي عزل بعضه عن بعض حتى يستطيع المبشرون افتراس كل جزء على حدة ..

وقاوم المسلمون ببسالة هذا البلاء المبين ، وامكنهم ان يظفروا آخر الشوط بحريتهم فاستقلت اندونيسيا سياسيا وقام فيها نظام نيابي ظفر فيه حزب « ماشومي » المسلم بكثرة الاصوات ، وتألفت حكومة اسلامية يرأسها السيد « محمد ناصر » ..

هل يترك الاستعمار العالمي مستقبل اندونيسيا المسلمة يتقرر على هذا النحو ؟

كلا ، لقد بحث عن شخص يستطيع تقليب الامور ، وتعكير الصفو ، ووجد ضالته المنشودة في « سوكارنو » وهو رجل معروف بانحراف العقيدة، وسيطرة الغرائز البهيمية على حياته ، وقد بدأ « سوكارنو » يعمل .

قال الاستاذ « علال الفاسي » : « ان دسائس الهند وهولندا زوّدت سوكارنو وانصاره باموال ضخمة في الانتخابات الثانية فاصبح الحزب الوطني الذي يراسه صاحب الاغلبية ، وانكشف سلوك سوكارنو مما حمل المسلمين المخلصين والاشتراكيين على الثورة والمناداة بحكم اسلامي سليم والتغلب على حزب « ماشومي » الاسلامي قام سوكارنو بعقد اتفاق مع حكومة الصين الشعبية يقضي بان يتجنس الصينيون المقيمون باندونيسيا ـ وهم عدة ملايين ـ بالجنسية الاندونيسية ، وان يشدوا ازر الحزب الشيوعي في البلاد ، فاصبح بذلك القوة السياسية الثالثة بعد الحزبين الوطني والاسلامي!

وهكذا تحالف سوكارنو مع الشيوعيين ، ثم شرع يضيق الخناق على النشاط الاسلامي باسم المحافظة على الامن واقرار النظام ..»

ولعب الاغراء بعقول الشيوعيين ، واملى لهم سوكارنو الذي صرح احيانا بانه ماركسي ، فحاولوا الانفراد بالحكم اثر مذبحة اوقعوها بالفئات الاسلامية ذهب ضحاياها عشرات الالوف .

بيد أن الجيش تدخل مؤيدا الطلاب المكافحين والمجاهدين المسلمين فدحر الشيوعيين وقضى عليهم قضاء مبرما .

قال الاستاذ علال « وكان الواجب يقضي برد الامر الى الشعب ليختار حكومته ونوابه » .

لكن ذلك لم يحدث فقد تولي الجنرال سوهارتو السلطة وحكم البلاد بطريقة ترضي امريكا ، فولت الشيوعية الادبار لتحل محلها الصليبية الزاحفة .

ويقول تقرير وصل الى « رابطة العالم الاسلامي » ان حملة التنصير اليوم أشد واقوى في اندونيسيا مما كانت عليه ايام الحكم الهولندي، والتنافس شديد بين البروتستانت والكاثوليك على تحقيق هذا الهدف وقد شرحنا في كتابنا « دفاع عن العقيدة والشريعة » الخطة الزمانية الموضوعة لذلك والتي ارصد لها « بابا روما » وحده « كاردينالا » وواحدا وعشرين اسقفا وجيشا كثيفا من القساوسة .

كل ذلك يعمل في ظل حكم عسكري قاهر يجور على المسلمين ويجبن امام الغزاة والمستعمرين .

والطريف ان ((سوكارنو)) قدم الى مصر فاستقبل اعظم استقبال وطلب الرئيس جمال عبد الناصر من الازهر الشريف منحه أعلى شهاداته العلمية فمنح ((العالمية)) الفخرية في العقيدة والفلسفة من كلية اصول الدين!!!

ولا ادري لماذا لم يمنح العالمية في تفسير القرآن وشرح السنة تمشيا مع القول النبوي الكريم : ((اذا لم تستح فاصنع ما شئت)) ؟!

ان سوكارنو كان من الد اعداء الاسلام ، وكانت انحرافاته الجنسية الفاضحة موضع القيل والقال ، ولا ريب ان اعطاءه اي وسام من الازهر كان تحقيرا للازهر نفسه !!

والحق اني حائر في فهم جمال عبد الناصر ، لقد كنت كما يعلم الناس من جماعة الاخوان المسلمين ، واقرر أن جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين بايعا في ليلة واحدة على نصرة الاسلام ورفع لوائه ، **وقد كنت قريبا من مشهد مثير وقف فيه جمال عبد الناصر امام قبر حسن البنا يقول :**

نحن على العهد وسنستأنف المسيرة .

كان ذلك عقب قيام الثورة باشهر قلائل .

وقد وضع كتاب مسلمون كبار مقدمات للرسائل التي كانت تصدر تحت عنوان ((اخترنا لك)) امضاها جمال عبد الناصر وفيها اشرف ما يؤكده

زعيم مسلم نحو امته ودينه .

لا ادري ما حدث بعد ذلك . .

انه تغير رهيب في فكر الرجل وسيرته جعله في كل نزاع بين الاسلام وطرف آخر ينضم الى الطرف الآخر :

- انضم الى الهند في خصومتها المرة ضد باكستان المسلمة .
- انضم الى الحبشة في عدوانها الصارخ على أرتريا .
- انضم الى تنجانيقا واغضى عن المذبحة الشنعاء التي اوقعتها بشعب زنجبار المسلم ، ورحب احر ترحيب بنيريري الذي يتظاهر بالاشتراكية وهو قسيس كاثوليكي !!
- انضم الى القبارصة اليونان في نزاعهم مع القبارصة المسلمين ، وجعل الازهر يستقبل مكاريوس عدو الكيان الاسلامي للاتراك .
- كان اسدا هصورا في قتال اليمن ، وحملا وديعا في قتال اليهود حتى جعل اليهود ــ وهم احقر مقاتلين في العالم ــ يزعمون انهم لا يقهرون في حرب !!

« سريع الى ابن العم يلطم خده وليس الى داعي الندى بسريع ! »

- ولقد ساند « البعث العربي » الحاقد على الاسلام ، ورفض مساندة اي تجمع اسلامي ، واخترع حكاية القومية العربية لتكون بديلا عن العقيدة الاسلامية . . !!

ومن الانصاف ان نقول ان عددا من رجال الثورة لم يكونوا راضين عن هذا الاتجاه الخاطىء .

وعندما تولى الرئيس انور السادات الحكم كشف عن الوجه الحقيقي لمصر المسلمة ، ودفع سياسة البلاد الى طريق ارشد ، وقضى على مراكز القوة التي كانت تريد السير بمصر بعيدا عن الاسلام .

لكن استنقاذ مصر مما الم بها في الماضي يحتاج الى جهود مضاعفة خصوصا بعد أن تحركت تيارات عديدة مناوئة للاسلام وظفرت بمكاسب ذات بال .

لقد اكدنا في مواطن شتى ان مصر الاسلامية لا تتعصب لدين ، ولا تتعصب ضد دين ، وانا اعلن ان الامة الاسلامية تستطيع استيعاب يهود العالم اجمعين بين ظهرانيها كافلة لهم حرية مطلقة في البقاء على عقائدهم واداء شعائرهم ، على ان يكونوا بداهة مواطنين مسالمين ينفعون ولا يضرون ، فهل يقبل اليهود ذلك ؟

لا ، انهم وثبوا على فلسطين ولهم غرض هائل ، استقوه من تعاليم دينية محرفة ، يعبر عنه « مناحم بيجن » السفاح الشهير بقوله :

« مهمتنا سحق الحضارة الاسلامية واحلال الحضارة العبرية محلها ، والمهمة شاقة » .

في اثناء هذا الهجوم الطالب لدمنا وديننا نباغت بموقف شاذ خائن

للكنائس الغربية ، تعلن فيه صلحا جذريا مع اليهود ، يقوم على تبرئتهم من صلب المسيح ، برغم ما تقرره الاناجيل التي بأيدي القوم ..

ونحن نعلم ان المسيح لم يصلبه يهودي ولا وثني ، ولكن اذا كانت الكنيسة تشهد بغير ذلك ، وتنسب الى اليهود ــ حسب روايات اناجيلها ــ انهم متهمون خبثاء ، وقتلة لؤماء ، فما سر هذا الصلح المباغت ؟

انه اتفاق علينا وشد لأزر القتلة وهم يخربون ديارنا ويمحون تاريخنا وما نستطيع تجاهل هذا الاتفاق ، ولا الاغضاء عن آثاره ونتائجه في اكثر من ميدان ، انه جهد من سلسلة جهود متصلة لاساءة الاسلام واهانة امته .

يقول الاستاذ « علال الفاسي » : وقف البابا دائما من الاستعمار موقف المؤيد ، وقد كانت بعض حكومات المغرب قد املت خيرا في بعض البابوات عساهم يؤثرون على الدول الخاضعة لنفوذهم الروحي فيخففون من حملاتهم العدائية ، وهيهات .

قال : وانا أحكي قصتين وقعتا لي ونحن في اشد المواقف ، أيام جهادنا لتحرير البلاد من الاستعمار الفرنسي ..

● **الاولى :** توجهنا باسم حزب الاستقلال انا وصديقي المجاهد « عبد الرحمن انجامي » الى امريكا الجنوبية لنتصل بشعوبها وحكوماتها شارحين قضيتنا راجين أن تصوت هذه الدول لمصلحتنا في المحافل الدولية، فكان يتبعنا حيث اتجهنا ــ تارة يسبقنا وتارة يلحقنا ــ الوزير الفرنسي « بول رينو » مبعوثا من قبل حكومته ، كما كان يتبعنا قسيس لبناني مبعوثا من طرف الكنيسة !

وعلمنا ان ارساله تم بطلب من فرنسا وموافقة من البابا ، وقد قاما بجهود كبيرة ضدنا ، ومع ذلك فقد انتصرت دعوتنا والحمد لله ، وحصلنا على تأييد اخواننا العرب ، وصوتت معنا كل الدول التي زرناها كالبرازيل والارجنتين والشيلي .. وغيرها .

● **الثانية :** دخلت سنة ١٩٥٢ مستشفى « الاميرة فريال » لاجراء جراحة بالكلية اليسرى ، وكنت اشكو من وجود احجار بها ، وبلغني وأنا في انتظار العملية نبأ اعتقال الفرنسيين للشيخ « عبد الواحد بن عبد الله » من علماء « الرباط » وكان يدعو في دروسه الى تقدير التضحية والاستبسال في نصرة الحق وتساءل لماذا يضيق الفرنسيون بكفاحنا لتحرير بلادنا ، ويعدون ذلك جرما وهم يقدسون السيدة « جان دارك » لانها بذلت وسعها في سبيل وطنها ؟ اليست لديهم مثالا يحتذى ؟

ولم يعجب هذا الكلام ادارة الحماية الفرنسية فقررت اعتقاله .. ووافق الاعتقال ان بعض الناس كان يدعو للتقارب بين المسيحية والاسلام ، فكتبت رسالة للبابا بيوس الثاني عشر منبها الى ما حدث ، ومذكرا بان عالما مسلما لديه هذا التفتح الفكري لا يسوغ أن يلقى هذا المسلك ، وانه لن يعقب هذا الا توسيع شقة الخلاف بين مسلمي المغرب والنصارى المقيمين فيه !

وزارني بعد تحرير الرسالة الاستاذ « ماسينيون » المعروف بتدينه واخلاصه الشديد لمسيحيته ، فأنعم النظر فيها ثم قال لي : هل أنت مخلص فيما تبديه من رغبة التقريب بين المسلمين والمسيحيين ، على أساس القيم الاخلاقية المشتركة بين الدينين ؟

قلت نعم أيها السيد الجليل ، ولو لم أكن مخلصا ما كتبت هذه الرسالة في وقت أتهيأ فيه لجراحة خطيرة قد ألقى فيها ربي ، وأنا أتطلع الى عفوه .
قال : ثق ان البابا لن يستجيب لك ولا لغيرك لانه يأخذ المال من الصهاينة ولما رآني استغربت قوله ، قال لي : يا سيد علال لا تستغرب ، وما يفعله البابا لا يجعلني أتخلى عن مسيحيتي ، كما ان قولي هذا لا يخرجني عن ديني الذي تعلم مقدار تمسكي به .

وقد صدق « ماسينيون » فان البابا لم يكلف نفسه عناء الرد على رسالتي .. « وماسينيون » مستشرق كبير ، وكان عضوا في مجمع اللغة العربية ، وكان فيما أعلم مستشارا لوزارة المستعمرات الفرنسية ، وهو شديد التعصب للنصرانية .

والبابا الذي تحدث عنه « ماسينيون » غير البابا الذي أصدر الوثيقة الشهيرة بتبرئة اليهود .

ترى كم أخذ الاخير ؟

المهم ان النصرانية في الغرب اتفقت مع اليهودية على ضرب الاسلام ، وانها تحاول جر النصرانية في الشرق الى موقف مشابه فهل ستجد لها عونا على هذا العرض الخسيس ؟؟

ما الذي دفع القسيس اللبناني الى عرقلة تحرير المغرب والجري في ركاب المستعمرين والسفر الى الدول الامريكية الجنوبية لاقناعها بالتصويت ضد استقلال بلد عربي مظلوم ؟

- نحن نطلب من النصارى الذين يحيون في ربوع العالم الاسلامي أن تقر أعينهم بالحرية الدينية المتاحة لهم دون من ولا أذى .
- ونطلب منهم ان يرعوا حقوق المواطنة وحرمات الجوار وقرابة الجنس واللغة وأعباء المشاركة الكريمة في بناء حضارة لا حقد فيها ولا دس ولا تربص فيها ولا شماتة ..
- ونطلب منهم ان يصموا آذانهم عن نداءات الغدر والتشفي اذا ما ألمت بالمسلمين ملمة .

انهم ان بطروا معيشتهم لم يفلتوا من عدالة السماء « وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين » (1) .

---

(1) القصص : ٥٨ .

- .. اما ان يروا مسجدا يبنى فيحاولوا ان تكون ابراج الكنايس اعلى من مئذنته !! فهذه محاولة منكورة .
- .. اما ان تكفيهم لاداء العبادة كنيسة واحدة فيبنوا مثنى وثلاث ورباع فذلك ما لا مساغ له ..
- .. اما ان يروا التبشير الاجنبي قد تعاون مع الاستعمار العالمي على تضليل المسلمين وازاغة قلوبهم فيشاركوا هم ايضا في حرب المنشورات وفتنة السذج فتلكم خيانة وربما كانت تمهيدا لمثل ما فعله المعلم « يعقوب حنا » الذي خان مصر وانضم الى الغزاة الفرنسيين !!

لقد انتهز الفاتيكان فرصة هزيمة سنة ١٩٦٧ فارسل سماسرته ليشتروا الارض من العرب المحرجين في مدينة القدس ، وهذا تصرف محقور.

ونحن نعلم ان شوارع بأسرها تكاد تشترى في مدن مصر وقراها لينكمش الاسلام فوق تربتها ، ويتحول المسلمون عليها غرباء ، فلم ذلك ولحساب من ؟

ان حرب شراء الاراضي واحتكار المباني بدات فعلا ، ولكي نبصر المسلمين بنتائجها نذكر لهم قصة « قبرص » كما ذكرنا في كتابنا « مع الله » وقصة سنغافورة التي كانت فيما مضى (!) مسلمة السكان والحكم ، وامست الآن لا صلة لها بالاسلام !!

فتحت قبرص في المد الاسلامي الاول على عهد الخلافة الراشدة ، فتحها معاوية بن ابي سفيان حين كان واليا على الشام ، وكانت شئونها الادارية تتبع احدى المحافظات السورية لموقعها شرقي البحر المتوسط .

ومذ دخلها العرب ونشا فيها الاسلام لم تتغير اوضاعها المعنوية ولا الادارية فقد أصبحت بلدا مسلما منذ اربعة عشر قرنا .

وبعد انتهاء الخلافة العربية ورثت الخلافة التركية قبرص فيما ورثت من ديار الاسلام الشاسعة ، الا ان الترك في القرن التاسع عشر كانوا يترنحون تحت الفساد السياسي الذي نخر كيانهم والضغط الصليبي الذي قطع أوصالهم فوثبت انجلترا ــ ام الخبائث في ميدان الاستعمار ــ على قبرص ، وجعلتها قاعدة عسكرية لها بعدما ابرمت اتفاقا مع العثمانيين بردها اليهم عندما تستغني عنها (!)

وبدا الانجليز يستقدمون العمال اليونانيين بكثرة ليخدموا في القاعدة العسكرية ثم بدأوا يغرونهم بالتوطن في الجزيرة .

فما هي الا سنوات حتى كثر عددهم ، وزاحموا المسلمين مزاحمة شديدة سواء كانوا تركا او عربا فاخذ الميزان السكاني يتذبذب ، ثم اصبح ١/٤ السكان من المسلمين الاتراك ، والثلاثة ارباع من اليونانيين المسيحيين ..

وما ان شعر المسيحيون بتفوقهم العددي حتى طلبوا الاستقلال تمهيدا للانضمام الى اليونان ، ولم تكن الجزيرة يوما ما تابعة لليونان .

وكان جزع المسلمين شديدا لان هناك مسلمين يونانيين في اقليم « قوله» وما جاوره ذوبهم الاضطهاد والاذلال ، واخذوا في الانقراض دون ضجة !

ومن هنا طلب المسلمون أن تقسم الجزيرة بينهم وبين اليونانيين الوافدين ولكن يرضي القتيل وليس يرضي القاتل ، فان السيد مكاريوس يريد فرض نفسه بوصفه صاحب الجزيرة .

والمهم ان جمال عبد الناصر ايده كما نشرنا آنفا ، واوعز الى شيوخ الازهر ان يقدموا له التحيات المباركات ..

ولا ادري كيف يقع هذا ، ولكن الذي ادريه ان زعيم القومية العربية استبعد من علماء الازهر ان يقولوا : لا ..

وجعل على قمة المعهد اليائس من تعفنت ضمائرهم من طول البلى .

وهكذا يموت الاسلام ، وتنهزم قضاياه ..

* * *

قلت لاحد قدامى الاخوان : ما رايك في العقيد القذافي (١) ؟ قال نتمنى له التوفيق في خدمته للاسلام ، لقد جمع من خبراء الفقه والقانون من يعاونون على اعادة الشريعة الاسلامية الى الحياة ، وهذا سعي مشكور ، وقد حسبته اول ما قام بثورته من جماعة الاخوان ، لانه تبنى افكارهم ومبادئهم ، ما انتقص منها ولا زاد عليها ، ولما تناول الاخوان بالسوء قلت : لعلها تقية حتى يتركه الخصوم — خصوم الاسلام — يمضي في طريقه دون اتهام ولا تعويق .. فرددت على هذا الاخ القديم : وهل لا زلت على رايك الاول ؟ وهو يتهم جماعتكم بالتعاون مع الاستعمار ، ويعتقل في انحاء ليبيا من يظن بهم الانتماء الى الجماعة ؟

قال : انني في حيرة ، وما احسبني كنت واهما عندما عددته من الجماعة انه ليس فقيها اسلاميا ولا مفكرا انسانيا يمكن وصفه بانه اتى من عند نفسه بما اتى به . انه يردد كل ما كتبه الاخوان من نظرات اقتصادية وحماسة للشريعة الاسلامية ..

وانت خبير بأن ما نشر في ارجاء العالم الاسلامي والعربي من هذه الكتابات هو لمؤلفي الاخوان او لاصدقائهم العاملين معهم في هذا الحقل ، والمتعرضين معهم للاضطهاد والبلاء ..

لقد تبناه العقيد القذافي بما فيه من خطأ او صواب !!

قلت اي خطأ ؟ قال : انك اصدرت في اوائل لااربعينات عدة كتب في هذا الموضوع ، ثم نشر الاستاذ « سيد قطب » رحمه الله في اواخر الاربعينات كتاب « العدالة الاجتماعية » ، ثم نشر الاستاذ « مصطفى السباعي » كتابه

---

(١) نؤثر ان يعرفه القراء بـ « العقيد الناصري » .

« اشتراكية الاسلام » في اوائل الخمسينات . وفي هذه الغضون تمت ترجمة رسائل الاستاذ « ابي الاعلى المودودي » . . وقد خلطتم الاسلام بالاشتراكية على نحو لا يرضي اعدادا من المسلمين !!

قلت : اننا ارينا الاجيال الناشئة من ديننا ما يغني عن استيراد الفلسفات الاجنبية الشاردة ، وانا شخصيا قد اكون تجوّزت في بعض العبارات لكن جوهر الموضوع انصاف رائع لديننا الحنيف .

قال : على اية حال ، فمن هذه الكتابات كلها نقل « القذافي » ما اسماه بالنظرية الثالثة ، وهي تسمية نرفضها ولو سلمنا بها فان السؤال المحير هو لماذا يستمد من الاخوان ثم يهاجمهم ؟

واستأنف محدثي الكلام : ان الاخوان حاربوا الوان الاستعمار جميعا من قبل ان يولد الزعيم الشاب . . حاربوا اليهود سنة ١٩٤٨ وردوهم على اعقابهم بعدما وصلوا العريش وكادوا يحتلون اجزاء من مصر ، حاربوا الانجليز على شواطيء القناة ، وزلزلوا اقدامهم ونسفوا معسكراتهم ، وارغموهم على التفكير الجاد في الجلاء نجاة بانفسهم .

حاربوا الماركسية والالحاد بعدما غمر الجامعات ، واستحدثوا تيارا من الايمان والاستعفاف جدّد القيم في المجتمع المصري ، والقى الرعب في صفوف اعداء الحق .

ثم قال صاحبي في حماس : ان اصطياد التهم للجماعة على هذا النحو الشائن لا يمكن ان يكون الا لحساب الاستعمار ، حتى لا يتكون جيل من المؤمنين الاحرار يقاوم الصهيونية ، ويحمي الامة المحروبة تيارات التخريب النفسي والخلقي . .

قلت : ولعله عدم المام بالتاريخ القريب ، او لعل اشاعات سبقت الى فكر الرجل من اناس خدع بهم فصدق دعواهم . . !!

رايي ان العقيد القذافي يمكن ان يتفاهم معه ، وان يراجع نفسه في بعض الاحكام . .

لقد استمعت الى المحاضرة التي القاها في مقر « اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي » بالقاهرة ، والتي خلص منها الى ان المسيحي رجل يعبد الله على طريقة عيسى بن مريم ، فهو بذلك مسلم لان اتباع عيسى مسلمون بنص القرآن الكريم . اما ان اصحاب عيسى الاوائل مسلمون ، عبدوا الله الواحد، وصدقوا برسوله عيسى فهذا ما اجمع المسلمون عليه . .

واما الزعم بأن الذين عبدوا عيسى نفسه مسلمون فهذا ما لم يقله احد! فان الخصومة بيننا وبين النصارى انهم لا يتبعون عيسى ، عبد الله ونبيه الى بني اسرائيل ، لا يتبعون الانسان الذي قال : « ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم » .

انهم يتبعون شيئا اسمه ابن الله الوحيد ، الذي ضحى به على الصليب قربانا لتكفير الخطايا ، وهو الرب يسوع المسيح ، فهل هذا اسلام ؟

لقد وصف الاسلام هذا القول بالكفر « وجعلوا لـه مـن عباده جزءا ان الانسان لكفور مبين » ١ .

وليس يعطي كلام العقيد القذافي اية وجاهة ان مجلس قيـادة الثورة اقره وتبناه !!

اخشى ان يطرد القياس ويقال : ان اليهودي انسان مسلم يعبـد اللـه على طريقة موسى الكليم ، وبذلك تنحل المشكلات القائمة بين العرب واليهود.

فالكل حسب هذا المنطق مسلمـون ، ينبغـي أن يتفسحوا في المجالس والاوطان ، وان يسع بعضهم بعضا دون شحناء ولا بغضاء .

ان العقيد يظلم نفسه اذ يخوض في هذه البحوث ويقرر هذه النتائج . .
ثم يبقى بعد ذلك كله امر مهم ، هل للعدالة مكانها في سلـوك الحكام المسلمين أم لا ؟

ان الله عز وجل يقول في كتابه : « يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجر منكم شنآن قوم الا تعدلوا . اعدلـوا هـو اقرب للتقوى » ٢ .

ومعنى ذلك ان يحكم العقل والانصاف مشاعر الحقد والغضب .

مهما كرهت فردا او جماعة فلا يجـوز اذا كنت تقيا أن استرسل مع هواي في سجن خصومي او تعذيبهم أو تهديد حاضرهم ومستقبلهم . .

والمألوف في ارض الله كلها ـ عدا الغابات ومـا اليها ـ ان يحقق مـع المتهم ، وان يمنح حق الدفاع عن نفسه ، وان يمحص القاضي ما نسب اليـه في نزاهة ، ثم يصدر الحكم في اناة وتبصر بالادانة او التبرئة . .

اما القذف بالناس في السجون لان الحاكم راى ذلك فشيء منكـر جعله القرآن الكريم قرين سفك الدم الحرام، وعابه على اليهود في قوله: « ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم مـن ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان » ٣ .

لماذا يشرد الطالب عن داره فلا يتم تعليمه أو رب الاسرة عـن بيتـه فتتعرض زوجته وأولاده للمآسي والمعاصي ؟؟

ان الحاكم الذي ينتسب الى الاسلام يستحيل ان يتدلـى الـى هـذه المسالك . .

انني احد الذين اعتقلوا يوم كنت منتسبا الى جماعة الاخوان ، وحتى بعد فصلي من الجماعة اعتقلت لاني لم اتخل عن العمل الديني .

انني ما سئلت عن شيء قبل أو بعد الاعتقال ، لانه لم يكن هناك ما اسأل

---

(١) الزخـرف : ١٥ .

(٢) المائـدة : ٨ .

(٣) البقـرة : ٨٥ .

منه ! غير ان التجارب التي ذقتها والمشاهد التي رأيتها جعلتني أزداد رسوخا فيما كنت أقوله باستمرار : ان الحرية نعمة جليلة رائعة ، وان العدوان عليها سيئة مضاعفة الوزر شديدة العقاب .

ان طراز الحكم في العالم العربي ان لم ينضبط داخل الاطار الاسلامي فسيكون معرة للاسلام تنفر منه بل تثير السخرية به !!

والذي « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » هو الله الواحد الذي لا معقب على حكمه ، ومع ذلك الاقتدار للكبير المتعال فهو يقول : « يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » (١) .

فهل ذلك ما يبيح لحكامنا ان يستغلوا سلطانهم الموقوت في تعذيب الناس وسجنهم دون ما سبب ؟

ومن الذين يهانون ؟ متهمون بالدعوة الى الاسلام ؟!

« يا حسرة على العباد » ... !!!

ان قلبي يتفطر عندما ارى الدم الاسلامي ارخص دم على الارض .. لقد استباحه المجوس واليهود والنصارى والوثنيون والملحدون .. وحكام مسلمون !!

ولا ريب أن المدافعين عن الاسلام تكتنفهم ظروف صعبة معقدة ، غير أنه بين الحين والحين ينبجس من روح الله ندى يواسي الجراح ويهون الكفاح ويبشر بالصباح ..

ومهما كانت الاوضاع محرجة فلا بد من بقاء الدعوة الاسلامية مرفوعة الراية واضحة الهداية تعلن الحق وتبسط براهينه وتلقف الشبه وتوهي اسنادها ..

ان محمدا ليس وقفا على عصر او جنس ، ان رسالته للقارات الخمس ما بقي الزمان وعلينا ان ننهض بهذا العبء ...

وحتى تعود « الخلافة الاسلامية » ـ واعادتها فرض عين ـ لتتولى هذه المهام يجدر بنا ان نتبع ما يأتي :

- اعادة النظر في مناهج تعليم الاسلام في شتى مراحل الدراسة العامة .. واعادة النظر في مناهج التعليم الديني نفسه لتخريج فئات اوسع دراية واحدّ بصرا .
- اختيار الدعاة وفق مواصفات ادق وارقى مما يتبع الآن ، وتوسيع آفاق الدعوة الاسلامية او الاعلام الاسلامي بحيث تستوعب ميادين النشاط الانساني جميعا .
- اقامة حلقات اتصال بين الجامعات الاسلامية الموجودة الآن في عواصم الاسلام كلها لتبادل الخبرة والمشورة العلمية والعملية ...

---

(١) رواه احمد (٥/١٦٠) ، ومسلم في كتاب البر ، وغيرهما .

- عقد مؤتمرات دورية متصلة لبحث مشكلات الدعوة ورصد الهجمات المنظمة ضد الاسلام ووضع الخطط المناسبة لخدمة الرسالة الاسلاميه
- بسط الرعاية الدينية على المسلمين المهاجرين الى الخارج والافادة من مواضعهم الاجتماعية والثقافية حتى يكونوا معابر لرسالتنا العظيمه ، بدل ان يذوب هؤلاء في دوامة الحياة الغربية . .
- التقاط الفارين من وجه الحكومات المعادية للاسلام في افريقيا وغيرها وتيسير التحاقهم بالمدارس والمعاهد العربية ليعودوا اقدر على قيادة اممهم ورد الفتن عنهم . .
- دراسة المؤتمرات التبشيرية المحلية والعالمية واستكشاف المؤامرات المبيتة ضدنا .
- وبديهي ان ذلك كله لن يتحقق كلا او جزءا الا في ظل حكومات تحترم الاسلام ، وترى نفسها مسئولة امام الله عن القيام بحقوقه .
- وليست كل الحكومات العربية كذلك ، فهناك من يكره الاسلام والحديث عنه وهناك من يقبله عبادات لا معاملات ، وعقيدة لا شريعة ويرفض الدعوة الى تطبيقه كله .
- وهناك من يمهد لاستقبال الشيوعية ومن يمهد لاستقبال العلمانية .
- ولا تعليق على هذا الارتداد السافر او المحجب الا ان نقول :

على الشعوب ان تتحرك والا تعرضت للفناء ، عقوبة من رب السماء !!

* * *

التواضع لله من دلائل الرشد وامارات الايمان ، بل هو من علامات الصحة العقلية والنفسية ، فان المعجب بنفسه المتكبر على غيره انسان لم يعرف حقيقته ، ولم يتصرف في نطاق هذه الحقيقة فهو مصدر تعب وقلق حيث كان . . . !

ومبلغ علمي ان اصحاب المواهب النفسية متواضعون ، وان الذي رزقهم النبوغ لم يشنهم بهذا اللون من الجهالة ، فهم يضعون تفوقهم الشخصي في خدمة الآخرين ، وبقدر ما في معادنهم من صلابة يبتذلون انفسهم لامتهم ومبادئهم ، دون قلق على مكانة موهومة او منزلة مزعومة !

اما الذين يستخفون وراء أسوار من المراسم والشارات فأغلبهم هش المعدن ، قريب العطب .

واغلب من عرفت من المتكبرين اقوام صغار المواهب يسترون علاتهم بافتعال مظاهر لا اصل لها ! !

ولو أن امرءا ما استكبر بعلم حقيقي ، او بطولة رائعة ، او مال ممدود او قيادة حكيمة ، او غير ذلك من اسباب الرفعة لكان مخطئا افدح الخطأ لماذا ؟ لان واهب النعمة والخير والبروز هو الله جل شانه

والانسان جسر يعبر عليه الفضل الاعلى ، ومجلى لهذه العارية الطارئة عليه من غيره لا من ذاته ، فلم الكبرياء على الله ؟

ما احسن قول الرجل المؤمن لاخيه المغتر بثرائه :

« لولا اذ دخلت جنتك قلت : ما شاء الله لا قوة الا بالله » (١) .

ان المدل بجماله لم يصنع شيئا من ملامحه الوسيمة وذوو المواهب العليا رزقهم التفوق من خلقهم ومهد لهم واختبرهم بما اتى ، فلماذا الغرور بالنفس ؟

ولنترك هذا الكبر الذي لا يعتمد على سناد اي سناد في تفكير اصحابه.

ولننظر الى قوم آخرين يستكبرون بالهباء او بما لا يزن شيئا طائلا . .

وقد كثر هذا النوع في بلادنا وتوزع على مناصب شتى هنا وهناك ومسخت دعاواهم كل شيء .

ترى الواحد منهم فقيرا في معرفته ، ضئيلا في انتاجه ، ومع ذلك يرمق الحياة والاحياء بالنظر الشزر ، ويعامل الناس معاملة العملاق للاقزام ، والفيلسوف للعوام . . .

في غير ميدان قابلت هؤلاء يتكلمون ، او يعملون ، او يحكمون فرايتهم حراصا على الظهور في شارات الناس الكبار على حين تضعهم اقدارهم وثمارهم في المستوى الهابط والمكانة النازلة !!

قلت في نفسي : الناس يستكبرون بالعلم وهؤلاء يستكبرون بالجهل . الناس قد تأخذهم العزة بالطاقة وهؤلاء تأخذهم العزة بالاثم . ما اشقى بلادنا بهؤلاء . .

لو ادرك هؤلاء ما في كفايتهم من نقص لاستكملوه !لكن الحجاب المسدل على بصائرهم خيل اليهم انهم عباقرة ، فعاشوا ينكبون الناس بقصورهم وغرورهم . .

وربما اغتر الاعور بنصف بصره بين لفيف العميان .

اما أن يغتر بعاهة بين اصحاب البصر الحديد فهذه النكبة الجائحة . . !!

والعالم الآن مشحون باصحاب المواهب المعجبة والخبرات الجيدة والتجارب المصقولة ، والثروات الادبية والمادية الهائلة .

فاذا سرنا نحن في الموكب العالمي بهذه الحفنة من الادعياء الفارغين فماذا يكون تقديرنا وماذا يكون مصيرنا ؟؟

— والشخص التافه يفلسف الاوضاع حوله بما يشبع كبره ، ويصدق وهمه ، اي انه بدلا من ان يستيقظ على الحقائق اللاذعة ينظر اليها من جانب يرضيه ويطغيه .

وقد روت كتب الادب القديم قصة هي على ما فيها من هزل صورة

---

(١) الكهف : ٣٩ .

صادقة لكثير من ذوي المناصب المرموقة في الامة العربية الآن :

كان « ابو حية » النميري جبانا بخيلا كذابا ! قال ابن قتيبة :

وكان له سيف يسميه « لعاب المنية » ليس بينه وبين الخشبة فرق وكان أجبن الناس ، دخل ليلة الى بيته فسمع صوتا لا عهد له به فانتضى سيفه ، ووقف في وسط الدار ، واخذ يقول :

« أيها المقتر بنا ، المجترىء علينا ، بئس ـ والله ـ ما اخترت لنفسك : خير قليل وسيف صقيل « لعاب المنية » الذي سمعت به ، مشهورة ضربته ، لا تخاف نبوته .

« اخرج بالعفو عنك قبل ان ادخل بالعقوبة عليك !

« اني والله ان ادع قيسا اليك لا تقم لها . . !

« وما قيس ؟ تملأ ـ والله ـ الفضاء خيلا ورجلا . سبحان الله ما اكثرها . . !!

« وبينا هو كذلك اذ خرج كلب من الدار ، فقال :

« الحمد لله الذي مسخك كلبا وكفانا حربا !!! »

لست أبعد اذا قلت : انني رايت صورا لهذا الجبان المستأسد في بعض الساسة الذين كتبوا تاريخ الشرق العربي في العصر الحديث . .

- **العجز الحريص على الصدارة .**
- **الدعوى الفارضة نفسها على الواقع .**
- **الهوى الذي يطوي الاشخاص والاشياء والاحداث في تياره ويضفي عليها صبغته الجادة او الهازلة .**

ذكرت الجنرال « ايزنهاور » قائد الحرب العالمية الثانية التي انتصرت فيها أمريكا وحلفاؤها ، ان امريكا لم تعط رجلها لقب « ماريشال » مع انه خاض حربا تم له فيها النصر بعد أن دمرت مئات المدن والقرى وقتل فيها وجرح سبعون الف الف شخص .

لكن ناسا في الشرقين الاوسط والاقصى حصلوا على هذا اللقب دون ان يخوضوا حربا او يعانوا ضربا .

في البلاد المحترمة يصعد الافراد من السفوح الى القمم والعرق يتصبب من جبينهم ، والارهاق والتفكير يلاحقانهم بين آن وآخر .

. . . وعلى هذا السنن البائس تجري امور العرب .

اما في البلاد المتخلفة فان ناسا يصلون الى الذرى دون جهد يذكر اللهم الا جهد الملق لملاك السلطة والاستعداد لخدمة الاهواء !!

وقديما نظر البحتري الى واحد من هؤلاء جعله « الخليفة » قائدا ، وهو لا يصلح لقيادة ولا ريادة فقال :

« ويكاد من شبه العذارى فيه ان تبدو نهوده »

« ناطوا بمعقد خصره سيفا ومنطقة تؤوده »

« جعلوه قائد عسكر ضل الرعيل ومن يقوده »

فهل هذا اللون من الخلائق ترشحه مواهبه لهدف كبير ؟

وهل هؤلاء القادة « بالتعيين » لا بالخصائص « النفسية والعقلية » هم الذين يقودون العرب في معركة البقاء !!

الا ما اكثر الالقاب التي تمنح في البلاد العربية .

وعرفت مديرا اجنبيا لمصنع كبير ، قيل لي في وصف ادارته :

« تراه جوالا بين الآلات والمكاتب مغبر الجبين بتراب العمل وعرقه ، ملوث الثياب بالزيوت والشحوم التي تسقط عليه وهو تحت آلة يعالجها ، او في طريق وعرة الى مهمة ثقيلة !! »

فتذكرت شكوى أحد المربين وهو يصف لي بعض الشباب في بلادنا العربية ، قال : انهم يبغون مكتبا انيقا يجلسون اليه و « تليفونا » يثرثرون فيه ، ونمطا من العيش لا يضني ولا يقلق .

قلت : والله هذه أخلاق الهزيمة والضياع ، واصحابها هم عللنا المقعدة، وأما الرجال المعنيون بالعمل الحق ، الحمالون لاعبائه الثقال فهم اصل النصر والتقدم !!

انني اغوص في بحر من الحيرة والاسف حين ارى عظماء العالم على جانب رائع من دماثة الخلق ، ولطف المعاشرة ، وسهولة الطبع وقلة التكلف ، على حين ترى المتسولين من موائدهم متعجرفين متعاظمين كأنهم اتوا بالديب من « ذيله » كما يقول العوام في امثالهم .

ان بناة التاريخ من سلفنا الصالح كانوا يتميزون بخلقين :

- **عظم الكفاءة .**
- **ونكران الذات .**

ذلك ما استفادوه من ايمانهم الوثيق بالاسلام .

قدرة ملحوظة في مجالات النشاط الانساني ، واخلاص لله يدفع أحدهم الى الجود بما عنده : « وما لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى » ١ .

والغريب ان الخلف الطالح جاء على الضد فهو مكشوف العجز في جنبات الدنيا ماديا وادبيا وهو طالب شهرة يجري وراءها كالطفل الغرير ، ويريد ان يرمقه الناس بالتجلة على غير شيء !

ان خصومنا لم يخرقوا العادات فيما يفعلون ويتركون ، لقد رأيتهم منطقيين في شتى احوالهم .

اما نحن فقد هبطنا عن المستوى العادي ولم نكن منطقيين في تصرفاتنا ومن وراء هذا الخلل الجسيم البعثيون والقوميون الذين نفثوا سمومهم في كل شيء فقد جرءوا العرب على قطع نسبهم الى الاسلام ثم جرءوهم على

---

(١) الليل : ١٩ .

اطراح عقائده وفضائله ، ثم وثبوا على الحكم عقب انقلابات مصطنعة لا تتصل بالشعوب العربية من قريب او بعيـــد ، ثم اخـذوا يتعسفون السير نحـو اغراضهم على حطام من الداخل وإن كان الظاهر مزوقا كانت النكبة . .

فهل تعلم العرب من هزائمهم المترادفة ان يثوبوا الى رشدهم ؟

كلا . . ولقد راقبت الانقلابات التي وقعت في ارجـــاء العالم الاسلامي وازعجني أنها وقعت لمحاربة عوج ، واقرار خير ، فـاذا العـوج بعدها يزيد والخير ينكمش . .

واهتبل اعداء الاسلام الفرصة فضاعفـوا ارباحهم في بـلاده ، وايهانهم لقضاياه حتى لكانما كانوا مع هذه الانقلابات على موعد !!

ففي افريقيا حيث حيكت مؤامرات ماكرة لسحق الاسلام وطي اعلامه راينا ديننا الجريح يدوخ تحت ضربات موجعة يفقـد بعدها الكثير مـن تراثه وسلطانه وكرامته . .

ونشا عن ذلك ــ في اقرب البقـاع علينـا ــ ان ضاع السودان الجنوبي بجرة قلم وتحقق حلم الصليبية العالمية التي تسعى وراءه من خمسين سنة ، فكسبت « ٢٥٠ الف ميل مربع » من الارض .

وتاحت فرصة غريبـة لعشر السكـان المسيحـي ان يتحكم في البقية الضائعة ويمحو منه الاسلام .

وسنرى كم ستكسب « اسرائيل » من هذا التصرف .

ان اغلب الانقلابات التي حدثت رتب وظائف الدولـة العليـا والوسطى على أساس اهدرت فيه الكفايات اهدارا مزعجا . .

وتصور معيدا في كلية يصبح عميدهـا ، او كاتبـا في محكمـة يصبـح رئيسها ، لكن هكذا تجري الامور في غيبة الدين والدنيا معا .

لقد ابى المتنبي الذهاب الى الاندلس ، لانـه ادرك تفاهـة حكامها مـن ضخامة الالقاب التي يحملونها ، وكأن الرجل يصف احوال العرب في عصرنـا هذا لا في عصره هو عندما قال :

« في كل ارض وطئتها امم　　　يقودها عبد كانهـا غنم ! »

ان العرب الآن يخوضون معركة بقاء او فناء . .

وفي غيبة الايمان وتقاليده وشمائله عن مجتمعاتهم نمت اخـلاق اخرى لا تصلح بها حياة ولا تضمن بها اخرى .

ومن الخير ان يتحسسـوا هذا البلاء في صفوفهم فيحسموه .

ان الحقائق تفرض نفسها طوعا او كرهـا مهمـا تجاهلناها ، وعندمـا يكون الشعب شكلا لا موضوع له فهو صفر .

وعندما يكون الرؤساء أوراقا مالية ليس لها غطاء نقـدي محتـرم فهم عملة زائفة ، قد تروج بين المغفلين ، ولكن الى حين . .

على العرب ان يعيدوا تشكيل نفوسهم وصفوفهم ومتقدميهم ومتاخريهم

وفق القانون الالهي العتيد « ليس بأمانيكم ولا بأماني اهل الكتاب . من يعمل سوءا يجزيه ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ، ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا »[1] .

- ما يفعل الله للعرب اذا كان خصومهم يحترمون كلام انبيائهم ورؤساء العرب يستهينون بكلام نبيهم ؟
- ما يفعل الله للعرب اذا كان خصومهم في كل ميدان يقودهم اقدرهم واشجعهم ، اما قادة العرب فأخلاط من الناس فرضتهم في اماكنهم حظوظ سيئة ؟
- ما يفعل الله للعرب اذا كانوا يهزلون وخصمهم جاد ؟

لا بد من اعادة النظر في شأننا كله ، والا حقت علينا كلمة ربك .

---

(1) النساء : ١٢٣ .

الفصل السابع

مع التيار الشيوعي
والالحادي

لا بد للاسلام مـن خطة ايجابية
يواجه الغزو الثقافي بها

في مواجهة التيارات الفكرية الهاجمة علينا اصدرت عـدة مؤلفـات تتحدث عن النظام الاقتصادي الاسلامي ، كما تصورته مـن كتاب الله وسنة رسوله وتطبيقات الخلافة الراشدة ، وكان يغلب عليّ ـ وأنـا اقـدم هـذا التصور ـ امران :

- اطلاع المثقفين المعاصرين من خريجي المعاهد المدنية عـلى الجوانب المضيئة من تراثنا والمغنية عما سواها حتـى يكـون تعلقهم بدينهم لا بغيره .
- ثم الازراء على الاوضاع المعوجـة السائـدة ، ورفض السناد الديني الذي تنتحله لنفسها .

واعترف باني تجوزت في التعبير احيانا ، وقبلت بعض العناوين الشائعة « كالديمقراطية » في ميـدان الحكم « والاشتراكية » في ميـدان الاقتصاد . لا لاعجابي بهذه العناوين ، ولكن لاجعل منها جسرا يعبر عليه الكثيرون الـى الاسلام نفسه ، اي اني اريد نقل « الديمقراطيين » و « الاشتراكيين » الـى الاسلام بعدما اوضحته وابرزت معالمه لا اني اريـد صبغ الاسلام بصبغـة اجنبية او نقله الى مذاهب مستوردة ...

وقد جاء من بعدي الاستاذان « سيـد قطب » و « مصطفى السباعي » ـ عليهما رحمة الله ـ فالف الاول « العدالـة الاجتماعية في الاسلام » والف الاخير « اشتراكية الاسلام » وهما يقصدان ما قصدت اليه مـن رد المفتونين بالمبادىء الجديدة الى مواريث اسمى واغنى ..

وربما كان ما كتباه افضل مما كتبته انا واكثر تنظيما .

وعذرى انني كنت رائدا تدمي اظافري في الاكتشاف والتدويـن ، فاذا جاء من بعدي ووجد حقائق ممهدة كان على تنسيقها اقدر وعلى صوغها ادق!!

ومما لا ريب فيه ان الاسلام دين تنهض دعائمه الاولى على الايمان بالله

واتباع ما أوحاه الى رسوله الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم ، وان عقائده وعباداته ليست مجال اخذ ورد .

لكن « نظام الحكم والمال » فيه يعتمد على نصوص محدودة ثم على قواعد واقيسة ومبادىء ومصالح كثيرة . . .

وقد جمد « الفقه الدستوري » لدينا من اعصار بعيدة ، ثم جمد بعده « فقه الفروع » منذ اغلق باب الاجتهاد حتى فتحه أناس ليسوا موضع طمانينة . .

كان رجال القانون في أوربا وامريكا ـ منذ قرنين ـ يضعون الدساتير التي تقيد الملوك والرؤساء ، وتبرز سلطات الامم في وجه الحكم الفردي المطلق .

اما نحن فكان المطلوب منا ان ندعو الى الاسلام . . وحسب ، والذين يشمئزون من كلمة « ديمقراطية » لا يفكرون في القيام بجهد عملي ينقل « الشورى » الاسلامية من ميدان الفكر النظري المطلق الى قوانين دقيقة تنصف الجماهير العانية وتضبط سلطات الولاة على اختلاف القابهم .

ونحن نسمي هذا التزمت بلادة ، وربما اتهمنا بواعثه النفسية واذا كان أصحابه مخلصين فهو اخلاص « الدبة » التي قتلت صاحبها وقد اصاب الاسلام أعظم الضرر من هؤلاء !!

تأمل في هذه القصة التي ذكرها الشيخ الكبير محمد رشيد رضا قال :

ان الخديوي اسماعيل استدعى رفاعة الطهطاوي وخاطبه :

« يا رفاعة ، انت ازهري تعلمت في الازهر وتربيت به ، وانت اعرف الناس بعلمائه واقدرهم على اقناعهم بما ندبناك له . . . ان الفرنجة قد صارت لهم حقوق ومعاملات كثيرة في هذه البلاد ، وتحدث بينهم وبين الاهالي قضايا ، وقد شكا الكثيرون الي انهم لا يعلمون ايحكم لهم أم عليهم في هذه القضايا ؟ ولا يعرفون كيف يدافعون عن انفسهم . . لان كتب الفقه التي يحكم بها علماؤنا معقدة وكثيرة الخلاف ، فاطلب من علماء الازهر ان يضعوا كتابا في الاحكام المدنية الشرعية تشبه كتب القانون في تفصيل المواد واطراح الخلاف ، حتى لا تضطرب احكام القضاة ، فان لم يفعلوا وجدتني مضطرا للعمل بقانون « نابليون » الفرنسي !! (1) »

قال رفاعة الطهطاوي ـ مجيبا الخديوي ـ : يا افندينا : اني سافرت الى اوربا وتعلمت فيها وخدمت الحكومة وترجمت كثيرا من الكتب الفرنسية وقد شخت ، وبلغت الى هذه السن ، ولم يطعن في ديني احد فاذا اقترحت الآن هذا الاقتراح بامر منكم طعن علماء الازهر في ديني واخشى ان يقولوا : ان الشيخ رفاعة ارتد عن الاسلام آخر عمره اذ يريد تغيير كتب الشريعة

---

(1) في كتاب تاريخ المحاكم المختلطة والاهلية للاستاذ عزيز خانكي ، وتسمى الان المحاكم الوطنية ، والمنقول عن مجلة « المسلم » .

وجعلها مثل كتب القوانين الوضعية .. فارجو ان يعفيني النديتا من تعريض نفسي لهذا الاتهام ، لئلا يقال مات كافرا .

فلما يئس الخديوي .. امر بالعمل بالقوانين الفرنسية ..

والقصة المحزنة تحكي فساد الامراء والعلماء جميعا ، وتكشف ان ما اصاب المسلمين من شتات وخزي ليس بلاء يؤجرون عليه ولكنه عقاب يستحقونه « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون » .

ولقد كنت اسال نفسي : نحن تكافح هذه القوانين المستوردة من الخارج وما تتضمنه من فساد والحاد ، فكيف دخلت بلادنا ، وماذا كان موقف العلماء منها يوم جاءت ، ولم لم يموتوا دون تحكيمها في مجتمعنا ؟

ثم علمت ان موتنا الادبي هو الذي مهد لقبولها واستقرارها .. ومع نهضتنا الاسلامية الحالية بدأت تشريعات جنائية ومدنية تستقي من ينابيع الاسلام الاصيلة ، ولا ريب اننا نملك اعظم ثروة تشريعية في القارات الخمس غير انها دفينة في صحائف مهجورة ومصبوبة في قوالب قديمة ، ونستطيع ان نسترشد بها في اقامة صرح قانوني اسلامي شامخ ..

ويبقى قبل ذلك وبعده ان يزدهر الفقه الدستوري عندنا ويتخلص من اوهام العصور المتخلفة ورعايا حكام الجور ..

يبقى ان تتحول كلمة « الخلافة الراشدة » مفصلة : « ان رايتم خيرا فاعينوني وان رايتم شرا فقوموني » .. الخ، الى مواد مفصلة لدستور اسلامي يمنع الطغيان ، وينعش الامم ويضع سياجا متينا حول كل حق خاص، او عام ..

وقبل ان نحتقر كلمة « ديمقراطية » ونجبه قائليها نقدم العوض الاسلامي عنها وعن آثارها القريبة والبعيدة .

واي حرج في ان ننتفع بتجارب الماضي الطويل عندنا وعند غيرنا ونحن نضع الدساتير ؟

وما يقال في الجانب السياسي يقال في الجانب الاقتصادي ...

ان ديننا يروع بما حوى من تعاليم تحقق الاخوة وتضمن الكرامة وتحارب الجوع والذل والبطالة والضياع .. ثم انه حرم الاحتكار والاستغلال والربا والترف .

وجملة النصوص القرآنية والاحاديث النبوية في هذا الميدان تكون صورة اجتماعية زاكية راقية .

ولا نقول : تكوّن مذهبا اجتماعيا مستقلا ، فان الآثار الاسلامية الموصولة بهذا الشأن لا تعدو ان تكون فروعا من الشجرة الكبيرة التي تضم تعاليم الاسلام جمعاء ، او بتعبير آخر هي بعض شعب الايمان التي تبلغ الستين او السبعين شعبة ..

والجهد الاسلامي الواجب : اذا كان الانسان يوفر الكرامة للانسان فما هي العناصر التي يستجمعها لانشاء بيئة تنبت العز ولمنع البيئة التي تنبت

الهوان ، وكيف يصوغ هذه العناصر قوانين ضابطة لاحوال الامم ..

اذا كان الاسلام يمقت الفقر ويحب الاستغناء فما هي العناصر التي يحشدها ليستغل خيرات الارض في البر والبحر وكيف يجند الهمم للكدح والكفاح ثم كيف يصوغ ذلك كله قوانين تحيل الجماعة الاسلامية الى خلية ناشطة منتجة .

ان المسلمين ظلوا امدا :

- **يحتفون بالانساب اكثر مما يحتفون بالاعمال .**
- **ويؤخرون العلم ويقدمون الحظ .**
- **ويريقون الاوقات على مصاطب اللغو والثرثرة اكثر مما يستغلون الاوقات في الجد .**
- **وتحكمهم تقاليد ابتدعوها اكثر مما تحكمهم مواريث الدين ذاته ...**

بل جعلوا العلم بالدين وظيفة الهمل والمغموصين فكان العقاب الاعلى لهذه الخيانات الباطنة والظاهرة ان سقطت الامة الاسلامية على الصعيد العالمي هذا السقوط الذريع ، وانسحب ذلك على دينها ، فلم يصدق الناس انه رحمة للعالمين .. !!

لقد بذلنا ــ أول العهد بالتاليف ــ جهدا حسنا في سبيل تقديم الاسلام متجاوبا بل متبنيا لآمال الشعوب في الكرامة والتقدم وامطنا اللثام عن نصوص كانت موجودة بداهة ، ولكن العيون كانت تتجاوزها .

وربما أخطأنا في الشرح والاستنتاج ــ والخطأ خليقتنا ــ لكن هذه الكتابات اذا جردناها من حرارة الشباب وسكبنا عليها قليلا من برودة الشيخوخة أمكن استخلاص المادة التي تسن منها قوانين تشرف الامة الاسلامية وترفع كفتها ...

ان الانكليز في سبيل صد الشيوعية وصلوا الى تأميم الطب ، وكفالة العيش لكل عاطل حتى يجد العمل .

وغيرهم ابتكر ضروبا من الاشتراكية سدت الباب سدا أمام اليسار المغري فهل يغني عنا ان نقول : في الاسلام ما يكفي ويشفي دون أن نترجم تعاليمه الى دساتير وقوانين ؟

ولكي نعرف كيف يتصرف غيرنا ليخدم نفسه ويحقق غرضه ننقل هذه الكلمات من رسالة عن « المخطط الشيوعي » للدكتور ابراهيم دسوقي أباظة جاء فيها : « **ينفرد المخطط الشيوعي بخاصة نفاذة ؛ فهو يجمع عند الماركسي الحق بين التواء الاسلوب وصدق العقيدة ، فكل ما يوصل الى الغاية تسوغه الغاية وان كان يصدم مرحليا بجوهرها ، وكل ما يحمل الى الهدف يبرره الهدف ، وان بدا مناهضا لمنطقه ..**

- **وهكذا التحق « المراكسة » بالوطنية وهم العالميون !**
- **وانتطوا نزعة القومية وهم اللاقوميون !**
- **واعتصموا بحبل الدين وهم الملحدون » !**

ويقول : « وبين دول العالم الثالث لم يعد الدين افيون الشعوب ــ لمكانة الدين في شعوب هذا العالم ــ وانما اصبح الشعار المرفوع : الدين لله والشيوعية للجميع » .

أو كما قال « قسيس احمر » : ننظم حياتنا هنا كما نحب فاذا جاءت الآخرة نظرنا كيف نتصرف !!

وعلى هذا الاساس تحرك الحزب الشيوعي في ايطاليا وفرنسا ، وفي السودان واليمن الجنوبي ولا يزال بعضنا يدافع عن التراث الاسلامي بتفكير عصر المماليك » !!

وحتى نعرف عدونا وما يصنع نقرأ هذه الكلمات « ان الاعلام الشيوعي اكتسب منذ السنوات الاولى للثورة الحمراء قدرات لم تعرف من قبل اذ اصبح قوة مؤثرة في صنع الفكر وتوجيه الحركات الثقافية في انحاء العالم .. ويكفي للتدليل على حجم هذا الاعلام ما ورد في احصاءات الامم المتحدة اخيرا ان الاتحاد السوفيتي يحتل المركز الاول في انتاج الكتب اذ يصدر يوميا ٣٫٧٠٠٫٠٠٠ كتاب ، اي ما يوازي ربع انتاج العالم ويبلغ ما تنتجه المطابع السوفيتية في الدقيقة الواحدة ٢٠٥٠٠ نسخة ، ولعل في هذه الارقام ما يكفي ، بل ما يصرخ بالمراد » .

ترى ماذا تنتج المطابع الاسلامية ؟ لا رقم يذكر هنا ، لانه لا مجال للمقارنة ، اننا نحن المؤلفين المسلمين نلتقط انفاس الحياة باعجوبة !

ويستطرد الدكتور اباظة فيقول : « ونجاح الاتحاد السوفيتي في ادراك هذا المستوى العالي من الانتاج الاعلامي يعود الى ما تقرر خلال الايام الاولى لقيام الثورة فقد اصدرت الحكومة في ١٩١٧/١٢/٢٩ مرسوما حددت فيه مبادىء ونظم نشر الكتاب » .

ويعتقد الشيوعيون ان الصحافة والكتب من اهم وسائل الثورة الثقافية او بتعبير آخر من اهم وسائل الانقلاب الفكري الذي ينشدونه ، ولا شك ان الكتب والرسائل المؤلفة بذكاء من امضى الاسلحة في القضاء على الافكار والنظرات المعارضة ، وبث الآراء والتصورات الماركسية .

وتقول الارقام ان عدد الجرائد في الاتحاد السوفيتي ٧٩٣٧ ، ويبلغ مجموع النسخ من كل طبعة ١٢٠ مليون ويصدر منها في العام الواحد ٢٦ مليار و ٦٥٥ مليون نسخة .

اما عدد المجلات فقد بلغ ٤٧٠٤ يصدر منها في كل طبعة ١٣٢ مليون نسخة وبديهي ان هذا الانتاج الضخم يتوزع على روسيا وغيرها من المؤسسات الشيوعية في ارجاء العالم ، وهو يطبع باللغات المحلية واللهجات الوطنية » .

ذاك ما تبذله لتوضيح وجهة نظرها دولة تحتل الصف الاول في التسلح العسكري ، واذا كانت الامور قد تذكر باضدادها فلا باس من ايراد هذه النكتة ..

كتبت يوما كلمة اشرح فيها اعتماد الاسلام على الاقناع في نشر تعاليمه وانه ما يلجأ الى السيف الا حيث يلقى السيف .

وهذه الكلمة جزء من فصل طويل في كتابي « الاستعمار احقاد واطماع »

وفوجئت بعد نشر هذه الكلمة بكاتب لا اعرف ما هو يتهمني بالضعف والاستسلام لآراء المستشرقين ، ويقول : ان الاسلام يعتمد على القوة في انطلاقه !

قلت : زعم اولاد البلد ان اصم وكسيحا ومفلسا ركبوا زورقا لينقلهم الى الشاطىء الآخر للنهر ، وبينما الزورق في وسط الامواج قال الاصم : كاني اسمع دبيب نملة على الشاطىء ، فرد الكسيح : صه والا ركلتك في الماء واجاب المفلس : الذي تعرف ديته اقتله . . .

اي قوة تتحدث عنها ايها المسكين ؟ ولنفرض جدلا ان الاسلام يملك قوة تجعله المتفرد بالسلطان على الارض !! هل يعني ذلك ان الدعوة ليست وسيلته الفذة ؟ وان اعتماده الاعظم ليس على وسائل الاعلام ؟ انه ما يلجأ الى القوة الا يوم تكون كسرا للعدوان ، وحطما للطغيان وكفكفة لشرور المغرورين وناشدي العلو والفساد في الارض . .

لكن المغفلين كثيرون ، والطامة الكبيرة ان يملك هؤلاء السفهاء قدرة على الكلام في الاسلام ومناوشة علمائه !!

ونعود الى موضوعنا : ان شرح الاسلام بصورة عامة ، وشرح الجانب الاجتماعي والاقتصادي منه بصورة خاصة يحتاج الى بصر بالحياة المعاصرة وقضاياها المعقدة ومبلغ تغلغل الدولة في شئون الافراد والجماعات ، بل وبصر بما تضمنه الاسلام من نصوص وآثار وما توحي به هذه النقول من دلالات قريبة وبعيدة . .

ثم صوغ ذلك قيما ومبادىء وقوانين سهلة سائغة ، على ان يساند هذا البلاغ تطبيق ناجح ونموذج عملي محترم !!

وبقي ان نعرف عن الشيوعيين شيئا آخر . . دعاواهم العريضة عن منطقهم العلمي وفلسفتهم الواقعية ، ولا اعرف مفلسا اكثر حديثا عن ثروته الطائلة من الشيوعي الملحد الذي يكثر الحديث عن اسانيد كذبه ودلائل زيفه . .

لا شيء هناك غير جراة في اتهام الناس بالرجعية والجمود .

واتهام المؤمنين بانهم مخرفون نقلة اوهام ليس جديدا في تاريخ الدنيا ، انه ذات الاتهام الذي كان يقوله عرب الجزيرة لصاحب الرسالة من اربعة عشر قرنا « حتى اذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا : ان هذا الا اساطير الاولين » [1] .

---

(1) الانعام ٢٥ .

والشيوعية نفسها في ميدان التطبيق الاقتصادي نظام فاشل ، فانتاجها الزراعي اقل من غيره ، وانتاجها الصناعي اردأ من غيره ، والقول « بحتمية الحل الاشتراكي » لون من السفسطة والكذب العام .

وقد قلنا انها نظام سياسي نجح في قتل المعارضة لان ارزاق الناس جميعا تجري من بين أصابع الحاكمين ..

وقد أصابنا مس من الفكر الشيوعي في حياتنا الاجتماعية فاذا اليوم ينعق في ساحات كانت قبل عامرة ، لم تجن الجماهير غير الشؤم والفزع والخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات ..

ان العقل العلمي قد ينقص كثيرا من المتدينين اما انه ينقص الدين نفسه فلا ثم لا .. كيف والتفكير فريضة اسلامية ، والنظر الواعي الى الكون والناس ركن ركين في الايمان .

ان الجو الصحو الدافيء هو وحده الذي ينمو فيه الاسلام ويزدهر ، فاذا تقاصر الشعاع وانتشر الغيم شرع الاسلام يرحل !

وربما بقيت جماهير تتعلق باذياله وهو مولّ ذاهب ، لكن الظن لا يغني من الحق شيئا ، والاثر لا يغني عن العين نفسها ..

وبعض الناس اقلقه من الشيوعية انها تذهب بما يملك وهو كثير كثير وما ننظر الى اولئك ونحن نحارب الشيوعية ، وانما ننظر في المقام الاول الى هذا الالحاد الحقود الاعمى المخاصم لله وانبيائه جميعا ، المتبرم بالوحي الاعلى وتوجيهاته للناس .

ونحب بالمنطق العلمي ان يعرف القاصي والداني ان الله حق ، وانه مشرف على العالم يدبر امره ويهب له وجوده ، ويحسب على كل عاقل مسالكه ، وما قدم وما اخر « الله لا اله الا هو الحي القيوم » .

* * *

دار بيني وبين أحد الملاحدة جدال طويل ، ملكت فيه نفسي واطلت صبري حتى ألقف آخر ما في جعبته من افك ، وادمغ بالحجة الساطعة ما يوردون من شبهات ..

قال : **اذا كان الله قد خلق العالم فمن خلق الله ؟**

قلت له : كأنك بهذا السؤال او بهذا الاعتراض تؤكد انه لا بد لكل شيء من خالق !!

قال : **لا تلقني في متاهات** ، اجب عن سؤالي . **قلت له** : لا لفّ ولا دوران ، **انك ترى ان العالم ليس له خالق** ، اي ان وجوده من ذاته دون حاجة الى موجد ، **فلماذا تقبل القول بان هذا العالم موجود من ذاته ازلا وتستغرب من اهل الدين ان يقولوا : ان الله الذي خلق العالم ليس لوجوده اول ؟**

انها قضية واحدة ، فلماذا تصدق نفسك حين تقررها وتكذب غيرك حين يقررها ، واذا كنت ترى أن الها ليس له خالق خرافة ، فعالم ليس له

خالق خرافة كذلك ، وفق المنطق الذي تسير عليه .. !!

قال : اننا نعيش في هذا العالم ونحس وجوده فلا نستطيع ان ننكره !

قلت له : ومن طالبك بانكار وجود العالم ؟

اننا عندما نركب عربة أو باخرة او طائرة تنطلق بنا في طريق رهيب ، فتساؤلنا ليس في وجود العربة ، وانما هو : هل تسير وحدها ام يسيرها قائد بصير !!

ومن ثم فانني أعود الى سؤالك الاول لاقول لك : انه مردود عليك ، فانا وانت معترفان بوجود قائم ، لا مجال لانكاره ، تزعم انه لا اول له بالنسبة الى المادة ، وارى انه لا أول لها بالنسبة الى خالقها .

فاذا أردت ان تسخر من وجود لا أول له ، فاسخر من نفسك قبل ان تسخر من المتدينين ..

قال : تعني ان الافتراض العقلي واحد بالنسبة الى الفريقين ؟

قلت : انني استرسل معك لاكشف الفراغ والادعاء اللذين يعتمد عليهما الالحاد وحسب ، اما الافتراض العقلي فليس سواء بين المؤمنين والكافرين..

انني ــ انا وانت ــ ننظر الى قصر قائم ، فارى بعد نظرة خبيرة ان مهندسا اقامه ، وترى انت أن خشبه وحديده وحجره وطلاءه قد انتظمت في مواضعها وتهيات لساكنيها من تلقاء انفسها ..

الفارق بين نظرتينا الى الامور انني وجدت قمرا صناعيا يدور في الفضاء ، فقلت انت : « انطلق وحده دونما اشراف أو توجيه » وقلت أنا : بل اطلقه عقل مشرف مدبر ..

ان الافتراض العقلي ليس سواء ، انه بالنسبة الي الحق الذي لا محيص عنه ، وبالنسبة اليك الباطل الذي لا شك فيه ، وان كان كفار عصرنا مهرة في شتمنا نحن المؤمنين ورمينا بكل نقيصة في الوقت الذي يصفون انفسهم فيه بالذكاء والتقدم والعبقرية ..

اننا نعيش فوق ارض مفروشة ، وتحت سماء مبنية ، ونملك عقلا نستطيع به البحث والحكم ، وبهذا العقل ننظر ونستنتج ونناقش ونعتقد .

وبهذا العقل نرفض التقليد الغبي كما نرفض الدعاوى الفارغة ، واذا كان الناس يهزءون بالرجعيين عبيد الماضي ويتندرون بتحجرهم الفكري ، فلا عليهم ان يهزءوا كذلك بمن يميتون العقل باسم العقل ، ويدوسون منطق العلم باسم العلم ، وهم للاسف جمهرة الملاحدة .. !!

لكننا نحن المسلمين نبني ايماننا بالله على اليقظة العقلية والحركة الذهنية ، ونستقرىء آيات الوجود الأعلى من جولان الفكر الانساني في نواحي الكون كله .

في صفحة واحدة من سورة واحدة من سور القرآن الكريم وجدت تنويها بوظيفة العقل اتخذ ثلاث صور متتابعة في سلم الصعود هذه السورة هي سورة الزمر ، واول صورة تطالعك هي اعلاء شأن العلم والغض من اقدار

الجاهلين : « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون أنما يتذكر أولو الالباب » .

ثم تجيء الصورة الثانية لتبين ان المسلم ليس عبد فكـرة ثابتة او عادة حاكمة بل هو انسان يزن ما يعرض عليه ويتخير الاوثق والازكي « فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب » [الزمر : ٩] .

ثم يطرد ذكر اولي الالباب للمرة الثالثة في ذات السياق على انهم اهـل النظر في ملكوت الله الذين يدرسون قصة الحياة في مجاليها المختلفة لينتقلوا من المخلوق الى الخالق « الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب . [الزمر : ٢١]

وظاهر من الصور الثلاث في تلك الصفحة من الوحي الخاتم أن الايمان لمبتوت الصلة بالتقليد الاعمى او النظر القاصر او الفكر البليد .

انه يلحظ ابداع الخالق في الزروع والزهور والثمـار ، وكيف ينفلـق الحمأ المسنون عن الوان زاهية او شاحبة توزعت على اوراق واكمام حافلـة بالروح والريحان ثم كيف يحصد ذلـك كلـه ليكون اكسية واغذيـة للناس والحيوان ، ثم كيف يعود الحطام والقمام مرة اخرى زرعـا جديد الجمـال والمذاق تهتز به الحقول والحدائق ، من صنع ذلك كله ؟

قال صاحبي وكانه سكران يهذي : الارض صنعت ذلك !!

قلت : الارض امرت السماء أن تهمي والشمس ان تشع وورق الشجر ان يختزن الكربون ويطرد الاوكسجين والحبوب أن تمتلىء بالدهن والسكـر والعطر والنشا؟؟

قال : اقصد الطبيعة كلها في الارض والسماء !

قلت : ان طبق الارز في غدائك او عشائك تعاونت الارض والسماء ومـا بينهما على صنع كل حبة فيه ، فما دور كـل عنصر في هـذا الخلق ؟ ومـن المسئول عن جعل التفاح حلوا والفلفل حريفا أهو تراب الارض ام ماء السماء ؟

قال : لا اعرف ولا قيمة لهذه المعرفة !!

قلت : الا تعرف ان ذلك يحتاج الى عقل مدبر ومشيئة تصنف ؟

فاين ترى العقل الذي انشأ والارادة التي نوّعت في اكوام السباخ او في حزم الاشعة ؟؟

قال : ان العالم وجـد وتطور عـلى سنة النشوء والارتقـاء ولا نعرف الاصل ولا التفاصيل !!

قلت له : اشرح لكم ما تقولون ! تقولون : انـــه كان في قديـم الزمان وسالف العصر والاوان مجموعة مـــن العناصر العميـاء ، تضطرب في اجواز الفضاء ، ثم مع طول المدة وكثرة التلاقي سنحت فرصة فريدة لن تتكرر ابـد الدهر ، فنشأت الخلية الحية في شكلها البدائي ثم شرعت تتكاثر وتنمو حتى

بلغت ما نرى !! هذا هو الجهل الذي اسميتموه علما ولم تستحوا من مكابره الدنيا به !!

اعمال حسابية معقدة تقولون : انها حلت تلقائيـــا ، وكائنات دقيقـــة وجليلة تزعمون انها ظفرت بالحياة في فرصة سنحت ولن تعود !! وذلك كلـه فرارا من الايمان بالله الكبير !!

قال وهو ساخط : أفلو كان هناك اله كما تقول كانت الدنيا تحفل بهذه المآسي والآلام ، ونرى ثراء يمرح فيه الاغبياء وضيقا يحتبس فيه الاذكياء ، واطفالا يمرضون ويموتون ، ومشوهين يحيون منغصين ..

قلت : لقد صدق فيكم ظني ، ان الحادكم يرجع الـى مشكلات نفسية واجتماعية اكثر مما يعود الى قضايا عقلية مهمة !!

ويوجد منذ عهد بعيد من يؤمنون ويكفرون وفق مـا يصيبهم من عسر ويسر « ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فان اصابه خير اطمأن به ، وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة » ١ .

قال : لسنا انانيين كما تصف نغضب لانفسنا او نرضى لانفسنا ، اننا نستعرض احوال البشر كافة ثم نصدر حكمنا الذي ترفضه ..

قلت : آفتكم انكم لا تعرفون طبيعة هذه الحيـاة الدنيا ووظيفة البشر فيها ، انها معبر مؤقت الى مستقر دائم ، ولكي يجوز الانسان هذا المعبر الى احدى خاتمتيه لا بد ان يبتلي بما يصقل معدنه ويهذب طباعه ، وهذا الابتلاء فنون شتى ، وعندما ينجح المؤمنون في التغلب عـــلى العقبات التي مـلأت طريقهم وتبقى صلتهم باللـه واضحة مهمـا ترادفت البأساء والضراء فانهـم يعودون الى الله بعد تلك الرحلة الشاقة ليقول لهم : « يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون » ٢ .

قال : وما ضرورة هذا الابتلاء ؟

قلت : ان المرء يسهر الليالي في تحصيل العلم ، ويتصبب جبينه عرقـا ليحصل على الراحة ، وما يسند منصب كبير الا لمن تمرس بالتجارب وتعرض للمتاعب ، فان كان ذلك هو القانون السائد في الحياة القصيرة التـي نحياها على ظهر الارض فاي غرابة ان يكون ذلك هو الجهاد الصحيح للخلود المرتقب ؟

قال ـ مستهزئا ـ اهذه فلسفتكم في تسويغ المآسي التي تخالط حياة الخلق وتصيب الجماهير عليها ؟

قلت : ساعلمك بتفصيل اوضح حقيقة ما تشكو مـن شرور ، ان هــذه الآلام قسمان : قسم من قدر الله في هذه الدنيا ، لا تقوم الحياة الا به ، ولا تنضج رسالة الانسان الا في حره ، فالامر كما يقول الاستاذ العقاد : « تكافل

---

(١) الحج : ١١ .

(٢) الزخرف : ٦٨ .

بين اجزاء الوجود ، فلا معنى للشجاعة بغير الخطر ، ولا معنـى للكـرم بغير الحاجة ، ولا معنى للصبر بغير الشدة ، ولا معنى لفضيلة مـن الفضائل بغير نقيصة تقابلها وترجح عليها :

وقد يطرد هذا القول في لذاتنا المحسوسة كما يطرد في فضائلنا النفسية ومطالبنا العقلية ، اذ نحن لا نعرف لذة الشبع بغير الم الجوع ، ولا نستمتع بالري ما لم نشعر قبله بلهفة الظما ، ولا يطيب لنا منظر جميل ما لم يكن من طبيعتنا أن يسوءنا المنظر القبيح .. »

وهذا التفسير لطبيعة الحياة العامة ينضم اليه ان الله جل شانه يختبر كل امرىء بما يناسب جبلته ، وبوائم نفسه وبيئته ، ومـا ابعد الفروق بين انسان وانسان ، وقد يصرخ انسان بما لا يكترث به آخر ولله في خلقه شئون، والمهم أن احداث الحياة الخاصة والعامة محكومة باطار شامل مـن العدالة الالهية التي لا ريب فيها .

الا ان هذه العدالة كما يقول الاستـاذ العقـاد : « لا تحيط بها النظرة الواحدة الى حالة واحدة ، ولا مناص من التعميم والاحاطة بحالات كثيرة قبل استيعاب وجوه العدل في تصريف الارادة الالهية. ان البقعة السوداء قد تكون في الصورة كلها لونا من الوانها التي لا غنى عنها ، او التي تضيف الـى جمال الصورة ولا يتحقق لها جمال بغيرها ، ونحن في حياتنا القريبة قد نبكي لحادث يعجبنا ثم نعود فنضحك او نغتبط بما كسبناه منه بعد فواته » .

تلك هي النظرة الصحيحة الى المتاعب الغير الارادية التي يتعرض لهـا الخلـق .

اما القسم الثاني من الشرور التي تشكو منها يـا صاحبـي فمحوره خطؤك انت واشباهك من المنحرفين .

قال مستنكرا : انا واشباهي لا علاقة لنا بما يسود العالم من فوضى ! فكيف تتهمنا ؟

قلت : بل انتم مسئولون ، فان الله وضع للعالم نظاما جيدا يكفل لـه سعادته ، ويجعل قويه عونا لضعيفه وغنيه برا بفقيره ، وحذر مـن اتباع الاهواء واقتراف المظالم واعتداء الحدود .

ووعد على ذلك خير الدنيا والآخرة « من عمل صالحا مـن ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ».

فاذا جاء الناس فقطعوا ما امر الله به ان يوصل ، وتعاونوا على العدوان بدل ان يتعاونوا على التقوى فكيف يشكون ربهم اذا حصدوا المر من آثامهم ؟

ان اغلب ما احدق بالعالم من شرور يرجع الـى شروده عـن الصراط المستقيم ، وفي هذا يقول الله جل شانه: « وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت

ايديكم ويعفو عن كثير » [1] .

ان الصدّيق رضي الله عنه جرد جيشا لقتال مانعي الزكاة ، وبهذا المسلك الراشد اقر الحقوق وكبح الاثرة ونفذ الاسلام فاذا تولى غيره فلم يتأس به في صنيعه كان الواجب على النقاد ان يلوموا الاقدار التي ملأت الحياة بالبؤس ؟!

قال : ماذا تعني ؟

قلت : اعني أن شرائع الله كافية لاراحة الجماهير ، ولكنكم بدل ان تلوموا من عطلها تجرأتم على الله واتهمتم دينه وفعله !!

ومن خسة بعض الناس ان يلعن السماء اذا فسدت الارض وبدلا من ان يقوم بواجبه في تغيير الفوضى واقامة الحق يثرثر بكلام طويل عن الدين ورب الدين .. !!

انكم معشر الماديين مرضى تحتاج ضمائركم وافكاركم الى علاج بعد علاج ..

وعدت الى نفسي بعد هذا الحوار الجاد أسألها : ان الامراض توشك ان تتحول الى وباء ، فهل لدينا من يأسو الجراح ويشفي السقام أم ان الازمة في الدعاة المسلمين ستظل خانقة ؟

* * *

ذكر الصحافي الشهير « انيس منصور » ان العالمة الانجليزية الدكتورة « مرجريت برنبريدج » مديرة مرصد « جرنيتش » قد اكتشفت أبعد نجم في هذا الكون ، وقد سمي الفلكيون هذا النجم « كازار » واطلقت عليه الدكتورة المكتشفة « كازار ١٧٢ » .

هذا الجسم يبعد عنا بمقدار ١٥٦٠٠ مليون سنة ضوئية والسنة الضوئية كما ذكرنا من قبل تساوي (٣٦٥ يوما × ٢٤ ساعة × ٦٠ دقيقة × ٦٠ ثانية × ١٨٦٠٠٠ ميل وهي سرعة الضوء في الثانية الواحدة) .

ورد هذا النبأ في مجلة الطبيعة ، ووصفت الدكتورة المكتشفة هذا النجم بانه ساطع جدا .

ولهذه العالمة سبق في ميدان الاكتشاف الفلكي اذ سجلت وجود نجم سماوي آخر في ابريل الماضي سنة ١٩٧٣ .

ولما سئلت الدكتورة عن اتساع الكون الذي نعيش في جانب محدود منه . قالت : لا احد يعرف . ان هذه هي حدود معرفتي بالقدر الذي تسمح به عدسة قطرها « ١٢٠ » بوصة ، ولو كانت هناك عدسات اكبر او اجهزة اقدر وادق لاتسع امامنا الكون ، اكثر واكثر .

---

(١) الشورى : ٣٠ .

سئلت : هل الله موجود ؟ وكان جوابها : من المؤكد انه موجود !!

قيل لها : ولكن لماذا ؟ فاشارت الى السماء وقالت : لهذا .!!

ومن قبل ذلك بنصف قرن عندما اعلن « اينشتين » نظرية « النسبية » ساله بعض الناس : هل الله موجود ؟

وكان الرد : رياضيا موجود !!

وسئل : وكونيا ؟ قال : موجود !

قيل له : لماذا ؟ وكان الجواب : لهذا .. « واشار الى السماء » .

اقول ان القرآن الكريم اكثر الحديث عن السماء ، وهو يبني الايمان على التامل في الكون والنظر في سعته ودقته وخصائص مادته واستقامة قوانينه « والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون » ١ « ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين » ٢ « وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون » ٣ .

وهناك ايماءة علمية معجبة مثيرة في الحديث عن النجوم وابعادها السحيقة تحسها وانت تقرا قوله تعالى : « فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم » ٤ .

ان جملة لو تعلمون تشير الى ان هناك حقائق كبيرة فوق مستوى العقل البشري تتصل بهذه المواقع ، ترى على اوضحها الكشوف الفلكية الاخيرة ؟ ربما .. اذا كان الخطاب متجها الى الناس في عهد ابتداء الوحي .. انهم لم يروا في المراصد الحديثة اسرار القبة الزرقاء وما فيها من عجائب .. اما اهل هذا العصر فقد عرفوا ، وبهرهم ما عرفوا واضطرت جمهرتهم ان تقول : « سبحانك ما خلقت هذا باطلا » ومع ذلك فنقول ان ما عرفه العلماء الآن شيء تافه بالنسبة الى ما زوي عنهم ، فان آلاتهم التي اعتمدوا عليها ارتهم القليل وعجزت عن الكثير ، ويبقى الخطاب القرآني موجها الى الاقدمين والمحدثين على سواء « فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم » .

ان الكون كبير ، واكبر منه خالقه جل جلاله ..

واعترف اني لم اعرف ضآلة الارض التي نحيا فوقها الا بعد قراءات يسيرة في علم الفلك ، بعدها فقط فهمت معنى الحديث القدسي « يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا . يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا » ٥ .

---

(١) الذاريات : ٥١ . (٢) الحجر : ١٦ . (٣) الانبياء : ٣٢ .

(٤) الواقعة : ٧٦ .

(٥) رواه الترمذي في القيامة ، وغيره .

اومض في بصيرتي شعاع عن عظمة الخالق الاعلى جعلني اردّد مع صاحب الوحي الخاتم واصدق بشر في الآخرين ، هذا التسبيح القانت ما جعلني اكذّب اساطير اليهود والنصارى التي تصف الله بانه جلس يأكل مع عبده ابراهيم ، او اشتبك في صراع مع عبده يعقوب !!

قبحا لهذا اللغو ، اكذلك يوصف رب المشارق والمغارب بديع السموات والارض ، جاعل السموات والارض ؟!

وعدت الى القرآن الكريم انظر اليه باعزاز ، واتدبر آياته بادب واستمع اليه يصف الجاهلين بربهم فيقول :

« وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون » ١ .

لكن لماذا التأمل في السماء وحدها ؟ هل يحتاج اليقين الى هذا النظر العالي ؟ أن هناك انفسنا والارض التي نعيش عليها ، يمكننا ان ننظر فيها — عن قرب — لنعتبر ونتعلم . . « وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون » ٢ .

كنت افكر في مسالة علمية تحتاج الى استغراق ومراجعة ، وكانت طفلتي تلعب قريبا مني تنظر اليّ ولا يعنيها من تفكيري شيء . . قلت : أنا وهي نماذج لاربعة آلاف مليون او اكثر يسكنون هذه الكرة الطائرة في فضاء الله تدور بقدر حول امها الشمس . .

لكل فرد من هذه الالوف المؤلفة فكره الخاص ، وعالمه الذي يعيش داخله وطريقته في الفهم والحكم على الامور .

ترى لو انقطع التيار الذي تنير به هذه الادمغة ، الام تصير ؟

على كل حال انه لم ينقطع ، وفي كل مخ تلافيفه التي يتحرك بها ويقوم عليها عالمه الخاص . سبحان من ابدع هذا كله ، سبحان من احتوت اصابعه قلوب الخلائق جميعا يصرفها كيف يشاء .

وعدت الى تعليق الاستاذ انيس منصور على الكواكب المكتشفة ودلالة السماء على عظمة الله ، انه يقول : « على الرغم من ضخامة الكون وعظمته وابعاده التي لا ندرك لها حدودا فان هذا الكون ابسط من النفس الانسانية واسهل من الجسم الانساني ، واصغر من الخلية الحية .

ان عظمة العالم تبرز في تكوين الحياة نفسها ، ان الحياة في الكائن الحي اروع واعمق واعقد واصعب من نجم ملتهب يدور في الفضاء السحيق بعيدا عن عيوننا وعدساتنا .

ان المسافة التي بيني وبين القمر اقرب جدا من المسافة التي بيني وبينك ، فالذي بيني وبينك صعب وغير مفهوم .

---

(١) الزمر : ٦٧ .   (٢) الذاريات : ٢١ .

ومن هنا كان اي كائن حي مهما دق وزنه وحجمه اعظم من اي نجم غابر في الافق ..

لست في حاجة الى ادلة على وجود الله نستوردها من السماء ــ وحدها ــ وانما في نفسك وجسمك وتحت قدميك توجد اعظم معجزات الخلق والابداع » .

وفي هذا الكلام صدق كثير .. ليس من الضروري ان يكون المرء فلكيا ليعرف عظمة ربه .. ان الرجل العادي يستطيع ان يعرف عن قدرة الله وحكمته وعلمه ورحمته ما ينمي الايمان في قلبه ولبه لو انه نظر فقط الى ما ياكله .

ولكن ناسا كثيرين « يتمتعون وياكلون كما تأكل الانعام . والنار مثوى لهم » (1) .

* * *

في ارجاء الامة الاسلامية ناس اشباه متعلمين يعلنون الحادهم دون حياء ، ويزعمون انهم ثوار على الرجعية ، عشاق للمعرفة ، ضائقون بالافكار القديمة ، معتنقون للافكار الحديثة !!

وكثيرا ما لقيت في طريقي صورا من هؤلاء الناس ، فاتفرس في مسالكهم واتأمل في اقوالهم واحوالهم ، ثم اذكر كلمة العقاد رحمه الله : هناك مقلدون في كراهية التقليد !

اما حديث العلم وتقدمه ، والكون وكشوفه فهو تعلة خادعة ينكرها العلم والعلماء ..

واول ما نلحظه على أولئك الناس نقلهم لكلمات اوحت بها بيئات اخرى وترديدها في بلادنا دون اي حساب لاختلاف الزمان والمكان والباعث والنتيجة !!

لقد كان الفيلسوف الالماني « نيتشه » ملحدا ، وكان كفره بالله شديدا . ومما يؤثر عنه قوله في الهجوم على الدين « عندما نستمع في صباح الاحد الى دقات الاجراس القديمة نتساءل : اهذا ممكن ؟ ان هذا كله من أجل يهودي صلب منذ الفي عام كان يقول انه ابن الله !! وهو زعم يفتقر الى برهان ..

لا جدال ان العقيدة المسيحية ــ هكذا يقول نيتشه ــ هي بالنسبة الى عصرنا اثر قديم نابع من الماضي السحيق ، وربما كان ايماننا بها في الوقت الذي نحرص فيه على الاتيان ببراهين دقيقة لكل راي نعتنقه شيئا غير مفهوم فلنتصور الها انجب اطفالا من زوجة غانية ، وخطايا ترجع الى الله ثم يحاسب هو نفسه عليها خوفا من عالم آخر يكون الموت هو المدخل اليه ! لكم

---

(1) محمد : ١٢ .

يبدو كل ذلك مخيفا ، وكأنه شبح قد بعث من الماضي السحيق ! أيصدق احد ان هذا مازال يصدق » ؟

وهذا الطراز من الالحاد هو الــذي يحمل جرثومتــه بعض الناس . يحسبون انهم يفتنوننا به نحن المسلمين عن ديننا ويصرفوننا عن رسالتنا . .

وهو طراز يختلط فيه التقليد الاعمى بالنقص المركب ، او حب الظهور بالحقد على المجتمع . . اما الزعم بأن العلم المــادي ضد الدين ، وأن بحوثــه المؤكدة وكشوفه الرائعة تنتهي بانكار الالوهية فهذا هو الكذب الصراح . . !

بل ان اساطين العلــم والفلسفــة تشابهت مقالاتهم في اثبــات الوجود الاعلى ، وتكاد في وصفها لله تنتهي الى مــا انتهى اليــه القــرآن الكريم مــن توحيد وتمجيد . .

نحن لا ننكر ان خصاما شديدا قد وقع بين العلم والدين في أوربا حيث كان القول بكروية الارض كفرا ، والقول بدورانها حول الشمس الحادا !!

ولا ريب ان هذه الجفوة المفتعلة بين حقيقة الديــن وطبيعة العلم تركت آثارا سيئة هنا وهناك ، بيد ان الاعتماد على هــذا في التجهم للايمان الحــق لا يســوغ ، فان تجريد الدين من الشوائب التي لحقت بــه ، والتزام العلم للنهج السوي في البحث عن الحقيقة قد انتهى بصلح شريف يذكرنا بقوله جل شانــه :

« سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أولــم يكف بربك انه على كل شيء شهيد » (1) .

كانت المادية هي بدعة القرن الماضي ، وكان الزعم السائد انــه لا وجود الا للمادة وان ما وراء المادة عدم محض وان المادة لا تفنــى ولا تستحدث وان الدين بعد هذا كله امسى لا مكان له !!

ثم مضت الحقائق العلمية تكشف عــن وجههــا فاذا مقررات المــاضي تنسف من اصولها ، يقول الدكتور ابو الوفا التفتازاني : « كان العلم يتصور الامور تصورا ماديا بحتا الى ان جــاء العالم الشهير « البرت اينشتين » فغير ببحوثه الطبيعية النظرة الــى المادة تغييرا حاسمــا ، وقــد صور الفيلسوف الانجليزي « رسل » ذلك قائلا : درسنا العالم الطبيعــي فوجدنــا المادة عند العلم الحديث قد فقدت صلابتها وعفويتها ، اذ حللها العلماء الــى مجموعات ذرية كل مجموعة منها تنحل الى ذرات ، وكل ذرة تعود بدورها فتنحل الــى كهارب موجبة واخرى سالبة ، ثــم مضى العلماء في التحليل ، فــاذا هــذه الكهارب نفسها تتحول الى اشعاعات !!

وختم « راسل » كلامه بهذه العبارة « ليس في علم الطبيعة مــا يبرهن على ان الخصائص الذاتية للعالم الطبيعي تختلف عن خصائص العالم العقلي .

---

(1) فصلت .

ونحن نقول : انتساب ذلك الكون الضخم الى اصول من الاشعة شيء مثير حقا !! ترى ما الذي كثف النور وجمد حركته ووزعه على الوف الاشكال التي نراها ؟

انك لن تعدم سعيها يقول لك : تم ذلك من تلقاء نفسه !!

وهذا القائل مستعد أن يقول لك ايضا : ان الصحف في عواصم العالم تصدر عن دورها مليئة بالاخبار والتعليقات والصور متسقة الحروف والارقام تلقائيا من غير ما اشراف ولا اعداد ولا تبويب ولا ترتيب !

لعمري أن ذلك أدنى الى التصور من خلق الموت والحياة في هذا العالم الفخم تلقائيا كما يأفك الافاكون !!

لكن اي عاقل يحترم نفسه ويقدر علمه يأبى هذا المنزلق .

يقول الدكتور التفتازاني : ولعل هذا ما جعل العلامة « اينشتين » يؤثر الايمان بالله ويرفض الشبهات التي تختلق ضده ، وقد دار حوار بينه وبين صحفي أمريكي يدعى « فيرك » في هذا الموضوع قال فيه الرجل العالم بحسم : انني لست ملحدا !! ولا ادري : هل يصح القول بأني من أنصار وحدة الوجود (؟) ان المسألة اوسع نطاقا من أن تحيط بها عقولنا المحدودة !!

وعاد الصحفي الى سؤاله !!

وعاد الصحفي الى سؤاله بطريقة أخرى يريد بها هز الايمان الذي لاذ به هذا العالم ، فقال : ان الرجل الذي يكتشف أن الزمان والمكان منحنيان ، ويحبس الطاقة في معادلة واحدة جدير به الا يهوله الوقوف في وجه غير المحدود !!

فيرد اينشتين : اسمح لي أن اضرب لك مثلا : ان العقل البشري مهما بلغ من عظم التدريب وسمو التفكير عاجز عن الاحاطة بالكون فكيف بخالقه ؟!

نحن اشبه ما تكون بطفل دخل مكتبة كبيرة ارتفعت كتبها الى السقف فغطت جدرانها ، ثم هي مؤلفة بشتى اللغات . ان هذا الطفل يعلم أن شخصا ما كتب هذه الكتب ، ولكنه لا يعرف بالضبط من هو ، ولا كيف كانت كتابته لها ثم هو لا يفهم اللغات التي كتبت بها !!

وقد يلاحظ الطفل أن هناك طريقة معينة رتبت بها الكتب ونظاما غامضا يشمل صفوفها واوضاعها ، نظاما نحس اثره ولا ندري كنهه .

ان ذلك القصور هو موقف العقل الانساني مهما بلغ من العظمة والتثقيف !!

---

(١) ليس هذا العالم ممن يعتنقون مذهب الوحدة الذي يعرفه الهنود ، او النحو الذي تسرب من الهندوكية الى بعض الديانات الاخرى ، ولكنه يريد ان يقول : انه يرى الله في كل شيء ويلمح صفاته العظمى في مجالي الكون كله « هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » وعذر الرجل انه لا يعرف الاسلام فيعبر التعبير المأثور ..

وعاد الصحفي الامريكي يسأل : اليس في وسع احد حتى أصحاب العقول العظيمة ان يحل هذا اللغز ؟

فاجاب اينشتين مرة اخرى يعلل لماذا هو مؤمن ، ولماذا يعجز عن معرفة كنه الله فقال : نرى كونا بديع الترتيب خاضعا لنواميس معينة ، ونحن نفهم هذه النواميس فهما يشوبه الابهام فنؤمن بالله ولكن عقولنا المحدودة لا تدرك القوة الخفية التي تهيمن على مجاميع النجوم » .

لو كانت المواد التي يتكون منها هذا العالم الضخم تتراكم بعضها فوق بعض دون تبصر او حكمة لدلت كثرتها وحدها على غنى واسع وثراء عريض !! فان الابعاد الآلية لهذا الكون مذهلة !!

لكن الامر ابعد ما يكون عن الجزاف والفوضى .

والبناء العقلي المتغلغل في الكون من الذرة الى المجرة يجعلنا نكون عن هذا العالم الدقيق صورة اخرى .

ولن نأتي بهذه الصورة من عند انفسنا بل من اقوال الفلكي الانجليزي « سير جيمس جينز » الذي ينطق بهذه العبارة المثيرة : « لقد بدا الكون يلوح اكثر شبها بفكر عظيم منه بآلة عظيمة » .

ان الروعة لا تكمن في ضخامة الآلة التي نراها بل في الطريقة التي تدور بها وتؤدي وظيفتها ، في حبكة الموازنة والضبط والتقدير .

ومن ثم يتجه الاعجاب الى العقل الواضع الحاسب قبل ان يتجه الى اثره المحدود .

ولننظر الى عقلنا الانساني بين ما ننظر اليه من صنوف المخلوقات ماذا نرى ؟ انه كائن ذكي قدير يبدو ويخفى في ادمغة الالوف المؤلفة من سكان الارض والاحياء والراحلين ، الذين وجدوا والذين سيوجدون ، من اين تولد هذا العقل ؟ من الماء والطين كأعشاب الحدائق .. هذا فرض مضحك ولا ريب ، انه نفحة من الخالق الاعلى وحده .

يقول سير جيمس جينز : يجب ان نذكر المقدمات التي يفترضها بعض النقاد من غير علم ، فالكون لا يبيح لنا ان نصوره تصويرا ماديا ، وسبب ذلك في رايي انه قد أصبح من المدركات الفكرية العميقة اننا واجدون في الكون دلائل قوة مدبرة او مسيطرة يوجد بينها وبين عقولنا الفردية شيء مشترك ، خير ما نصفها به انها رياضية (!) لاننا لا نجد الآن أصلح من هذا التعبير » .

والعلامة الانجليزي معذور في وصف الابداع الالهي بهذا الاسلوب لقد راعه وهو فلكي راسخ ان يجد في نظام الشروق والغروب والدوران والانطلاق دقة تسجد علوم الرياضة في محرابها ، فقال : « انَ التفكير المشرف عليها ليس هو العاطفة او الاخلاق او تقدير الجمال ، ولكنه الرغبة في التفكير بطريقة تفكير علمي رياضي !! بل انه اعتبر العقل الانساني اثرا للعقل الكلي الذي توجد فيه على شكل فكر تلك الذرات التي نشأت منها عقولنا ، ثم انتهى اخيرا الى ان الآراء متفقة الى حد كبير في ميدان العلم الطبيعي الى ان نهر المعرفة يتجه

نحو حقيقة غير آلية » اي غير مادية ، اي الى الله الكبير المتعال . ؟

على هذا النحو يفكر علماء الكون الكبار ، ويحكم ائمة العلم الحديث ورواده الكبار ، ولذلك شعرت بسخرية اي سخرية عندما قرات لصحافي « كبير » في بلادنا هذه الكلمة الغبية السمجة : « ان التقدم العلمي يوشك ان يجعل اخطر الوثائق العقائدية نوعا من البرديات القديمة التي حال لونها ، وبليت صفحاتها ، وعدت عليها عوامل الزمن بالتعرية والتآكل واصبح من الضروري للابقاء على اثرها ان يخصص لها مكان في متاحف التاريخ » .

قلت ما اوسع الفرق بين منطق العلماء ومنطق الجهلاء في تناول القضايا وارسال الاحكام . هل يمحي الايمان كله بهذه السهولة .

ولقد شعرت كذلك بسخرية اي سخرية عندما رايت كتابا بعنوان « العالم ليس عقلا » الفه شخص ولد في نجد وقضى اغلب عمره على قهوات القاهرة وبيروت ، وتلقى اكثر علمه من الاوراق الشاحبة التي يسطرها بعض المعلولين والمعقدين !

هذا المسخ الذي لم يعمل يوما في مرض ولا مختبر للكيمياء او الفيزياء ينكر الإلوهية ويسفه النتائج التي وصل اليها امثال « اينشتين » من قادة المعارف الكونية ، طبعا لانهم رجعيون وهو تقدمي ، ولانهم قاصرون وهو نابغة . . !!

ولست اتهم كل ملحد انه صورة للملحدين الصغار فان هناك بعض العلماء والفلاسفة — وان كانوا قلة — تنكروا للايمان وقواعده وغاياته ، بيد ان المتتبع لاقوال هؤلاء يجزم بأن انتسابها الى العلم تزوير جريء فهم يخمنون ويفترضون ثم يبنون قصورا على رمال !

وقد قرات لبعضهم كلاما عن بداية الخليقة يثير الضحك ، فهم يزعمون ان العناصر في الازل السحيق تفاعلت اعتباطا ، وسنحت فرصة لن تتكرر بعد ابدا (!) فتكونت جرثومة الحياة ثم اخذت تنمو وتتنوع على النحو الذي نرى . .

وهذا كلام لايصدر عن عقل محترم ولا يصفه بانه علم الا مخبول !! وصدق الله العظيم « ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا »

واذكر اني — وانا اناقش بعض الادلة — سالت نفس هذا السؤال :

هل انا كائن قديم ام مخلوق جديد ؟

فكان الجواب القاطع : لقد ولدت سنة كذا ، فانا حادث بلا ريب !! ولكن شبهة ثارت تقول : انك تخلفت عن مادة الذين هلكوا قبلك ، وعندما تموت فستكون اجساد منك ومن غيرك ! فقلت اذا سلمت بهذا في الاجساد فلن اسلم به في روحي انا . . ان هذه « الانا » المعنوية هي حقيقتي الكبرى ، وانا مستيقن باني كائن جديد مستقل وجدت بعد عدم محض ، فمن ابرزني من لا شيء ؟

انني لست معتوها حتى اشك في مدابه وجودي وشعوري فمن رب هذه المنحة الخطيرة ؟ فتلوت قوله تعالى « هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ؟ . انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا[1] » .

وعدت الى قصة الجسد الذي احمله في حياتي وانضوه بعد مماتي هل هو قديم المادة حقا ؟ فسالت العلم : كيف يوجد ؟ وهل يمكن ان يتمثل بشرا سويا هكذا خبط عشواء ؟ فقال العلم : ابن الوليد يتخلق أول أمره من التقاء الحيوان المنوى بالبويضة !

فما الحيوان المنوي ؟ كائن دقيق توجد في الدفقة الواحدة منه قرابة مائة مليون حيوان ، كل واحد من هذه الالوف المؤلفة يمثل الخصائص المعنوية والمادية للانسان من الطول والقصر والسواد او البياض والذكاء أو الغباء والشدة أو الهدوء . . الخ .

ويبدا التكون الانساني بوصول واحد ــ لا غير ــ من هذه الالوف الكثيفة الى البويضة وتفنى البقية . قلت فلاقف عند نقطة الابتداء هذه لاسال : من الذي صنع هذه الحيوانات السابحة في سائلها، الحاملة لخصائص السلالة الادمية من اجيال خلت ؟

قالوا غدة في الجسم ! قلت : غدة اوتيت الذكاء والوعي والاقتدار على خلق مائة مليون كائن من طراز واحد ! مجموعة دراهم من اللحم تتصرف من تلقاء نفسها في صنع الذكاء او الغباء ، واللحم او العصب ؟

ما يصدق هذا الا مغيب العقل !! وتلوت قوله تعالى :

« افرايتم ما تمنون . اانتم تخلقونه أم نحن الخالقون[2] » ؟

اننا أمام أدوات القدرة الالهية العليا وهي تبرز مشيئة الخالق الجليل ، وكانها تقول لنا : ان خلق الله للعالم ليس فيه شائبة غرابة ! اليس يخلق في كل لحظة تمر الوفا من الناس والوفا من الدواب ، وصنوفا من النبات ؟!

ان ابداع الخليقة ليس فلتة وقعت وانتهت ، وامست في ذمة التاريخ بحيث يستطيع المكابرون ان يجادلوا فيها . . لا . . ان الايجاد من الصفر يقع امام اعيننا كل يوم في عالم الاحياء فلم هذا المراء .

ان بديع السموات والارض لايزال يخلق في كل وقت وفي كل شبر صنوفا من الاحياء الدقيقة والجليلة لا حصر لها فكيف ينكر ما كان من خلق اول او ما سوف يكون من بعث وجزاء ؟

---

(١) الاستفهام تقريري اي لقد اتى على الانسان وقت كان فيه عدما محضا . والايات في صدر سورة الانسان .

(٢) الواقعة ٥٨

« أولم يروا كيف يبديء الله الخلق ثم يعيده . ان ذلك على الله يسير .
قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الخلق ثم الله ينشي النشأة الآخرة .
ان الله على كل شيء قدير » (1)

ولنفرض جدلا ان بعض الناس يرى ان الفلك الدوار يجري في الفضاء دون ضابط ولا رابط ، وان الوليد الخارج من ظلمات الرحم لامع العين مورد الخد ، مفتر الثغر ، قد صنعه على هذا التقويم الحسن شيء ما في بطن الام !!

لنفرض أن بعض الناس ركب راسه وقال هذا الكلام فما الذي يجعل هذا الزعم السخيف يوصف بانه علم وتقدمية على حين يوصف منطق الايمان بانه جمود ورجعية ؟

سبحانك هذا بهتان عظيم !

لقد آن الاوان لتهتك الاستار عن ادعياء التقدم الذين يمثلون في الواقع ارتكاسا انسانيا الى جاهلية عديمة الشرف والخير مبتوتة الصلة بالعقل وذكائه والعلم وكشوفه . .

ربما شك بعض الناس في حقيقة الدين الذي يعتنقه او في جدواه عليه ، فاذا ساور هذا الخاطر احدا من خلق الله ، فان العربي آخر امرىء يعرض له هذا الظن ، بل يقرب من المستحيل ان يساوره .

ذلك ان فضل الاسلام على العرب كفضل الضياء والماء على الزرع .

لا اقول اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ، بل اقول اوجدهم من عدم وجعل لاسمهم حقيقة واقام بهم دولة وانشا حضارة . .

قد تكون بعض العقائد عقاقير مخدرة للنشاط البشري لكن الاسلام لما جاء العرب شحذهم واثار عقولهم ووحد صفهم وطار بهم الى آفاق مادية وادبية لم يحلم بها آباؤهم ولا تخيلها اصدقاؤهم او اعداؤهم ، ومضى العرب في طريق المجد الذي شقه الاسلام لهم فعرفهم للعالم وكان قبل يجهلهم ، وافاءوا على ماضيه القريب ما لا ينكره الا متعصب كفور !

وارتبطت مكانة العرب الذاتية والعالمية بهذا الدين ، فهم يتقهقرون اذا تخلوا عنه ويستباح حماهم . وهم يرتقون ويتقدمون اذا تشبثوا به وتحترم حقوقهم .

على عكس ما عرف في امم اخرى لم تستطع التحليق الا بعدما تخففت من مواريثها الدينية كلا او جزءا !!

وقد استطاع مسلمو الجزائر في هذا العصر ان يستخلصو حريتهم من براثن فرنسا وان يدفعوا ثمن هذا الخلاص مليونا ونصف من الشهداء !

وما ينبغي تقريره هنا أن الاسلام وحده كان وقود هذا الكفاح القاسي . .
الاسلام بما غرسه في الافئدة من اباء .

---

(1) العنكبوت : ٢٠ .

فلما ظفر الجزائريون باستقلالهم بدءوا يستعيدون عروبتهم التي فقدوها خلال قرن وربع ، ووضعت مشروعات لجعل الافراد والجماعات ينطقون بالعربية ويتفاهمون بها بعدما كادت هذه اللغة تبيد امام زحف الفرنسية وسيادتها في الشوارع والدواوين !!

ان الاسلام بالنسبة للعروبة ولي نعمتها وصانع حياتها .

وقد اعترف مسيو « جارودیه » وهو شیوعي فرنسي عاش ردحا من الزمان في جبهة التحرير الجزائرية بان الدين وحده هو الذي اوقد شرر هذا الكفاح العزيز الغالي وأن الاسلام يستحيل ان يوصف بانه مخدّر الشعوب .

والاسلام لا يجعل من العرب شعبا مختارا يفضل غيره بسلالة او دم خاص ، كلا كلا ان الله اختار لعباده تعاليم راشدة وشرائع عادلة ، ثم وكل الى العرب أن يحملوا هذه التعاليم والشرائع ليعملوا بها وليعلموها من شاء . .

والله يأبى كل نعرة عنصرية او استعلاء قومي . . انها مبادىء محددة ، تنطلق منها امة ما فتكون بعين الله ، أو تند عنها فيدعها لنفسها ، بالوفاء لهذه المبادىء تصعد فان فرطت هبطت .

ولذلك يقول الله للمنهزمين في احد « ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين » ١ فالعلو قرين الايمان ، وينصح الامة كلها بالطاعة والاصلاح ويتهدد عدوها بالطرد والهوان ، ثم يامرها بالمقاومة ورفض الاستسلام وسيكون المستقبل لها ان هي ابقت حبلها موصولا بربّها « يا ايها الذين آمنوا: اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم . ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم ، فلا تهنوا وأنتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم » ٢ .

والتدبر في هذه الآيات الثلاث يعطي فكرة بينة ان تفضيل امة ما هو تفضيل سلوك ومنهج ، لا تفضيل دم أو لون وان الايمان الشريف والاستقامة الواضحة أساس العزة المنشودة وانه مهما لاقى المسلمون من صعاب وهزائم فلا يجوز ان يقبلوا سلما مخزيا ولا ان يعطوا الدنية من انفسهم .

ولهم ان يركنوا الى الله ولن يذل جانبهم ما آمنوا به وعملوا له .

واليقظة العزيزة التي صنعها الاسلام وهو يبني الامة يمكن ان نتابعها في مرحلتين :

الاولى في العهد المكي ، يوم كان المسلمون قلة تتوقع الضيم ويتجرأ عليها الاقوياء !

لقد أمر المسلمون ابان هذه المحن ان يثبتوا ويشمخوا بحقهم ، ويتنكروا لكل هوان ينزل بهم ، ويطلبوا ثارهم ممن اعتدى عليهم ، فان عفوا فعن قدرة ملحوظة لا عن ادعاء مرفوض !!

---

(١) آل عمران : ١٣٩ .   (٢) محمد : ٣٥ .

انظر كيف وصفت سورة الشورى المكية طلاب الآخرة الذين يؤثرون ما عند الله على هذه الدنيا ، انهم « الذيـــن استجابوا لربهم واقامـوا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا أصابهم البغي اذا هم ينتصرون ! وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فأجره عـلى الله والله لا يحب الظالمين » ١

فطلاب الآخرة ـ كما وصفتهم السورة المكية ـ ليسوا الذيـن يعيشون في الدنيا اذنابا مستباحين او ضعافا مغموصين ، او كما يقول الشاعر يصف قوما تافهين :

« ويقضى الامـر حين تغيب تيم ولا يستامرون وهـم شهـود »

لا ، لا أن هؤلاء المؤمنين بالدار الآخرة يفرضون انفسهم على هذه الحياة الدنيا ويكرهون العدو والصديق عـلى أن يحسب حسابهم ويـزن رضاهم وسخطهم ، ويعلم ان نتائج العدوان عليهم اذى محذور وشر مستطير ، لانهم اذا بغي عليهم ينتصرون ، ويلطمون السيئة بمثلها ! وليس ذلـك بالنسبـة للحق الادبي للجماعة كلها ، بل هو كذلك بالنسبة الـى حـق الفرد في مالـه الخاص ، فقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم :

« ارايت ان جاء رجل يريد اخذ مالي » .

قال : قاتله . قال : ارايت ان قتلته ؟

قال : هو في النار . قال : ارايت ان قتلني .

قال : فانت شهيد ٢ .

هل هذه الوصايا هي التي تخدّر الافراد والجماعات ؟

سبحانك هذا بهتان عظيم !

فاذا تجاوزنا العهد المكي الى العهد المدني نجد توجيها ينبع مـن هـذه الروح الابية الشامخة .

ان الهوان جريمة وقضاء الحيـاة فـي ضعف واستكانـة مرشح اول للسقوط في الدار الآخرة .

ومن هنا اثبت القرآن الكريم هذا الحوار بين ملائكـة الموت وبين الذين عاشوا في الدنيا سقط متاع واحلاس ذل .

« ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا : فيم كنتم ، قالوا : كنا مستضعفين في الارض ، قالوا : الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيهـا ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » ٣ .

---

(١) الشورى : ٣٨ .

(٢) مسلم في كتاب الايمان .

(٣) النساء : ٩٧ .

والهجرة المفروضة هنا هي التحول من مكان يهدد فيه الايمان وتضيع معالمه الى مكان يامن فيه المرء على دينه ، ولكن حيث استقرت دار الاسلام فلا تحول وانما يبقى المسلمون حيث كانوا ليدفعوا عن ترابهم ذرة ذرة ولا يسلموا في ارض التوحيد لعدو الله وعدوهم .

والآية تحرم قبول الدنية والف الاستضعاف ، وتوجب المقاومة الى آخر رمق .

ومما يؤكد هذا المعنى ان القرآن احصى الطوائف التي تعذر في هذا التمرد المطلوب على قوى الشر .

ومع استثنائها فان مصيرها ذكر معلقا على « رجاء » المغفرة والعفو لا على « توكيد » ذلك !!

« ... الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاولئك عسى الله أن يعفو عنهم ١ » .

والتعبير بـ « عسى » هنا مثير للقلق ، وهي اثارة مقصودة حتى لا يقعد عن مكافحة المعتدين من يقدر على الحاق اي اذى بهم مهما قل .

« ولا يقيم على ضيم يراد به   الا الاذلان عير الحي والوتد »

« هذا على الخسف مربوط برمته   وذا يشق فلا يرثي له أحد »

المسلم لا يقبل الحياة على اية صورة وباي ثمن ، اما ان تكون كما يبغي واما رفضها وله عند ربه خير منها .

ومن صيحات الكرامة والاباء قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون اهله فهو شهيد » ٢ !

وفي حديث آخر « من قتل دون مظلمته فهو شهيد » ٣ !

هل رايت استنهاضا للهمم واستنفارا للنضال ، واستثارة للذود عن الدماء والاموال والاعراض أحرّ من هذه المبادىء ؟!

ايمكن في منطق العقل والانصاف ان يوصف هذا الدين بانه مخدّر للشعوب ؟ الا شاهت الوجوه !!

ومن حقنا ان نتساءل : هل ضمان الخبز يحفظ الكرامة الفردية ويوفر الامان للجماعات ؟

لا شك ان للعنصر المادي اثرا في طمانينة المرء وشد أزره ولكنه ليس كل شيء في خلق العزة الشخصية والجماعية ! فرب سجين ملىء البطن خفيض

---

(١) النساء : ٩٨ .

(٢) الترمذي في « الديات » ، وابو داود في « السنة » .

(٣) صحيح رواه الشيخان واصحاب السنن الاربعة واحمد .

الراس ، ورب طاو حديد البصر جهير الصوت .

قال لي صديق : وضعت الحب للعصافير في شرفة بيتي ، وجلست بعيدا ارقبها وهي تلتقطه بمناقيرها كعادتها . . بيد انني ارتقبتها طويلا فلم تهبط ثم ادركت بغتة ان باب الشرفة مفتوح وان الحذر عاقها عن الاكل فقمت اغلق الباب وانا اقول : **ان الطعام لا يغني عن الامان .**

وهذا صحيح فان الله لما امتن على قريش بنعمته وبركته قال : « فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » .

ان الشبع لا يغني عن الحرية ابدا ، وان توفير « الديمقراطية الاقتصادية » يستحيل ان يغني عن « الديمقراطية السياسية » .

ان الانسانية ليست جسدا يعلف ويسمن ، ولكنها فطرة تتشوف للانطلاق والتحرر ، ولا بد ان يتقرر لها حقها في النقد والمراجعة وحساب كل ذي منصب مهما جل واقصاء من تكره وادناء من تحب . .

واليقظة التي ينشدها الاسلام للشعوب تتضمن الامرين جميعا .

« ونريد ان نمن على الذين استضعفوا ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض » . . ١

فكيف يتهم الدين بانه مخدر للشعوب ؟

وربما اتصل بهذه التهمة المتهافتة تصور البعض ان الدين رباط مع الماضي ، وان التطور ينافيه .

ونتساءل نحن : ما هذا التطور ؟

ان الالحاد ليس تطورا ، بل هو ترديد لكفر الصغار من جهلة القرون الاولى .

من الوف السنين وقفت قبيلة عاد من رسولها موقفا كأنما لخصت فيه كل ما يقال في هذا العصر على البينة الشطار ، من دعاة الالحاد « ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون . هيهات هيهات لما توعدون . ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين . ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين » ٢ .

ان التحلل من قيود الدين ليس تجديدا ولا ابتكارا بل هو خضوع للغرائز الدنيا التي انامت الوف الخلعاء والخبثاء من عشرات القرون وجعلتهم يحيون وفق شهواتهم وحدها ! فاي ارتقاء في هذا المسلك الرخيص ؟!

في غضون القرن التاسع عشر للميلاد كانت نزعات الالحاد تغلب على العقل الغربي ، وبدا كان العلم الطبيعي يتجه بالناس وجهة مادية تتنكر للدين وتضيق بتعاليمه ، ولما كان الغربيون سادة الدنيا وقتئذ فقد صبغوا

---

(١) القصص : ٥ .

(٢) المؤمنون : ٣٥ ، ٣٧ .

الفكر العالمي تقريبا بهذه الصبغة الداكنة . .

وقد تسأل : ماذا كان موقف المتدينين بازاء هذا الفكر الزاحف ؟

والاجابة ان المسلمين كانوا في حالة ذهول انستهم رسالتهم المحلية والعالمية على سواء ، فهم لا يريدون من دينهم شيئا طالما ينفعون بسه انفسهم بله ان ينفعوا به غيرهم .

واما بنو اسرائيل فقد شرعوا عقب تقرر الحقوق السياسية في الاقطار الحديثة يجمعون شملهم ليعيدوا ملك « يهوه » على الارض ويستعدوا لحكم العالم من « اورشليم » وما كان عليهم ان تكتسح ظلمات الشك كل ضمير . .!!

واما النصارى فلو تفرغوا لمواجهة هذا الخطر لكانوا كالذي يسرد الطوفان بالراحتين ، فكيف وهم مشغولون بالقضاء على الاسلام المريض !

لذلك نجح الالحاد في فرض افكاره واحكامه على اغلب ميادين النشاط الانساني ، وربما سمح للاديان ان تبقى ميولا فردية واتجاهات ادبية وحسبها ذلك .

على أن القرن العشرين للميلاد اخذ يتجه – خصوصا في اواسطه ونهاياته وجهة مغايرة ، وظهر في كتابات كثير من العلماء الطبيعيين نزوع واضح الى الايمان بالغيب والتسليم بوجود اله حكيم قادر ، عالم خبير !

وتدين العلم كسب انساني جليل !

والصورة التي تكونت لدى العلماء الطبيعيين عن الله اقرب الى الحقيقة مما يهرف به كثير من رجال الاديان . . !!

ولو كان للاسلام رجال يحسنون عرضه كما نزل في اصوله الاولى لكان الاسلام دين الحاضر والمستقبل على سواء ، ولكن الفكر الاسلامي وقع في محنة رهيبة !!

ولست ازعم ان كل العلماء الكونيين نزاعون الى التدين ، فهناك من ضل الطريق !! **ولكن تيار الايمان لو مضى في طريقه بين هؤلاء دون عوائق سياسية ودون ارهاب خارجي لتغير الوضع فان جمهرتهم سوف تدخل في دائرة الدين بلا ريب !!**

والمشكلة التي نواجهها نحن في بلادنا الاسلامية هي تاخر مثقفينا في مضمار التقليد !!

فعدد كبير منهم لا يزال يعيش في العقلية المادية للقرن التاسع عشر .

وعدد آخر قد يعدو هذا النطاق ليرنو ببصره الى المسجونين كرها داخل بعض المذاهب المادية الحاكمة ، وهم قوم كفروا عن ارهاب لا عن اختيار فغيم يقلدون ؟

والغريب ان نفرا من علماء الاسلام يزعمون ان الدين – كسائر القضايا الادبية – لا صلة له بالعقل ! اي ان التفكير الالحادي للقرن التاسع عشر ما زال هو الذي يسيطر عليهم ، فاي بلاء هذا ؟

ونحن نناشد احرار العقول ان يراجعوا انواع المعرفة التي تعرض عليهم

فان للاستعمار الثقافي دخلا في تلوثها وغشها
ان أعظم شيء في رسالة الاسلام احترامها للعقل البشري ، وحفاوتها بالعلم الطبيعي وبناؤها اليقين على النظر الصائب في ملكوت الارض والسماء.
ولا يوجد كتاب سماوي حث العقل على النظر ، وقاد العلم في مضمار البحث كهذا القرآن الكريم .
اننا بمنطق القرآن نرفض الظنون ونخضع لليقين ، نرفض الاوهام ونستكين للحقيقة وحدها . .
ان التدين الذي تعلمناه من كتابنا ليس تحميل العقل ما لا يطيق ولا الهيمان في عالم الاخيلة . . انه تدين زكي عملي
ثم هو يضم الى هذا الفكر الناضج قلبا سليما ، لا مكان فيه لنية خبيثة او غرض صغير ، على اساس ان الانسان لا يسيره العلم النظري قدر ما تسيره مقاصده وآماله . .
ما اكثر ما يكون الذكاء سلاحا يستعمل في الخير والشر على سواء فاذا صدق الايمان صلح القلب واستقام المنهج « ومن يؤمن بالله يهد قلبه » « ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد » (٣٧/٥٠) .
وفي معرفة الكون وخالقه ، والنفس وهداها يقول ابن عطاء الله السكندري هذه الكلمة الحاسمة :
« لا ترحل من كون الى كون فتكون كحمار الرحى يسير والمكان الذي ارتحل اليه هو الذي ارتحل منه ، ولكن ارحل من الاكوان الى المكون » « وان الى ربك المنتهى » .
وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم : « فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امراة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه » ١ . فافهم قوله عليه الصلاة والسلام وتامل في هذا الامر ان كنت ذا فهم » .
يقول الله تعالى « والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون » والارض فرشناها فنعم الماهدون . ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر اني لكم منه نذير مبين » ٢ .
هذه آيات خمس ، والثلاثة الاولى منها وصفت الاكوان علوها وسفلها وما انبتت فيها من حياة واحياء .
والاثنتان الاخريان انتقلتا من الاكوان الى المكون فتحدثتا عن وجوده ثم توحيده

---

(١) رواه البخاري في سبعة مواضع من صحيحه ، واخرجه باقي الستة وغيرهم .

(٢) الذاريات ٤٨ ، ٥٠ .

والحق ان الانحصار في الكون والاحتباس بين مظاهره فواحش عقلية الفرار انما يكون مما يحذر ويعاب .

والحق ان الانحصار في الكون والاحتباس بين مظاهره فواحش عقلية ونفسية لا يرضاها أريب لنفسه ، بل ينفر منها أولو الالباب .

ان من له ادنى مسكة يعرف ــ من العالمين ــ رب العالمين ويعرف من الاكوان صاحب هذه الاكوان !!

ان هذا الملكوت الضخم الفخم من ودائع ذراته الى روائع مجراته شاهد غير كذوب على ان له خالقا اكبر واجل .

انها لجهالة ان يغمط هذا الاله العظيم حقه . وانها لنذالة ان يوجد بشر ينكره ويسفه عليه .

ولكن خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين !!.

والعاقل ينظر في الكون فيتعلم منه تسبيح الله وتحميده ، ويستنتج من قوانين الحياة واحوال الاحياء ما يستحقه المولى الاعلى من اسماء حسنى وصفات عظمى . .

والناس صنفان : صنف يعرف المادة وحدها ويجهل ما وراءها ولا نتحدث الآن مع هؤلاء ، فقد ذكرنا نباهم فيما مضى .

وصنف مؤمن بالله مصدق بلقائه ، ولكنه هائم في بيداء الحياة ، ذاهل وراء مطالب العيش ، مستغرق المشاعر بين شتى المظاهر فهو لا يكاد يتصل بسر الوجود او يتمحض لرب العالمين .

ومع هذا الصنف المؤمن نقف لنرسل الحديث .

هناك قوم لا تخلص لله معاملاتهم ، بل هي مشوبة بحظوظ النفس ورغبات العاجلة ، وهؤلاء لن يتجاوزوا اماكنهم ما بقيت نياتهم مدخولة حتى اذا شرعت افئدتهم تصفو بدءوا المسير الى الامام .

وهناك قوم يعاملون الله وهم مشغولون بأجره عن وجهه او بمطالبهم منه عن الذي ينبغي له منهم ، وهؤلاء ينتقلون عن انفسهم من طريق ليعودوا اليها من طريق اخرى .

انهم مقيدون بسلاسل متينة مع انانيتهم فهم يسيرون ولكن حولها ، لو حسنت معرفتهم بالله ما حجبتهم عنه رغبات مادية ولا معنوية بل لطغى عليهم الشعور به ، وبما يجب له ، وتخطوا كل شيء دونه ، فلم يهدأوا الا في ساحته ، ولم يطمئنوا الا لما يرضيه هو جل شأنه على حد قول ابي فراس :

فليتك تحلو والحياة مريرة	وليتك ترضى والانام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر	وبيني وبين العالمين خراب
اذا صح منك الود فالكل هين	وكل الذي فوق التراب تراب

وابن عطاء الله يرى ان العامة يترددون بين مآربهم كحركة ندول الساعة لا تتجاوز موضعها على طول السعي ، او هم على حد تعبيره كحمار

الرحى ينتقل من كون الى كون ، والمكان الذي ارتحل اليه هـو الذي ارتحل منـه .

ولواجب على المؤمن ان يقصد وجة الله قصدا ، وان يتفصى تفصيا من الوف الاربطة التي تشده الى الدنيا وتخلد به الى الارض .

ومن خدع الحياة ان المرء قد يعمل لنفسه وهو يحسب انـه يعمل لله ، ولو وضعت بواعثه الكامنة تحت مجهر مكبـر لاستبان ان كثيرا مـن دواعي غضبه ورضاه وسروره وتعبه وراحته يصلها بوجه الله خيط واه عـلى حين تصلها بحظوظ النفس حبال شداد .

وهنا الخطر المخوف ان الهجرة اذا كانت للـه فقـد مضت وقبلت والا فالامر كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم « من هاجر الى دنيا يصيبها او امراة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه » .

والشعور بوجود الله ليس امرا يتكلف لـه الانسان شعيئا ، انـه شعور بالواقع !

قد يكون لك حبيب مسـافر مثلا فأنت اذا اشتقت اليـه تتخيل صورته وتحاول الأنس بالوهم عن الحقيقة .

ولكن الشعور بالله ليس تقريبا لبعيـد ولا تجسيدا لوهم ، انـه ايمان بالواقع الذي يعد تجاهله باطلا كشعورك مثلا ــ وانت في البيت ــ بانك فـي البيت ، او شعورك ــ وانت في القطار ــ بانك في القطار .

انه الواقع الذي لا معدى عن الاعتراف به ، وبناء كـل تصرف عـلى اساسه . ان الالوهية لا تفارق العباد لحظة من ليل أو نهار ، ومـن ثم فـان الغفلة عن الله غفلة عن الحق المبين .

● واذا كان الاعمى يعجـز عـن رؤية الاشياء فان الاشياء لم تزل مـن مكانها لأن عينا كليلة لم تتبينها .

● واذا كان الناس في ذهول عن الحق المصاحب لهم المحيط بهم فذلك عمى تعود عليهم وحدهم معرته .

وقد كثر القرآن الكريم من اشعار الناس بهـذه المعاني ، وصاح بهـم وهم يفرون عنها ، الى اين ؟ فاين تذهبون ؟ اين المذهب « والله مـن ورائهم محيط » ١ .

قال تعالى : « هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم . هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى عـلى العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء ومـا يعرج فيها وهـو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير » ٢ .

هو بصير بما تعمل وهو معنا حيثما كنا ! الا تعين هـذه الحقائق عـلى

---

(١) الطـارق . (٢) الحديد .

صدق المعرفة وحدة الشعور بوجوده واشرافه !

ثم الا يدل ذلك على ان ذكرك لله ليس استحضارا لغائب ؟ انما هو حضورك انت من غيبة وافاقتك انت من غفلة !!

ولا بد هنا من توكيد التفرقة بين وجود الله ووجود العالم فان بعض الناس يستغلون المعاني التي شرحناها ليلبس الحق بالباطل .

ان وجود الله مغاير لوجود سائر المخلوقات ، وهذا العالم منفصل عن ذاته جل شأنه انفصالا تاما .

وقد تسمع بعض الفلاسفة او بعض المتصوفين يقول :

أنه يرى الله في كل شيء .

وهذا التعبير صحيح ان كان يعني انه يرى آثاره وشواهده .

اما ان كان يعني وحدة الخالق والمخلوق او وحدة الوجود كما يهرف الكذبة ، فالتعبير باطل من الفه الى يائه ، والقول بهذا كفر بالله وبالمرسلين .

ووصف الاحاطة الالهية في هذا المجال وسيلة لا غاية . . . وسيلة لتصحيح النية والجهد والهدف واهابة بالانسان أن يدير نشاطه البدني والعقلي على مرضاة الله وحده .

وليت الناس يسعون في هذا الطريق بنصف قواهم !

ولو أن امرءا حاول استرضاء الله بنصف الجهد الذي يبذله لكسب المال ، او التمكين في الارض لقطع مرحلة رحبة في طريق الارتقاء الروحي والخلقي ، ولو ان امرءا كره الشيطان ووساوسه بنصف الشعور الذي يكره به الآلام والخصوم لنال من طهر الملائكة حظا .

ان الله قد يقبل نصف الجهد في سبيله ولكنه لا يقبل نصف النية ، اما ان يخلص القلب له ، واما ان يرفضه كله .

وقد أسلفنا القول ان الانسان قد تحتل قلبه مقاصد شتى هي التي تبعثه على الحركة والسكون ، وعلى الرضا والسخط ، وأن هذه المقاصد تنبعث عن أنانيته لا عن ايمانه بربه وابتغائه ما عنده .

والعلماء المربون يطاردون هذه المقاصد المتسللة الى القلب ويمنعونها ان تثوى فيه . ولا يتوانون في مطاردتها حتى تختفي ويطهر القلب منها .

ذلك أن الاسلام دقيق جدا في تقويم النية الباعثة عليه والغاية المصاحبة له ، فمن لم يكن الله وجهته في هجرته فلا عمل له ولا خير فيه .

في الحياة الآن الوف من المدرسين والاطباء والمهندسين والضباط والعمال والتجار والموظفين . . الخ يزحمون ظهر الارض بحركة واسعة المدى فاما ما كان للتكاثر والتظاهر فسوف يلصق بالتراب ، واما ما كان لله فهو مبارك الثمر ممتد الاثر .

ان البقاء لما قصد به رب السماء « من كان يريد حرث الآخرة نزد له في

حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب » ١ .
ونعود الى الصنف المسجون بين عناصر المادة لا يعرف غيرها ، انه ينتقل من عنصر وينسب مادة الى مادة ويجحد ما بعد ذلك .

وقد ناقشنا هؤلاء ، ودحضنا ما ساقوا من شبه ، ونريد هنا كشف الستر عن بعض دعاوى القوم .

ان وصف الايمان بانه حركة رجعية ، والالحاد بانه حركة تقدمية وصف كاذب ، فالكفر قديم قدم الغرائز الخسيسة والافكار السفيهة .

وتاريخ الحياة يتجاور فيه الخير والشر والصلاح والفساد فمن قال : « ان الايمان طبيعة أيام مضت وانتهى دورها وان الكفر يجب ان يفسح له الطريق» فهو دجال .

كذلك وصف الايمان بأنه حركة فكر محدود ، والالحاد بانه حركة عقل ذكي او وصف الايمان بانه منطق الدراسة النظرية ، والالحاد بانه منطق الدراسة العلمية والبحوث الكونية ، هذا كلام خرافي لا حرمة له فان جمهرة كبرى من قادة العلم الكوني والدراسات الحيوية يؤمنون بالله ويرفضون الزعم بأن الكون خلق من غير شيء .

والواقع ان الالحاد يعتمد على الظنون والشائعات ، لا على اليقين والبراهين ، وانه لم يثبت في معمل او مختبر بأن الله غير موجود .
وكل ما هنالك ان الماديين نسبوا لغير الله من النظام والابداع ما لا تصح نسبته الا لله .
ووراء هذا النسب المنتحل ساروا وايديهم خالية من أي يقين ، بل هم كما وصف القرآن الكريم « وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئا . ان الله عليم بما يفعلون » .

أما الدلائل التي تغرس الايمان في القلوب عن طريق التفكير السليم في هذا الكون الكبير فهي قائمة ناهضة .

---

(١) الشورى : ٢٠ .

الباب الثامن

- لا دين حيث لا حرية .
- يا للرجال بلا دين .
- مشهورون ومجهولون .
- التنادي بالجهاد المقدس .
- دين زاحف رغم كل العوائق .
- قال الانسان وقال الحيوان .
- حول خرافة تحديد النسل .
- محنة الضمير الديني هناك .
- هذه المقررات لا نريد أن تنسى .
- اسئلة واجوبة .

● **لا دين حيث لا حرية [1] :**

اثلجت صدري الكلمات التي قالها رئيس الدولة عشية نجت مصر من المؤامرة الاخيرة !

لقد اكد أن الحريات ستوطد وان الحقوق ستصان وان القانون سيسود ، ولن تغل يد من عمل شريف ، ولن يكمم فم عن كلمة حق ، ولن يؤذن لصغير ان يتطاول ، ولا لمنحرف ان يجور !!

لقد استقبلنا هذه المعاني والانفاس تكاد تختنق لما عراها من ضيق ، فكانت نسائم منعشة تتسلل خلال جو رهيب مقنط ، وكانت بوارق رجاء توحي بالخير .

واحس القابعون وراء جدران السجن الكبير ان العصابة التي تسومهم سوء العذاب بدات تذوب وتتلاشى .

ان اذلال الشعوب جريمة هائلة ، وهو في تلك المرحلة النكدة من تاريخ المسلمين عمل يفيد العدو ويضر الصديق .

بل هو عمل يتم لحساب اسرائيل نفسها .. فان الاجيال التي تنشا في ظل الاستبداد الاعمى تشب عديمة الكرامة قليلة الغناء ، ضعيفة الاخذ والرد .

- ومع اختفاء الايمان المكين والخلق الوثيق والشرف الرفيع .
- ومع شيوع النفاق والتملق والدناءة .
- ومع هوان اصحاب الكفايات وتبجح الفارغين المتصدرين .

... مع هذا كله لا تتكون جبهة صلبة ، وصفوف ابية باسلة !

وذلك امل اسرائيل حين تقاتل العرب لانها ستمتد في فراغ وتشتبك مع قلوب منخورة وافئدة هواء !

والواقع ان قيام اسرائيل ونماءها لا يعود الى بطولة مزعومة لليهود قدر ما يعود الى عمى بعض الحكام العرب ، المرضى بجنون السلطة واهانة الشعوب .

ولو انصف اليهود لاقاموا لهؤلاء الحكام تماثيل ترمز الى ما قدموا لاسرائيل من عون ضخم ونصر رخيص !

من اجل ذلك احسست راحة عميقة لكلمات السيد محمد انور السادات ، وهو يهدر بضرورة احترام الشعب وكسر كل قيد يوضع على مشيئته .

ان هذه السياسة البصيرة هي الخطوة الاولى لقتال حقيقي مع المعتدين يقمع غرورهم ويقلم اظفارهم !

---

(1) نشر هذا المقال بعد حركة ١٥ مايو التي قام بها في مصر الرئيس السادات .

ان جماهير العرب عطشى الى الحرية والكرامة ، ولقد بذلت جهود هائلة لمنعها من الحق والجد وتعويدها عبادة اللذة الى جانب عبادة الفرد ، ولكن جوهر الامة تأبى على هذه الجهود السفيهة ، وان كانت طوائف كثيرة قد جرفتها هذه المحن النفسية فهي تحيا في فراغ ومجون مدمرين ، لا تبقى معهما رسالة ولا ينخذل عدو ..

ومن ثم كان العبء على المصلحين ثقيلا ولكن ما بد منه لحماية حاضرنا ومستقبلنا .

ولقد تبعت الصراع بين الحكام المستبدين والرجال الاحرار منذ نصف قرن ، ودخلت في تلك المعمعة لاذوق بعض مرّها وضرها .

وكنت أردد باعجاب صيحات الرجال الكبار وهم يهدمون الوثنية السياسية ويلطمون قادتها ولو كانوا في أعلى المواضع .

من ذلك صيحة الاستاذ الكبير « عباس محمود العقاد » عندما قال معرضا بالملك فؤاد : ان الامة على استعداد لان تسحق اكبر راس يخون الدستور او يعتدي عليه !!

وقد قدم الكاتب الاسلامي الكبير الى المحاكمة ليعاقب بتسعة شهور في سجن مصر العمومي ثم خرج الرجل من السجن فكان اول ما صنع ان زار قبر سعد زغلول ليؤكد بقاءه على العهد وتأييده لقضايا الحرية وخصامه لاعداء الشعب !

ومن قصيدته التي القاها على قبره نذكر هذه الابيات الشامخة :

« خرجت له أسعى وفي كل خطوة ... دعاء يؤدى أو ولاء يؤكد »
« لأول من فك الخطى من قيودها ... اوائل خطوي يوم لا يتقيد »
« واعظم بها حرية زيد قدرها ... لدن فقدت أو قيل في السجن تفقد»
« عرفت لها الحبين في النفس والحمى ... وكان لها حب وان جل مفرد »
« وكنت جنين السجن تسعة أشهر ... فها انذا في ساحة الخلد أولد »
« ففي كل يوم يولد المرء ذو الحجى ... وفي كل يوم ذو الجهالة يلحد »
« وما افتقدت لي ظلمة السجن عزمة ... فما كل ليل حين يغشاك مرقد »
« وما غيبتني ظلمة السجن عن سنى ... من الراي يتلو فرقدا منه فرقد »
« عداتي وصحبي لا اختلاف عليهما ... سيعهدني كل كما كان يعهد »

والعقاد بهذا الموقف الشريف ينتظم مع سلسلة الابطال الذين يذودون عن الانسانية بطش الجبابرة وجنون العظمة عند نفر من المتاثين المتحكمين .

ولا ازال اكرر ما ذكرت في بعض كتبي من ان الحريات المقررة هي الجو الوحيد لميلاد الدين ونمائه وازدهاره !

وان انبياء الله لم يضاروا بها او يهانوا الا في عيبة هذه الحريات واذا كان الكفر قديما لم ينشا ويستعر الا في مهاد الذل والاستبداد فهو الى يوم الناس هذا لا يبقى الا حيث تموت الكلمة الحرة وتلطم الوجوه الشريفة

وتتحكم عصابات من الاغبياء او من اصحاب المآرب والاهواء ..

... نعم ما يستقر الالحاد الا حيث تتحول البلاد الى سجون كبيرة ، والحكام الى سجانين دهاة .

من أجل ذلك ما هادنا ـ ولن نهادن الى آخر الدهر ـ اوضاعا تصطبغ بهذا العوج ويستشري فيها ذلك الفساد .

ومرة اخرى أردد قول العقاد :

هو الحق ما دام قلبي معي   وما دام في اليد هذا القلم !

ان البيئات التي تستمتع بمقادير كبيرة من الحرية هي التي تنضج فيها الملكات ، وتنمو المواهب العظيمة ، وهي السناد الانساني الممتد لكل رسالة جليلة وحضارة نافعة .

ولامر ما اختار الله محمدا من العرب !

ان ذلك يرجع الى طبيعته الذاتية ، وطبيعة الجنس الذي ينمه على السواء !!

فان العرب أيام البعثة كانوا اسعد الامم بخطوط الحرية المتاحة لهم ، بينما كان الروم والفرس جماهير من العبيد الذين تعودوا الانحناء للحكام والسجود للملوك وضياع الشخصية في ظل سلطات عمياء وأوامر ليس عليها اعتراض .

أما العرب فكانوا على عكس ذلك ، حتى لكأن كل فرد منهم ملك وان لم يكن على رأسه تاج !

ونشأ عن ذلك الاعتداد الخطير بالنفس أن كفار القبيلة كانوا يموتون دفاعا عن مؤمنيها ، وكانت حرية الكلمة متداولة في المجتمع تداول الخبز والماء ..

ووسط هذا الجو شقت رسالة الاسلام طريقها صعدا لم تثنها المعوقات الطبيعية التي لا بد منها ..

ومن الفطر القوية لاولئك العرب الاحرار كانت الانطلاقة التي عصفت بالحكومات المستبدة وبدلت الارض غير الارض والناس غير الناس .

ذلك انه يستحيل ان يتكون في ظل الاستبداد جيل محترم ، او معدن صلب ، او خلق مكافح .

وتامل كلمة عنترة لابيه شداد لما طلب منه الدفاع عن القبيلة ، قال : ان العبد لا يحسن الكر والفر ولكنه يحسن الحلب والصر ! فاجاب الوالد : كر وانت حر !

وقاتل « عنترة » وتحت لواء الحرية أدى واجبه ولو بقي عبدا ما اهتم بهلاك امة من الناس فقد بينهم كرامته ومكانته ..

ومن مقابح الاستبداد اسلوبه الشائن في اهانة الكفايات وترجيح الصغار وتكبيرهم تبعا لمبدئه العتيد :

اهل الثقة اولى من اهل الكفاية .

ومن هم اهل الثقة ؟ اصحاب القدرة على الملق والكـذب ... اللاهثون تحت اقدام السـادة تلبية لا شارة لو التقاطا لغنيمة .

هذا الصنف الخسيس من الناس هـو الذي يؤثر بالمناصب ويظفـر بالترقيات ، وتضفي عليه النعوت ، ويمكن له في الارض ..
اما اهل الراي والخبرة والعزم والشرف فـان فضائلهم تحسب عليهم لا لهم ، وتنسج لهم الاكفان بدل ان نرفع لهم الرايات ..

والويل لامة يقودها التافهون ، ويخزى فيها القادرون ..

وقد كنت اقرا في الصحف ـ دون دهشة ـ كيـف ان المسئـول عـن « الثقافة والفكر في الاتحاد الاشتراكي » رجل امي يصيح كلما ساله المحقق اعذرني فاني جاهل ..

ان هذه طبيعة الاوضاع التي تعيش على الظلام وتكره النور .

ما اكثر العلماء في بلادنا لو اريد توسيد الامر اهله ، ولكن العلماء ليسوا موضع ثقة لصغار المتصدّرين لان العالم يستنكر التناقضات ويكره الدنية ، ويقول بغضب :

« الشقي بـه غرسا واجنيـه ذلـة اذن فاتباع الجهل قـد كان احزما »

اما وقد ازال الله الغمة ، وعلت كلمة الامة فلنعد بالامور الـى اوضاعها السليمة ، ولنوفر الحريات التي طال اليها الشوق واشتد الحنين .
لقد كان الاستبداد قديما اقل ضررا من الاستبداد الذي نظمته الدولة الحديثة في هذه الاعصار ، فان الدولـة في العصر الحديث تـدخلت في ادق شئون الفرد وبسطت نفوذها على كل شيء .

ومن هنا كان الدمار الادبي والمعنوي الـذي يصحب الاستبداد بعيد الآماد خبيث العواقب .

ومن أحسن ما قيل في تشييع ظالم مستبد :

« لتبـك عـلى « الفضل بـن مروان » نفسه
فليس لـه بـاك مـن الناس يعـرف »

« لقـد صحب الدنيـا منـوعـا لخيرهـا
وفـارقهـا وهـو الظلـوم المعنـف »

« الـى النـار فليـذهب ومـن كـان مثلـه
علـى اي شـيء فاتنـا منـه نأسـف ؟ »

« اللهم لك الحمد واليك المشتكى وانت المستعان » .

● يا للرجال بلا دين

انني أسأل نفسي بالحاح في هذه الايام العجاف : هل يشعر العرب بان محمدا مرسل للعالمين ، وان هذه « العالمية » في دعوته تفرض عليهم بعد اذ عرفوه ان يعرفوا الناس به ، وهم عندما يعرفون الناس بـه لـن يصفوا لهم ملامحه الشخصية وانما يشرحون لهم رسالته الالهية !

لكن عرب اليوم لا يقدرون محمدا قدره ، ولا يخلفونـه بامانة في مبادئه وتعاليمه ، ولا يحسون قبح الشبهات التي اثارها خصومه ضده بـل هـم – علما وعملا – مصدر متاعب للاسلام ولنبيـه الكريم ، وشاهـد زور يجعل الحكم عليه لاله !

قد تقول حسبك حسبك ان الناس بخير ، ومحبتهـم لرسولهم فـوق التهم فلا تطلق هذه الصيحات الساخطة فما تحب الجماهير أحـدا كما يحب اتباع محمد محمدا . .

واقول لك : سوف اغمض العين عن الوف من المتعلمين ضلل الاستعمار الثقافي سعيهم ، وشوه بصائرهم واذواقهم ، مـع ان وزنهم ثقيـل في قيادة الامة العربية فما قيمة الحب الرخيص الذي تكنه جماهير الدهماء ؟

انه حب غايته صلوات تفلت من الشفتين مصحوبـة بعواطف حارة او باردة ، وقلما تتحول الى عمل كبير وجهاد خطير ، والترجمة عن حب محمـد بهذا الاسلوب في وقت ينهب فيه تراثه امر مرفوض ان لـم يكـن ضربا مـن النفاق !

اذكر اني ذهبت يوما لاحد التجار كي اصلح شيئا لـي ، فاحتفى بـي وقدم بعض الاشربة ، وافهمني انه اتم ما اريد بعد ان وفيته مـا اراد . ثـم شعرت ان عمله كان ناقصا ولا اقول مغشوشا !

فقلت : ليته ما حيا ولا رحب وادى ما عليه بصدق ! ماذا استفيد مـن تحيات لا جدّ معها ولا اخلاص .

والشأن كذلك مع اقوام قـد تموج احفال المولـد النبوي بهم او قـد يصرخون بالصلاة على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في اعقاب الاذان ، او قد يؤلفون صلوات من عند انفسهم يحـار المرء في تراكيبها لاغراقها فـي الخيـال .

وقد يكون حبهم تمسكا شديدا ببعض النوافـل وهروبا تاما مـن بعض الفرائض او حنانا لا ندى معه ولا عطاء كهذا الذي قال له الشاعر :

« لا ألفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما قدمت لي زادا »

اي حب هذا . . ان العرب لا يعرفـون اي شرف كتب لجنسهم ولغتهم واسمهم وغدهم عندما ابتعث الله محمدا منهم ، وان التقدير الحـق لهـذا الشرف لا يكون بالسلوك المستغرب الذي يواقعونه الآن ومنـذ بدأوا يعبثون برسالة الله بينهم .

لما اراد رب العزة ان يعلن بركته النامية ورحمته الهامية اختار في كتابه

العزيز عبارتين مبينتين :

● الاولى : تتحدث عن البركة في مظهر القدرة التي تجمع ازمة الكون في يده فيستحيل ان يغلب يوما على امره او يشركه احد في ملكه ، وفي هذا المعنى يقول جل شانه « تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير » .

● والثانية : تتحدث عن البركة في صورة الرجل الذي حمل هداه الاخير الى عباده وتفجرت ينابيع الحكمة من بيانه وسيرته ، فكان القرآن الذي يتلوه مشرق شعاع لا ينطفي ، يهتدي على سناه اهل القارات الخمس ما بقي الليل والنهار . وفي هذا المعنى يقول جل شانه « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » (١) .

ان الانسان المبعوث رحمة للعالمين اشعل الامة التي ظهر في ربوعها فانطلقت لاول مرة من بدء الخليقة تحمل للناس الخير والعدل واستطاعت ان تؤدب جبابرة الارض الذين عاثوا في ارجائها فسادا وظنسوا ان كبرياءهم لن يخدشها احد !

حتى جاء الرجال الذين رباهم محمد فقوموا صعر المعتدين واعزوا جانب المستضعفين ، وكم تحتاج الدنيا في يوم الناس هذا الى هذا الطراز من الرجال ليحموا الحق الذليل وينقذوا التوحيد المهان ويقروا الاخوة الانسانية المنكورة وينزلوا البيض الى منزلة السود او يرفعوا السود الى منزلة البيض . .

لكن السقطة الرهيبة للعرب المعاصرين انهم ذاهلون عن المكانة التي منحهم محمد اياها هابطون عن المستوى الذي شدهم اليه ، وفيهم من يفتح فمه ليقول : ان العرب يمكن ان يكونوا شيئا من غير محمد !!

قبح الله وجهك من قائل افاك . .

ومن أيام جاءني نفر من العامة متنازعون على ادارة مسجد : بعضهم يريد ان يقول في الاذان : « اشهد ان « سيدنا » محمدا رسول الله » .

والآخر يريد الاكتفاء بالوارد فلا يذكر لفظ « سيدنا » لانه مبتدع .

ونظرت الى أعراض المرض الذي يفتك بالامة المعتلة ، وقلت لهم : ان محترفي الافك من المبشرين والمستشرقين ملأوا اقطار العالم بالافتراء على محمد وشخصه ودينه ، ورسموا له صورة مشوهة في اذهان الكثيرين وانتم هنا لا تزالون في هذا الغباء .

ما اشقى دينا انتم اتباعه ، ان المسلمين بين ما ورثوا من جهل وما نضح عليهم من ضلال العصر لا يزالون يهرفون بما لا يعرفون . .

. . ان حب محمد يوم يكون لقبا يضفيه عليه الكسالى الواهنون فهو حب لا وزن له ، ولا اثر ! ويوم يكون احفالا رسمية وشعبية بيوم ميلاده فهو

---

(١) الفرقان .

حب لا وزن له ولا اثر ! ويوم يكون قراءة للكتاب المنزل عليه في مواكب الموت ومجالس العزاء فهو حب لا وزن له ولا اثر ويوم يكون ادعاء تستر به الشهوات الكامنة والطباع الفلاظ فهو حب لا وزن له ولا اثر .. لان محمدا هو الرسول الذي رسم للبشر طريق التسامي الحقيقي . ورسم للجماعات طريق التلاقي على الحقائق والفضائل فدسه عقل يأبى الخرافة وقلب يعلو على الاهواء .

- ماذا كسب المسلمون عندما حولوا الدين من موضوع الى شكل ؟
- وماذا كسب العرب عندما شموا طريقهم الى المستقبل وهم يطوون اسم محمد وتراثه عن نشاطه السياسي والعسكري ؟

ولو نظرت الى هذه الالوف المؤلفة من الكنائس والمعابد لوجدت داخلها اجهزة منظمة دوارة تعمل من غير ملل لصرف الناس عن الاسلام ونسبة اقبح النعوت الى نبيه المبرأ الشريف ..

وكأن الله تبارك اسمه شاء ان يعرف هذه الامم مدى ما كانت فيه من غباوة وأن يذيقها شيئا من مرارة الجريمة التي ارتكبتها ، فهو في ساحة العرض الشامل لاصناف الخلائق يحشر سكان القارات الخمس على مر القرون يحشرهم في صعيد واحد ، ثم يكشف الغطاء عن عيونهم واذاهم يتبينون فداحة جهلهم بالله الكبير المتعال ، ويتبينون شناعة خصامهم لامام رسله ..

وهنا (يموج بعضهم في بعض ، ويضطربون في حيرة مفزعة لا يرجى منها خلاص ، وتتحرك جموعهم الى كل نبي سمعوا باسمه في العالم الذي انتهى يناشدونه ان يسأل الله لهم الرحمة ، ولكن النبيين كلهم يرفضون التصدي لهذا المطلب ويعود اهل القارات الخمس متراكضين الى الرجل الذي طالما قيل لهم انه كذاب ، انهم يحسون الآن عن يقين انهم اخطأوا في حقه ، وانهم يوم صدوا عنه كانوا يخسرون انفسهم واهليهم ..!؟

الشفاعة العظمى في رأيي موقف يحاكم فيه التاريخ البشري كله ليعترف ان انصرافه عن الاسلام كان مشاقة لله وعداء لاحب اوليائه واصدق دعاته..

وما اعجب أن تجد الانسانية نفسها في حرج يوشك ان يقضي عليها ثم تعلم فجأة أن التنفيس عن كرباتها ربما تم باللجوء الى الرجل الذي عاشت دهورا ، وهي تروي عنه الاكاذيب وتنسب اليه الاساطير .

والتجاء اهل الارض الى محمد في هذه الساعة العصيبة ولجوؤه الى الله يطلب مغفرته لعبيده الاغرار ، ذلك في ظني هو المقام المحمود ، المقام الذي

---

(١) كتبنا هذا الكلام في كتابنا « من هنا نعلم » من ثلث قرن .

(٢) يشير شيخنا الى حديث الشفاعة الطويل الذي رواه الامام احمد ، والبزار ، وابو يعلى ، وابن حبان في صحيحه راجع الترغيب (٢٣٥/٤) .

سأله لمحمد عقب كل أذان تردد صداه في مهاب الريح ليستجيب له من يوم وينصرف عنه آخرون « اللهم رب هـذه الدعوة التامـة والصلاة القائمة آت « محمدا » الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته »

قلت ان محمدا في عالم العقائـد والحقائـق شمس وضاحة نعاحة لكن العميان كثيرون، وقد مكث هذا الرسول النبيل يصدع بامر الله وينقذ الناس من اهوائهم ومظالمهم ، ثم ذهب الى الرفيق الاعلى تاركا فينا تراثه الجليل من كتاب وسنة ، فليتعلم الدعاة من حياة سيد الدعاة ان اجـر الحـق المبذول لا يعجل في الدنيا ، وان للمقام المحمود موعدا في غير هذه الدار يتعلق به وحده الدعاة الابرار .

● **مشهورون ومجهولون :**

اعجبني في اليمين التي حلف عليها انس بن النضر ان الرجل كان يشهد الله وحده ، وينشد اولا وآخرا رضاه

لقد احزنه ان الله لم يره في ميدان القتـال ببـدر فأقسم ان يري اللـه نفسه في أول لقاء بالكافرين - وان يضرب اعلى مثل في التفاني والاستبسـال .

« وذلك في ذات الاله وان يشأ　　يبارك على اوصال شلو ممزع »

لم يدر في خلد انس تطلع الى جاه او تشوق الى شهرة .

كان الرجل ازكى نية وأشرف نفسا من ان يلم بهذه الدنايا .

والعمل لا يوصف بالصلاح ولا يرشح للقبول الا اذا خلص للـه وحده ، وقصد به وجهه .

روى أحمد بن حنبل عن محمود بن لبيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان اخوف ما أخاف على امتي الشرك الاصغر ، قالوا : وما الشرك الاصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء !

يقول الله عز وجل – للمرائين – اذا جـزى اللـه الناس بأعمالهم : « اذهبوا الى الذين كنتم تراءون في الدنيا ، فانظروا : هـل تجدون عندهم جـزاء ؟ » .

والواقع انه لا جزاء عندهم لا في الآخرة ولا في الدنيا ، فماذا يرجو عبد من عبد الا ان يزداد ذلا ؟ وماذا يطلب فقير من فقير الا ان يزداد عيلة !

ان الاخلاص لله سياج العز وضمان الخير في الحياتين .

وعندما تصدق النية فلا يخشى على العبد من مجاهرة بصلاة او جهاد او صدقة ، اذ الاساس استهداف وجه الله ، وليس على البال غيره .

ومن الحماقة ان يطلب انسان ثناء الخلق وهو يعلم ان الله قد ستر عليه ذنوبا لو كشفوها لسوّدوا وجهه !!

الله اولى بالاتجاه والمودة واحق بالحفاوة والالتفات . .

ومن عظمة الايمان اكتفاء المرء بنظر اللـه اليـه ، وايثاره ان يعمل في صمت ، او يموت جنديا مجهولا ، وهـذا الاكتفاء دلالـة استغراق المـرء في الشهود الالهي . ورسوخ قدمه في مقام الاحسان　وتلـك هـي الولاية كـما

شرحها معاذ بن جبل رضوان الله عليه .

روى ابن ماجه ان عمر بن الخطاب خرج الى المسجد فوجد معاذا عند قبر الرسول صلى الله عليه وسلم يبكي ! فقال ما يبكيك ؟ قال : حديث سمعته من رسول الله : « اليسير من الرياء شرك ، ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة ، ان الله يحب الابرار الاتقياء الاخفياء ، الذين ان غابوا لم يفتقدوا ، وان حضروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة » .

اجل ان الله يحب اولئك العاملين في صمت ، الزاهدين في الشهرة والسلطة ، المشغولين باللباب عن القشور ، المتعلقة قلوبهم بالله ، لا تحجبهم عنه فتنة ولا تغريهم متعة .

وما افقر امتنا الى هذا الصنف المبارك ، بهم ترزق وبهم تنصر .

الا ان بعض العبادات الاصلية ما تتم الا في جو العلانية والظهور كالتعليم والدعوة والقضاء والجهاد ، بل ان قيام الاركان الاساسية يتطلب ذلك ، وهنا نؤكد خطورة النية المصاحبة في تقويم اي عمل صحة وقبولا .

وقد كان ابو بكر يقوم الليل فيقرأ سرا ، وكان عمر يقوم فيقرأ جهرا ، فلما سئل الصديق قال : اسمعت من اناجي ! ولما سئل الفاروق قال أوقظ الوسنان واطرد الشيطان !!

ان اخلاص النية هنا وهناك يجعل السر والعلن سواء .

وذلك ما ينبغي ان يعيه الدعاة والقضاة والساسة والقادة ، وكل من يحملون مؤنة الآخرين ، او يكونون في موضع الاسوة

والاخلاص لا يمنع المسلم من الاهتمام بنفسه وسمعته وكرامته .

ان الله كلفنا أن نجمل ابداننا وملابسنا ، وكره لنا رثاثة الهيئة وكآبة المنظر في الاهل والمال ، فليس من الرياء ان نصون احوالنا ونحصن مكاناتنا من الظنون والمكدرات !

من حق الكريم الا يتهم بالبخل كما ان من حق النظيف الا يرمى بالادران .

لكن الدفاع عن الكيان المادي والمعنوي شيء وطلب وجوه الناس بالعمل الصالح شيء آخر .

وقد خلد القرآن الكريم ذكر فريقين من الهداة الاتقياء :

- احدهما : سجل اسماءه وجهاده واثنى على رجاله اطيب الثناء .
- والآخر : طوى اسماءه ونشر سيرته واكتفى بشرح عمله وتزكية اثره .

من الاولين انبياء الله الكرام الذين غرسوا هدايات السماء في الارض ، وذادوا عنها اوبئة الكفر والعدوان .

والقرآن عندما يثبت تاريخا لا يعنى الا بابراز المناقب التي تؤخذ منها الاسوة ، والفضائل التي سبقت بذويها واعلت اقدارهم !

تدبر قوله تعالى « واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب أولي

الايدي والابصار ، انا اخلصناهم بخالصه ذكرى الـدار ، وانهـم عندنا لمـن المصطفين الاخيار » ١ ان هذه الآيات تنبه الـى الاستطالة المادية والمعنوية لهؤلاء الدعاة الكبار . فليست الايدي والابصار هذه الاعضاء والحواس التـي يشترك فيها العباقرة والدهماء ، ولكنها القدره والمعرفه !

وهل يتقدم من يتقدم ، ويتاخر من يتاخر الا بهذا التفاوت البعيد فـي الهمم والثقافات ؟!

وندع الحديث عن هذا الفريق الذي رفع الله ذكره الـى الفريق الآخر الذي اسدل على اسماء رجاله ستار كثيف فما يعرفهم الا ربهم .

من يدري ؟ لعل هذا تكريم وتثبيت للذين يعملون حتى الممات بعيدا عن الاضواء ، انهم اسمعوا من يناجون ! ولن يضيع مـــن عملهم مثقال ذرة وان جهل الناس من هم ؟

لهم اسوة حسنة فيمن حكى القرآن انباءهم وتـــرك ــ غير نسيان ــ اسماءهم .

من هؤلاء مؤمن آل فرعون الذي احس نية الغدر بموسى والتآمر عـلى قتله ، فاصطنع اسلوب المحايد في عرض نصحه وتفكيره قائلا :

ما خطورة ان يؤمن احد بالله ، او يزعم انه يحمل رسالة من لدنه :

- ان كان كاذبا فستفضحه الايام ، ولن يضر الا نفسه .
- وان كان صادقا فان العدوان عليـــه استهداف لعقاب اللـــه الكبير ، وليس من العقل التعرض لعقاب الله .

واستتلى يقول : قد تكون اليوم اقوياء غالبين ، ولكننا بشر لا نفلت من اصابع القدرة العليا عندما تقبض علينا فلا ينبغي ان نجور على عباد الله . .

قال تعالى مخلدا دفاع هذا المحامي المؤمن :

« وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله ، وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم . ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب. يـا قوم لكم الملـــك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا . . قال فرعـــون ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد » ٢ .

واحب ان اقف قليلا عند رد فرعون : هـــل كان الرجل يعتقد فعلا انـه راشد ، ام انه كان يحاد الله ورسوله وهو يدري انه مبطل عنيد ؟

الواقع ان كثيرا من الضالين يمضون في طريق الغواية وهم يستحسنونها ويستريحون اليها ويعتقدون ان لهم وجهة نظر جديرة بالتسليم .

وفي هؤلاء يقول الله تعالى : « ان الذيـــن لا يؤمنون بالآخرة زينـــا لهم اعمالهم فهم يعمهون » ٣ ويقول « افمن كان على بينة من ربـــه كمن زين لـــه

---

(١) ص : ٤٧ .

(٢) غافـر : ٢٩ .

(٣) النمل : ٤ .

سوء عمله واتبعوا اهواءهم » ١ .

ويقول المفسرون في قوله تعالى « ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » نزلت الآية في ابي جهل عندما قاد المشركين في معركة بدر ، فقد قال لما التقى الجمعان : اللهم اينا كان افجر قاطعا للرحم ــ يعني نفسه ومحمدا ــ فاحفه اليوم اي اهلكه ..

فكأن هذا الكفور الكنود كان الى الرمق الاخير يعتقد انه محق فيما ارتكب !!

ان الحجاب المسدل على بصيرته لم يسمح لشعاع من الخير ان يتسلل الى نفسه ، وهو المسئول عن ذلك الطمس ، فلولا ادمان المعصية وتعود الجريمة ، ما أصابه هذا العمى !

وقد يكون كلا الرجلين « فرعون » و « ابو جهل » كاذبا في حديثه عن نفسه وحواره مع قومه فمثلهما من الدهاء والقدرة بحيث يدري انه مسترسل مع هواه ، وانه يكابر الحقائق ، ويشاق الله ورسله .

وقد كشف القرآن الكريم في موضع آخر ان فرعون وقومه لما جاءتهم آيات الله الباهرة « جحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا » ٢ كما قال لرسوله محمد شارحا موقف أبي جهل واشباهه « انهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » ٣ .

وقد كان مؤمن آل فرعون يحس انه امام جماعة من الافاكين المغرورين، فاخذ رويدا رويدا يتخلى عن موقف الحياد الذي بدأ به نصائحه وارتفعت درجة الحماس في خطابه لفرعون ومن معه خصوصا عندما قال فرعون ساخرا لوزيره هامان : « ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب ، اسباب السموات فاطلع الى اله موسى ، واني لاظنه كاذبا .. » ٤

عندئذ احتدت لهجة الرجل المؤمن واضطرم الاخلاص في قلبه ولسانه فصاح « يا قوم مالي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار .. »

وقال : لا جرم ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وان مردنا الى الله وان المسرفين هم اصحاب النار فستذكرون ما اقول لكم وافوض امري الى الله » ٥ .

ولكن هذه المناشدة الخالصة الحادبة لم تلق آذانا واعية فمضى فرعون الى مصرعه ، واورد قومه الحتوف ، وبقي النصح الجميل الصادق الذي بذله الرجل المؤمن خالدا على الدهر يكشف عن أسرار القدرة العليا فيما انزلت بالظالمين .

---

(١) محمد : ١٤ . (٢) النمل : ١٤ (٣) الانعام : ٣٣ . (٤ و٥) غافر .

من هذا الرجل الذي يردد كلام الانبيــــاء وليس منهم ؟ لا نعرفه ، ولا نعرف عن مولده ومماته شيئا .

ليكن رمزا للعمل بعيدا عن الاضواء ، استعلاء على الشهرة في الارض ، وايثار العقبى في السماء !!

وهذا رجل آخر من الطراز عينه ، رجل وجد العراك محتدما بين رسل الله وحماة الانحراف ، هؤلاء يريدون ان يبلغوا عن الله ويغيروا الشر السائد، واولئك يريدون تكميم افواههم واخراس السنتهم ..

ونما الخصام بين الفريقين ، وبلغ الامر بأعداء الوحي ان تشاءموا مــن وجود المرسلين بينهم ، ومن دعوتهم فيهم ، فتهددوهم بالعذاب الاليم .

وجاء الرجل المؤمن من بعيد يهيب بقومه أن يعقلوا !

وقال : « يا قوم اتبعوا المرسلين ، اتبعوا مـــن لا يسألكم اجـرا وهم مهتدون » (1) .

لقد أمن قومه على اموالهم فلن يرزاهم احد فيهــا ، وهــذه الدنيا التي يحرصون عليها ستبقى لهم مزدانة بالايمان الحق ، فما أجمل هذا !

ثم تساءل : ما يمنعنا من الايمان ؟ وما يغرينا بالشرك ؟

« ومالي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون أأتخذ مـن دونه آلهة ، ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون ، اني اذا لفي ضلال مبين اني آمنت بربكم فاسمعون » .

انه يريد اسماعهم ليعوا ويقتدوا ولا يستوحشوا مـن الطريق الذي يدعوهم اليه .

وبقي الرجل الى آخر رمق ينصح اهل بلده ليرشدوا ، بيـد انـه مات تاركا اياهم على غوايتهم .

فلما وجد طيب عيشه عند ربه وثمرة ايمانه تحف بـه وتقر عينه تذكر الرجل المخلص قومه فتمنى لهم الهدى « يــا ليت قومي يعلمــون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين » .

ولكن قومه أصروا على العمل فمستهم نفحة مـن عذاب اللــه اخمدت انفاسهم وجعلتهم اثرا بعد عين .

من هذا الرجل الطيب القلب السمح النفس ؟

لا نعرفه ، حسبه ان ربه يعرفه ، انه لم يعمل الا له !

والفتية اهل الكهف الذين احبوا ربهم حبا جما ، وغالوا بتوحيده مغالاة ظاهرة ، من هم ؟ لا ندري ، لقد رفض القرآن ان يجلو النقاب عن اشخاصهم وعددهم « ربهم اعلم بهم » « ربي أعلم بعدتهم » .

لكنه كشف عن جلال يقينهم وسمو معرفتهم بالله واجماعهم على افراده

---

(1) يس : ٢٦ .

بالعبادة ، وازدرائهم لكل انحراف الى الشرك « ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذن شططا » .

كما كشف عن تبرمهم اشديد بالمجتمع الوثني وعزوفهم عن البقاء فيه، وخشيتهم من العودة اليه اذا ضبطوا متلبسين بايمان !

وانظر مدى كراهيتهم للكفر ، والوقوع تحت سطوة اهله « يقول بعضهم لبعض « انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا ابدا » (١) !

ان العيش بمبدأ كريم ولمبدأ كريم شيء عظيم حقا .

وانما يتفجر الفداء والاخلاص من عمق هذه الحياة الرفيعة .

والامة العربية فتكت بها امراض الرياء ، وعلل التعاظم الاجوف والرغبة في الظهور بالحق او بالزور ، ولا يمكن ان تنهض امة مع هذه الادواء الخسيسة !

اننا بحاجة الى اعداد كبيرة من الجنود المجهولين ، يعملون في الف ميدان ، ويسدون الف الف ثغرة .

فهل يوجد من يكتفون بنظر الله اليهم ، ويستغنون عن انظار الناس ؟

● **التنادي بالجهاد المقدس :**

في صدر تاريخنا ، وعلى امتداده مع الزمن ، كان العالم الاسلامي يعرف بحبه للجهاد وارتضائه لأشق التضحيات كي يحق الحق ويبطل الباطل .

كان هذا العالم الرحب عارم القوى الادبية والمادية حتى يئس المعتدون من طول الاشتباك معه ، فقد كسح جماحهم ، وقلم اظفارهم ورد فلولهم مذعورة من حيث جاءت ، او الحق بهم من المغارم والآلام ما يظل بينهم عبرة متوارثة وتأديبا مرهوبا . .

ويرجع ذلك الى امور عدة :

أولها أن الحقائق الدينية عندنا لا تنفك ابدا عن اسباب صيانتها ودواعي حمايتها ، فهي مغلفة بغطاء صلب يكسر انياب الوحوش اذا حاولت قضمها .

وذلك هو السر في بقاء عقائدنا سليمة برغم المحاولات المتكررة لاستباحتها ، تلك المحاولات التي نجحت في اجتياح عقائد اخرى او الانحراف بها عن اصلها .

ثم ان الاسلام جعل حراسة الحق ارفع العبادات اجرا ، أجل فلولا يقظة اولئك الحراس وتفانيهم ما بقي للايمان منار ، ولا سرى له شعاع « قيل يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله ؟ قال : لا تستطيعونه ! فاعادوا عليه مرتين او ثلاثة ، كل ذلك يقول لا تستطيعونه ! ثم قال : مثل

---

(١) الكهف : ٢٠ .

المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام .. حتى يرجع المجاهد في سبيل الله » ١ .

واذا كان فقدان الحياة امرا مقلقا لبعض الناس فان ترك الدنيا بالنسبة لبعض المجاهدين بداية تكريم الهي مرموق الجلال شهي المنال حتى ان النبي صلى الله عليه وسلم حلف يرجو هذا المصير .

والذي نفس محمد بيده لوددت ان اغزو في سبيل الله فاقتل ثم اغزو فاقتل ثم اغزو فاقتل ٢ » .

فأي اغراء بالاستماتة في اعلاء كلمة الله ونصرة الدين اعظم من هذا الاغراء ؟

لقد كانت صيحة الجهاد المقدس قديما تجتذب الشباب والشيب وتستهوي الجماهير من كل لون ، فاذا سيل لا آخر له من أولي الفداء والنجدة يصب في الميدان المشتعل . فما تضع الحرب اوزارها الا بعد ان تكوي اعداء الله وتلقنهم درسا لا ينسى .

هل اصبحت هذه الخصائص الاسلامية ذكريات مضت ام انها محفورة في عقلنا الباطن تحتاج الى من يزيل عنها الغبار وحسب ؟

ان الاستعمار الذي زحف على العالم الاسلامي خلال كبوته الاخيرة بذل جهودا هائلة لشغل المسلمين عن هذه المعاني أو لقتل هذه الخصائص النفسية في حياتهم العامة ، وذلك ليضمن فرض ظلماته ومظالمه دون أية مقاومة !

وقد توسل الى ذلك بتكثير الشهوات امام العيون الجائعة ، وتوهين العقائد والفضائل التي تعصم من الدنايا ، وابعاد الاسلام شكلا وموضوعا عن كل مجال جادة ، وتضخيم كل نزعة محلية او شخصية تمزق الاخوة الجامعة وتوهي الرباط العام بين اشتات المسلمين .

وقد اصاب خلال القرن الاخير نجاحا ملحوظا في سبيل غايته تلك ..

ومن ثم لم تنجح محاولات تجميع المسلمين لصد العدو الذي جثم على ارضهم واستباح مقدساتهم ..

وما قيمة هذا التجميع اذا كان الذين ندعوهم قد تحللوا من الايمان وفرائضه ، والقرآن واحكامه .

ان تجميع الاصفار لا ينتج عددا له قيمة !!

وان الجهد الاول المعقول يكمن في رد المسلمين الى دينهم ، وتصحيح معالمه ومطالبه في شئونهم ، ما ظهر منها وما بطن ..

عندئذ يدعون فيستجيبون ويكافحون فينتصرون ، ويحتشدون في معارك الشرف فيبتسم لهم النصر القريب وتتفتح لهم جنات الرضوان .

(١ و ٢) الحديثان من رواية البخاري .

ان الرجل ذا العقيدة عندما يقاتل لا يقف دونه شيء .

اعجبتني هذه القصة الرمزية الوجيزة ، اسوقها هنا لما تنضح به من دلالة رائعة :

« حكوا عن قوم فيما مضى كانوا يعبدون شجرة من دون الله ، فخرج رجل مؤمن من صومعته واخذ معه فاسا ليقطع بها هذه الشجرة ، غيرة للدين وحمية لدينه ! فتمثل له ابليس في صورة رجل وقال له : الى اين انت ذاهب ؟ قال : اقطع تلك الشجرة التي تعبدون من دون الله ، فقال له : اتركها وانا اعطيك درهمين كل يوم ، تجدهما تحت وسادتك اذا استيقظت كل صباح !

فطمع الرجل في المال ، وانثنى عن غرضه ، فلما اصبح لم يجد تحت وسادته شيئا ، وظل كذلك ثلاثة ايام ، فخرج مغضبا ومعه الفاس ليقطع الشجرة ! قال ارجع فلو دنوت منها قطعت عنقك .

لقد خرجت في المرة الاولى غاضبا لله فما كان احد يقدر على منعك ! اما هذه المرة فقد اتيت غاضبا للدنيا التي فاتتك ، فما لك مهابة ، ولا تستطيع بلوغ اربك فارجع عاجزا مخذولا .. »

ان الغزو الثقافي للعالم الاسلامي استمات في محو الايمان الخالص وبواعثه المجردة ، استمات في تعليق الاجيال الجديدة بعرض الدنيا ولذة الحياة ، استمات في ارخاص المثل الرفيع وترجيح المنافع العاجلة ..

ويوم تكثر النماذج المعلولة من عبيد الحياة ومدمني الشهوات فان العدوان يشق طريقه كالسكين في الزبد ، لا يلقى عائقا ولا عنتا ..

وهذا هو السبب في جؤارنا الدائم بضرورة بناء المجتمع على الدين وفضائله ، فان ذلك ليس استجابة للحق فقط ، بل هو السياج الذي يحمينا في الدنيا كما ينقذنا في الآخرة ..

ان ترك صلاة ما قد يكون اضاعة فريضة مهمة ، واتباع نزوة خاصة قد تكون ارتكاب جريمة مخلة ، لكن هذا او ذاك يمثلان في الامة المنحرفة انهيار المقاومة المؤمنة والتمهيد لمرور العدوان الباغي دون رغبة في جهاد او امل في استشهاد ، ولعل ذلك سر قوله تعالى « فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوت فسوف يلقون غيا » [1] .

ان كلمة الجهاد المقدس اذا قيلت ــ قديما ــ كان لها صدى نفسي واجتماعي بعيد المدى ، لأن التربية الدينية رفضت التثاقل الى الارض والتخاذل عن الواجب ، وعدت ذلك طريق العار والنار وخزي الدنيا والآخرة.

وهذه التربية المغالية بدين الله ، المؤثرة لرضاه ابدا هي التي تفتقر اليها امتنا الاسلامية الكبرى في شرق العالم وغربه .

---

(1) مريم : ٥٩ .

وكل مؤتمر اسلامي لا يسبقه هذا التمهيد الحتم فلن يكون الا طبلا اجوف !

والتربية الدينية التي ننشدها ليست ازورارا عن مباهج الحياة التي تهفو اليها نفوس البشر ، ولكنها تربية تستهدف ادارة الحياة على محور من الشرف والاستقامة ، وجعل الانسان مستعدا في كل وقت لتطليق متعه اذا اعترضت طريق الواجب .

كنت اقرا مقالا مترجما في ادب النفس فاستغربت للتلاقي الجميل بين معانيه وبين مواريثنا الاسلامية المعروفة التي يجهلها للاسف كثير من الناس.

تأمل معي هذه العبارة :

« يقول جوته الشاعر الالماني : من كان غنيا في دخيلة نفسه فقلما يفتقر الى شيء من خارجها ! »

اليس ذلك ترجمة امينة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس » (1) !

عن ابي ذر رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ترى كثرة المال هو الغنى ؟ قلت نعم يا رسول الله ! قال : فترى قلة المال هو الفقر ؟ قلت : نعم يا رسول الله . قال : انما الغني غني القلب والفقر فقر القلب » . .

واسمع هذه العبارة من المقال المذكور : النفس هي موطن العلل المضنية ، وهي الجديرة بالعناية والتعهد ، فاذا طلبت منها أن تسوس بدنك سياسة صالحة فاحرص على ان تعطيها من القوت ما تقوى به وتصح .

هذا القوت شيء آخر غير الاخبار المثيرة والملاهي المغرية والاحاديث التافهة والملذات البراقة التافهة ، ثم انظر اليها كيف تقوى بعد وتشتد ، ان التافه الخسيس مفسدة للنفس ! واعلم ان كل فكرة تفسح لها مكانا في عقلك، وكل عاطفة تتسلل الى فؤادك تترك فيك اثرها ، وتسلك بك احد طريقين : اما أن تعجزك عن مزاولة الحياة واما ان تزيدك اقتدارا واملا . .

اليس هذا الكلام المترجم شرحا دقيقا لقول البوصيري :

واذا حلت الهداية نفسا : نشطت للعبادة الاعضاء !

وتمهيدا حسنا لقول ابن الرومي :

امامك فانظر اي نهجيك تنهج : طريقان شتى مستقيم واعوج .

واقرا هذه الكلمات ايضا في المقال المترجم : رب رجل وقع من الحياة في مثل الارض الموحلة فكادت تبتلعه ، ولكنه ظل يجاهد للنجاة مستيئسا ، وبينا هو كذلك انهارت قواه وشق عليه الجهاد واسرعوا بـه الى الطبيب . . الطبيب لم يجد بجسده علة ظاهرة . كل ما يحتاج اليه الرجل ناصح يعلمه

---

(1) البخاري .

كيف ينازل الحياة وجها لوجه لا تثنيه عقبة ولا رهبة .

ان هذا الكلام يذكرني بما روي **عن جعفر الصادق : من طلب ما لم يخلق تعب ولم يرزق ! قيل وما ذاك ؟ قال : الراحة في الدنيا .**

وانشدوا :

يطلب الراحة في دار الفنا   خاب من يطلب شيئا لا يكون

ان التربية التي ننشدها نحن المسلمين ليست بدعا من التفكير الانساني الراشد ، انها صياغة الاجيال في قوالب تجعلها صالحة لخدمة الحق واداء ضرائبه ، واحتقار الدنيا يوم يكون الاستمساك بها مضيعة للايمان ومغاضبة للرحمن ..

والاستعمار يوم وضع يده على العالم الاسلامي من مائة سنة صب الاجيال الناشئة في قوالب اخرى ، نمت بعدها وهي تبحث عن الشهوات وتخلد الى الارض ، فلما ختلها عن دينها بهذه التربية الدنيئة استمكن من دنياها فامست جسدا ونفسا لا تملك أمرها ، ولا تحكم يومها ولا غدها ..

بل انها في تقليدها للعالم الاقوى تقع في تفاوت مثير :

عندما ننقل المباذل ومظاهر التفسخ في الحضارة الغربية ننقلها بسرعه الصوت ، اما عندما ننقل علما نافعا وخيرا يسيرا فان ذلك يتم بسرعة السلحفاة .

وكثير من الشعوب الاسلامية تبيع ثرواتها المعدنية والزراعية باكوام من المواد المستهلكة وادوات الزينة والترف مع فقرها المدقع الى ما يدفع عنها جشع العدو ونياته السود في اغتيالها وابادتها !

وظاهر ان هذا السلوك استجابة طبيعية لاسلوب التربية الذي اخذت به منذ الصغر ، واثر محتوم لاتخاذ القرآن مهجورا ، ونبذ تعاليمه وقيمه ، وهل ينتج ذلك الا طفولة تفرح باللعب المصنوعة والطرف الجديدة والملابس المزركشة ، والمظاهر الفارغة ؟

ولا باس بعد توفير هذا كله من استصحاب بعض الآثار الدينية السهلة !

ولتكن هذه الآثار الاحتفال بذكرى قديمة او زيارة قبر شهير !

ثم يسمى هذا السلوك التافه تدينا !

لقد جرب المسلمون الانسلاخ عن دينهم واطراح آدابه وترك جهاده فماذا جرّ عليهم ذلك ؟ حصد خضراءهم في الاندلس فصفرت منهم بلاد طالما ازدانت بهم وعنت لهم ، وما زال يرنّ في اذني قول الشاعر :

قلت يوما لدار قوم تفانوا   اين سكانك العزاز علينا ؟

فاجابت هنا اقاموا قليلا   ثم ساروا ولست اعلم اينا !

اسمعت هذا النغم الحزين يروي في اقتضاب عقبى اللهو واللعب عقبى

---

(١) المختار . مختصرة عن مجلة « ذي فورم » .

اضاعة الصلوات واتباع الشهوات . ان عرب الاندلس لم يتحولوا عن دارهم طائعين ولكنهم خرجوا مطرودين .

افلا يرعوي الاحفاد مما أصاب الاجداد ؟

لقد قرات انباء مؤتمرات عربية واسلامية كثيره اجتمعت لعلاج مشكلة فلسطين ، فكنت ادع الصحف جانبا ثم اهمس الى نفسي : هنالك خطوة تسبق كل هذا ، خطوة لا غنى عنها ابدا :

هي ان يدخل المسلمون في الاسلام ..

انني المح في كل ناحية استهانة بالفرائض . وتطلعا الى الشهوات . وزهادة في المخاطرة والنقب وايثار للسطوح على الاعماق والاشكال عن الحقائق ، وهذه الخلال تهدم البناء القائم فكيف تعيد مجدا تهدم او ترد عدوا توغل ..؟

ما احرانا ان نعقل التحذير النبوي الكريم « انما اخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى » فاذا اصغينا الى هذا النذير ابتعدنا عن منحدر ليست وراءه الا هاوية لا قرار لها ، ثوى فيها قبلنا المفرطون والجاحدون .

● دين زاحف مهما كانت العوائق :

كلما قرات ابواب الفتن في كتب السنة شعرت بانزعاج وتشاؤم واحسست ان الذين اشرفوا على جميع هذه الاحاديث قد أساءوا ـ من حيث لا يدرون ومن حيث لا يقصدون ـ الى حاضر الاسلام ومستقبله !

لقد صوروا الدين وكانه يقاتل في معركة انسحاب ، يخسر فيها على امتداد الزمن اكثر مما ربح !

ودونوا الاحاديث مقطوعة عن ملابساتها القريبة فظهرت وكانها تغري المسلمين بالاستسلام للشر ، والقعود عن الجهاد ، واليأس من ترجيح كفة الخير لان الظلام المقبل قدر لا مهرب منه .

وماذا يفعل المسلم المسكين وهو يقرا حديث انس بن مالك الذي رواه البخاري عن الزبير بن عدي قال شكونا الى انس بن مالك ما نلقى من الحجاج فقال : اصبروا فانه لا يأتي عليكم زمان الا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم ، سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم » !!

وظاهر الحديث ان أمر المسلمين في ادبار ، وان بناء الامة كلها الى انهيار على اختلاف الليل والنهار !

وماذا يفعل المسلم المسكين وهو يقرا حديث أنس بن مالك الذي رواه نذكرها ، كما يخالف الاحداث التي وقعت في العصر الاموي نفسه !

فقد جاء الوليد بن عبد الملك فمد رقعة الاسلام شرقا حتى احتوت اقطارا من الصين وامتدت رقعة الاسلام غربا حتى شملت اسبانيا والبرتغال وجنوب فرنسا .

ثم تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز فنسخ المظالم السابقة ، واشاع الرخاء حتى عز على الاغنياء ان يجدوا الفقراء الذين ياخذون صدقاتهم !

ولقد اتى بعد انس بن مالك عصر الفقهاء والمحدثين الذين احيوا الثقافة الاسلامية وخدموا الاسلام اروع واجل خدمة ، فكيف يقال : ان الرسالة الاسلامية الخاتمة كانت تنحدر من سيء الى اسوأ ؟؟ هذا هراء .

الواقع ان انسا رضي الله عنه كان يقصد بحديثه منع الخروج المسلح على الدولة بالطريقة التي شاعت في عهده ومن بعده ، فمزقت شمل الامة ، والحقت باهل الحق خسائر جسيمة ، ولم تنل المبطلين باذى يذكر .

● وانس بن مالك اشرف دينا من ان يمالىء الحجاج او يقبل مظالمه ، ولكنه أرحم بالامة من ان يزج باتقيائها وشجعانها في مغامرات فردية تاتي عليهم ، ويبقى الحجاج بعدها راسخا مكينا !

● وتصبيره الناس حتى يلقوا ربهم ـ اي حتى ينتهوا هم ـ لا يعني ان الظلم سوف يبقى الى قيام الساعة ، وان الاستكانة الظالمة سنة ماضية الى الابد !

ان هذا الظاهر باطل يقينا ، والقضية المحدودة التي افتى فيها انس لا يجوز أن تتحول الى مبدأ قانوني يحكم الاجيال كلها . .

لقد سلخ الاسلام من تاريخه المديد اربعة عشر قرنا ، وسيبقى الاسلام على ظهر الارض ما صلحت الارض للحياة والبقاء وما قضت حكمة الله ان يختبر سكانها بالخير والشر .

ويوم ينتهي لاسلام من هذه الدنيا فلن تكون هذه دنيا لان الشمس ستنطفىء والنجوم ستنكدر ، والحصاد الاخير سيطوي العالم اجمع !

فليخسأ الجبناء دعاة الهزيمة وليعلموا ان الله أبى بدينه وعباده مما يظنون .

لقد ذكر لي بعضهم حديث « بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء »(١) وكانه يفهم منه ان الاسلام سينكمش ويضعف وان على من يسمع هذا الحديث ان يهادن الاثم ، ويداهن الجائرين ويستكين للافول الذي لا محيص عنه !

وايراد الحديث وفهمه على هذا النحو مرض شائع قديم .

ولو سرت جرثومة هذا المرض الى صلاح الدين الايوبي ما فكر في استنقاذ بيت المقدس من الصليبيين القدامى !

ولو سرت جرثومة هذا المرض الى سيف الدين قطز ما نهض الى دحر التتار في « عين جالوت » !

ولو سرت جرثومة هذا المرض الى زعماء الفكر الاسلامي في عصرنا

---

(١) رواه احمد وجماعة .

الحاضر ابتداء من جمال الدين الافغاني الى الشهداء والاحياء من حملة اللواء السامق ما فكروا ان يخطوا حرفا او يكتبوا سطرا !

وقلت في نفسي : أيكون الاسلام غريبا واتباعه الذين ينتسبون اليه يبلغون وفق الاحصاءات الاخيرة ثمانمائة مليون نفس ؟

يا للخذلان والعار !

الواقع أن هذا الحديث واشباهه يشير الى الازمات التي سوف يواجهها الحق في مسيرته الطويلة فان الباطل لن تلين بسهولة قناته بل ربما وصل في جرأته علي الايمان ان يقتحم حدوده ويهدد حقيقته ، ويحاول الاجهاز عليه !

وعندما تنجلي الظلماء عن رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، يقاومون الضلال بجلد ، ولا يستوحشون من جو الفتنة الذي يعيشون فيه ، ولا يتخاذلون للغربة الروحية والفكرية التي يعانونها ، ولا يزالون يؤدون ما عليهم لله حتى تنقشع الغمة ويخرج الاسلام من محنته مكتمل الصفحة ، بل لعله يستأنف زحفه الطهور فيضم الى أرضه ارضا والى رجاله رجالا .

وذلك ما وقع خلال اعصار مضت ، وذلك ما سيقع خلال اعصار تجيء ، وهذا ما ينطق به حديث الغربة الآنف ، فقد جاء في بعض رواياته :

« طوبى للغرباء الذين يصلحون ما افسد الناس من بعدي من سنتي » (١) فليست الغربة موقفا سلبيا عاجزا ، انها جهاد قائم دائم حتى تتغير الظروف الرديئة ويلقى الدين حظوظا افضل .

وليس الغرباء هم التافهون من مسلمي زماننا ، بل هم الرجال الذين رفضوا الهزائم النازلة وتوكلوا على الله في مدافعتها حتى تلاشت !

والفتن التي لا شك في وقوعها والتي طال تحذير الاسلام منها فتنة التهارش على الحكم والتقاتل على الامارة ومحاولة الاستيلاء على السلطة بأي ثمن ، وما استتبعه ذلك من اهدار للحقوق والحدود ، وعدوان على الاموال والاعراض . . وهذا المرض كان من لوازم الطبيعة الجاهلية التي عاشت على العصبية العمياء . .

والعرب في جاهليتهم الفوا هذا الخصام والتعادي فهم كما قال دريد بن الصمة :

يغار علينا واترين فيشتفى	بنا ان اصبنا او نغير على وتر
قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا	فما ينقضي الا ونحن على شطر

وما رواه أحمد عن تميم الداري يؤيده ما رواه عن المقداد بن الاسود قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يبقى على وجه الارض بيت مدر ولا وبر الا دخلته كلمة الاسلام يعز عزيزا ويذل ذليلا ، اما

---

(١) راجع في روايات الحديث كلها كتاب « غربة الاسلام » لابن رجب الحنبلي .

الذين يعزهم الله فيجعلهم من اهلها وأما الذين يذلهم الله فيدينون لها » [1] .

وكذلك ما رواه عن قبيصة بن مسعود : صلى هـذا الحي مـن محارب ـ اسم قبيلة ـ الصبح ، فلما صلوا قال شاب منهم : سمعت رسول اللـه صلى الله عليه وسلم يقول : « انه ستفتح لكم مشارق الارض ومغاربها ، وان عمالها ـ امراءها ـ في النار الا من اتقى وادى الامانة » .

ويقول صاحب المنار في نهاية تفسيره لقوله تعالى : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم .. » : اعلم ان الاستدلال بما ورد من اخبار وآثار في تفسير هذه الايـة لا يـدل هـو ولا غيره مـن احاديث الفتن على ان الامة الاسلامية قد قضي عليها بدوام ما هي عليـه لأن من الضعف والجهل كما يزعم الجاهلون بسنن الله ، اليائسون من روح الله ، بل توجد نصوص أخرى تدل عن ان لجوادها نهضة مـن هـذه الكبوة ، وان لسهمها قرطة بعد هذه النبوة كالآية الناطقة باستخلافهم في الارض ـ سورة النور ـ فان عمومها لم يتم بعـد ، وكحديث « لا تقـوم الساعة حتـى تعود ارض العرب مروجا وانهارا ، وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف الا ضلال الطريق » رواه احمد .

والشطر الاول منه لم يتحقق بعد ، ويؤيده ويوضح معناه ما صح عـن مسلم من أن ساحة المدينة المنورة سوف تبلغ الموضع الذي يقال له اهـاب ، اي أن مساحتها ستكون عدة اميال ، فكونوا يا قوم مـن المبشرين لا مـن المنفرين .

« ولتعلمن نبأه بعد حين » .

وخطأ كثير الشراح جاء من فهمهم ان تـرك الشر هـو غاية التدين وان اعتزال الفتن هو آية الايمان .

وهذا عجز سببه ضعف الهمة وسقوط الارادة .

واني لاذكر فيه قول المتنبي :

انـا لفي زمن تـرك القبيح بـه   مـن أكثر الناس احسان واجمال

اجل ، فان ترك الصغائر غير بلوغ الامجاد ، وتجنب التوافـه والرذائل غير ادراك العظائم وتسنم الهام ، والتلميذ الـذي لا يسقط شيء والـذي يحرز الجوائز شيء آخر !

والرسول الكريم عندمـا يامرنـا باعتزال الفتن لا ينهـي واجبنا عنـد هذا الحد ..

سوف يبقى بعد ذلك الاعتزال الواجب بناء الامة عـلى الحق ومـد شعاعاته طولا وعرضا حتى تنسخ كل ظلمة ..

---

(1) رواه ابن حبان كما في الزوائد للهيثمي رقـم (١٦٣١) وجماعـة راجـع الاحاديث الصحيحة للالباني (٧/١)

ولا نماري في ان تصدمات خطيرة أصابت الكيــان الاسلامــي قديمـــا وحديثا .. بيد أن الضعاف وحدهم هــم الــذين انزووا بعيدا يبكـــون ، ويتشاءمون ، وينتظرون قيام الساعة !!

اما الراسخون في العلم فقد اقبلوا على رتق الفتوق ، وجمع الشتات ، واعادة البناء الشامخ حتى يدركهم الموت أو القتـــل وهم مشتغلون بمرضاة الله ، حتى يبلغ الاسلام مواقع النور والظل من ارض الله او كما قال الرسول العظيم « ما بلغ الليل والنهار » ..

● **قال الانسان وقال الحيوان :**

نحن نعلم أن عددا من حملة الاقلام قــد صنعت رؤوسهم خارج هــذه البلاد ، وأن تصورهم لكثير من الحقائق وحكمهم في كثير من القضايا لا صلــة له بتراثنا ولا ارتباط له برسالتنا ، وان آخر ما يكترثون له او يهتمون به هو الاسلام وحاضره ومستقبله ، وان كانت اسماؤهم اسلامية .

وكنت أحسب ان معركة المصير بيننا وبين بني اسرائيل ستكرههم على مراجعة انفسهم وتصحيح أخطائهم ، ولكنني كنت واهما .

لقد استيقظ بنــو اسرائيــل وهاجت في دمائهــم غطرسة المــاضي ، وانحرافات التدين ولوثات التعصب ، وهجموا عــلى بلادنا يبغون محو امــة وحضارة ، وفي أيديهم كل ما استحدث العلم من ادوات الفتك !

وفي ملاقاة هذا العدوان تقرا لكاتب روايات مصري انــه مسرور مــن الجيل الحاضر لانه يحسن الرقص والغناء !

قبحك الله من كاتب مكفوف البصيرة !

وفي هذا الاتجاه الضرير ينشر كاتب آخر مقالات مسهبة عن « الشخصية المصرية » يمهد فيها طريق الشهوة ويرسم لها الاهداف الوضيعة .

وتستغرب وانت تقرا في صحيفة الاهــرام مقالاته ، في اي عصر يعيش هذا الكاتب ، ولاي جيل يكتب ؟

نعم لقد ذهب « توفيق الحكيم » الــى باريس لا ليسال : كيف دخــل الفرنسيون النادي الذري ؟ ولا ليبحث كيف يحاول جواسيس الصهيونيــة سرقة اسرار طائرات « الميراج » ؟ ولا ليحقق كيف اقامت فرنسا قــوة ثالثة تريد ان تضارع جبابرة الارض ؟ لا . . ان شيئا من ذلك لا يعنيه .

انه ذهب ليزيد القراء العرب فهما في الامور الجنسية ، وليمــد حريق الشهوات بوقود جديد يأتي على الاخضر واليابس . .

ذكر لنا الكاتب الجاد الناضج كيف ان زوجين لــم يحسنا الوقــاع ! وكيف ان طبيبا عالجهما حتى احسناه ! ، وكيف شاهد مع الجمهور الفرنسي على « شاشة المسرح » : التطبيق العملي من الزوجين لما سمعاه وعرفاه مــن الطبيبين ، لنظهرا عاريين يمارسان هذه العلاقة في اتم وأكمل وجوهها » !

ويمضي كاتب الاهرام الوقور في عرض مــا راقه مــن صور فرنسية

فيقول « صادفت في الحي « سينما » اخرى تعرض قصة عنوانهـا « الزواج الجماعي » .. جماعة من الازواج الشباب اتفقوا بينهم عـلى ان يعيشوا في حياة مشتركة وان يتقاسموا بينهم كل شيء وان ينامـوا في حجرة واحدة ، ونساؤهم مشاع لمن شاء منهم ، للزوج ان يعاشر من تروق لـه مـن زوجات زملائه ، وللزوجة ان تختار ما تريد من ازواج زميلاتها ، كـل ذلك بالرضا التام من الجميع ، وكأن الامر رغيف خبز تتناوله الايـدي والافواه .. ثـم شاهدنا هذه العلاقات الجنسية تتم امامنا بكـل تفصيلاتها التـي تخدش الحياء .. » الخ .

ونترك صورة هذا القطيع مـن الفتيات والفتيان المتصالح عـلى الزنا الجماعي او على الفسوق القذر .. لنترك هذا القطيع في جوه المنتن لنقـرأ كاتب الاهرام الفيلسوف « ! » وهو يقرر رأيـه في هـذا الموضوع .. قـال « جعلت افكر في الامر مستعرضا ما سبق مـن حضارات كبـرى فوجدت بعض التشابه . ان سمة الحضارة في كل عصر هي البحث عـن الحقيقة ، ولا حياء في البحث عن الحقيقة ، خصوصا مـا يتعلق بالانسان واسباب وجوده المادي والروحي ، فكانت حضارة مصر القديمة والهند ترسم وتنحت فـي المعابد بعض الاعضاء التناسلية رمزا للحياة .. بـل ان كتب الادب العربي القديم لامثال الجاحظ وابن عبد ربه كانت تتحدث عن الجنس كـما تتحدث عن الطعام ، واكثر هذه الكتب لا يخلو من باب للطعام وباب للبـاه وما كـان احد وقتئذ يرى في ذلك باسا ولا حرجا ، ولكـن يظهر انـه عندمـا تأخـذ الحضارات في الانحطاط تكثر المحظورات وتسدل البراقـع عـلى كثير مـن الموضوعات ، الى ان تمتد الى روح المعرفة وعـادة البحث فتصيبها بالشلل وبهذا يقتل العلم وتخسر الحضارة » .

هذا هو فكر كاتب الاهرام الكبير ودرسه لتاريـخ الحضارات السـابقة واللاحقة ..

وظاهر من اسلوب الكاتب انـه لا يدري شيئا عـن قضايـا الحلال والحرام ، ولا عن شرائع السماء في السلوك الخاص والعام ، ولا عـن الطـور المصيب الذي يمر به تاريخ العرب ، بل سنرى انـه لا يـدري عـن تاريخ الحضارات البشرية الا هذه الاجزاء المبتورة عـن التماثيل المقامـة لاعضاء التناسل ، واقتران الطعام بالباه في كتب الادب العربي القديم !!

ومع هذا التطور المزري فهو كاتب كبير يملك حـق التوجيـه للاجيال الجديدة من اعلى المنابر .

ان علماء الدين ما نادوا في بلادنا يوما مـا بكبت الغريزة الجنسية ونحن نقدس فطرة الله التي فطر الناس عليها ، ونحترم رغبة الذكر والانثى في لقاء مقنع مشبع ، وسبيل ذلك الزواج فحسب ..

اما تيسير الزنا وتكثير اسبابه وتمهيد سبله وقبول نتائجه فهو ارتكاس انساني يصحب الامم عندما تبدأ شمسها في الغروب .

عدوهم ن يضع أصابعه على مقاتلهم . وها هو يشد قبضتـه عـلى خناقهم
وتاريخ الامة العربية والاسلامية معروف بأنه لم يعترف بالرهبانية كما لم يعترف بتبرج الجاهلية واستباحة الاعراض عـلى نطـاق ضيق او واسع فوصف الزنا العام بأنه زواج جماعي كلام قذر ، واي تمهيـد لقبولـه ــ كما المع الكاتب ــ مردود في وجه صاحبه .

ثم أن العرب خلال هذا القرن قد حاقت بهم رزايا متلاحقة ثم استطاع عدوهم أن يضع أصابعه على مقاتلهم ، وها هـو يشد قبضته عـلى خناقهم ليوردهم الحتوف .

وصيحة العلم والايمان التـي ارتفعت بيننا الآن هـي امـل الحيـاة ، فلحسـاب من تغرى أفواج الشباب بالانحـلال والتردي ، ويحددهـا كاتب مسلوخ عن الايمان والعقل لتنسى ربها وشرفها ويومها وغدها !

نحن نعلم ان اوربا ارتقت في العصور الاخيرة ارتقاء بعيد المـدى ، لكنه من أكذب الكذب أن يجيء بعض الكتاب المصريين ليزعمـوا ان سبب ارتقائها هو انسلاخها عن مناهج الفطرة ومقتضيات الادب .

ان اسباب النهوض شيء ومظاهر الانحلال شيء آخر ، ولكـي تعرف تفاهة كتابنا وانحدارهم الذهني والنفسي ننقل اليك ما كتبه المؤرخ الانجليزي الكبير « ارنولد توينبي » لتدرك منه حقيقة ما يتعرض له الكيان الاوربي مـن اخطار .

ان الامراض التي يتعرض لها هذا الكيان المهتـز هي هي « الخصائص البراقة » التي يريد نقلها الى بلادنا كتاب تائهون مثـل توفيق الحكيم وغيره من ذوي الاسماء والمناصب !

قال توينبي (1) تحت عنوان درس من التاريخ للانسان المعاصر :

لقد فشلت جميع جهودنا لحل مشكلاتنا بوسائل مادية بحتة واصبحت مشروعاتنا الجريئة موضع سخرية ! اننا ندعي اننا خطونا خطوات كبيرة فـي استخدام الالات ، وتوفير الايدي العاملة ولكن احـدى النتائـج الغريبة لهذا التقدم تحميل المراة فوق طاقتها من العمل ، وهذا ما لم نشهده مـن قبل ، فالزوجات في امريكا لا يستطعن ان ينصرفن الى اعمال البيت كما يجب .

« ان امراة اليوم لها عملان : العمل الاول مـن حيث هـي أم وزوجة ، والثاني من حيث هي عاملة في الادارات والمصانع ، وقد كانت المراة الانجليزية تقوم بهذا العمل الثنائي فلم نؤمل الخير مـن وراء عملهـا المرهق ، اذ اثبت التاريخ أن عصور الانحطاط هي تلك العصور التي تركت فيها المراة بيتها . .

« في القرن الخامس قبل الميلاد حين وصلت اليونان الى اوج حضارتها كانت المراة منصرفة الى عملها في البيت ، وبعد مجيء الاسكندر الكبير وسقوط

---

(1) نشر المقال بالانجليزية مجلة الاسلام الباكستانية ، وترجمته الى العربية مجلة رسالة الاسلام العراقية التي تصدر عن كلية اصول الدين ببغداد . والمقال طويل نقلنا منه نبذا .

دولة اليونان كانت هناك حركة سوية شبيهة بالحركة التي نشهدها اليوم !

« لقد نسوا الله » والكلام لتوينبي ا حين وضعوا حلولا لمعالجة الامراض الاجتماعية انتهت بالامم الى علل مستعصية ومآس كبيرة .

« ان عصر الآلة اوجد لنا نقصا لـم يسبق لـه مثيل ، نقصا في المساكن مثلا ، وخلق لنا فترات متناوبة من البطالة ، ونقصا في الايدي العاملة .

ويقول توينبي : « لقد مشى الانسان قديما في الطريق الذي مشى فيه اليوم ، ووضع القواعد نفسها لتنظيم السير والمرور ، والفـرق الوحيـد ان الاوائل استخدموا عربات الخيـل بـدل السيارات ، وان مخالفـة تعليمات المرور لم تكن مروعة ومميتة كما هي اليوم . .

« ان التقدم الفني والصناعي ليس بحد ذاتـه دليل الحكمـة او ضمان البقاء ، وان الحضارات التي انبهرت وقنعت بمهارتها الآلية انما كانت تخطو خطوة نحو الانتحار !

« ان أحد مصادر الخطر على عصرنا الحاضر هو اننا تربينا عـلى عبادة الوطن وعبادة الراية وعبادة التاريـخ الماضي ــ العنصري ــ ويجب عـلى الانسان ان يعبد الله وحـده وان يتمسك بالقانون الالهـي في تكامل الفرد والمجتمع ، وان فشلنا لمحتم عندما نحيد عنه ــ هكذا يقول توينبي ــ .

ومن عباراته في هذا المقال : لقـد اقنعتني دراستي لاحدى وعشرين حضارة ان الثقافة الخلاقة هي فقط الثقافة الصحيحة ، تلك التي تتمكن من حل المشكلات المستجدة في الظروف المختلفة . .

ان التقدم العلمي الحديث قد حل مشكلاتنا الصناعية بجدارة . .

ولكن مشكلات العصر ليست من ذلك النوع الذي يحل في المختبرات انها مشكلات معنوية ، ولا علاقة للعلم بالقضايا المعنوية » .

ــ يعني ان الامر في هذه الاحوال لمنطق الايمان ــ ولذلك يقول :

« قد يبدو هذا غريبا ولكـن المدنيـات الكبيرة بلغت نضجهـا وضمنت تكاملها بالتغيير الروحي » !

نقول : ان المؤرخ الاوربي الغيور على حضارته يلمح اسبـاب اعتلالها ويصف الدواء بحذق ، اما الصحافي المصري فهو يذهب الـى مسرح عابث فيصفه باعجاب ، ويتذكر ان مصر والهند كانتـا قديما تقيم التماثيل لاعضاء التناسل !!

اي فكر هذا ؟ وكيف تتداعى المعاني المثيرة على هذا النحو في ذهن أديب لتنشرها صحيفة كبرى ؟

ومتى ؟ في ايام استعداد العرب لجولة اخرى مع بني اسرائيل يحررون بها ارضهم ويدركون ثأرهم !

ما ننتظر غير هذا من اقلام شبت على العبث وشاخت فيه . . بيـد اننا نلفت الشباب المسلم الى حقائق قد تغيب عن ذهنه في غمرة الاحداث .

أن اعيننا ترمق قوما يكرهون الاسلام من اعماق قلوبهم ويتحينون الفرص للتنفيس عن ضغنهم بوسيلة او اخرى .

وهؤلاء يغضبون عندما ننتسب ـ مجرد انتساب ـ الى الاسلام ولا يتحركون أية حركة اذا تعصب المتعصبون لاية نحلة اخرى على ظهر الارض .

على الشباب المسلم أن يرمق هؤلاء بحذر وان يدرك ما في خباياهم من سواد ..

في يوم ما جاء الى صحن الازهر وفد يجمع بين جان بول سارتر وسيمون دي بوفوار ولويس عوض وتوفيق الحكيم وآخرين لا اذكرهم ..

كان فيلسوف الوجودية وعشيقته مدعوين لزيارة القاهرة والقاء محاضرات بها ...

من الذي استقدم الى عاصمة العروبة والاسلام هذا الفرنسي الكفور ليلقي فيها بذور انحلاله ؟!

لا يهم أن نعرف الاشخاص ، وانما المهم ان نحذر النيات المبيتة وان نتقي التوجيهات المسمومة وان نتبين الدائرة الواسعة التي يعمل فيها عدونا ، لهدم عقائدنا ودك حصوننا فان هؤلاء الاعداء كثيرون « ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم » .

● حول خرافة تحديد النسل :

قرات مقالا عن « الانفجار السكاني وامكانات التحكم » نشرته صحيفة الاهرام يوم الجمعة ١٩٧٠/١/٢ ولا اكون مغاليا اذا وصفت هذا المقال بانه صائب الفكرة عميق النظرة مملوء بالحقائق الجديرة بالاحترام .

ولقد لفت عددا من الدعاة المسلمين وعلماء الدين الى هذا المقال لانه يصور في نظري عودة افكار سبق ان كتبتها ووقفت عندها ، ورأى جمهور المسلمين انها التعبير الحق عن احكام دينهم ونهج حياتهم وان كان البعض قد مارى فيها مراء يعلم الله بواعثه !

والكاتب بعد مقدمات جيدة حول مشكلة النسل يقول :

ان تفسير الزيادة السكانية بغير التخلف الاقتصادي ، أورد هذه الزيادة الى عوامل أخرى .

مثل غلبة الغريزة الجنسية ،

او وجود الاديان المحبذة للتناسل ،

أو عدم المبالاة بالرقي .

يدخل في باب التضليل العلمي !

وقد استخلص هذه النتيجة الصادقة من جملة ملاحظات علمية واجتماعية جديرة بالتأييد الحار .

ويعجبني انه استهجن صيحات التشاؤم المفتعلة التي تخصص في ارسالها بين الحين والحين نفر من مقلدي الاساليب الامريكانية في الاحصاء

الجزئي والحكم العام ، وهي اساليب تخدم سياسة معينة من البيانات والبلاغات التي يتبرع بها نفر من نجوم الراي الامريكيين يزعمون فيهما ان العالم قد بلغ في مسيرته نحو كارثة « اللاعودة » .

بسبب الزيادة المفرطة في سكانه ، تلك الزيادة التي نشات من ان اقطار العالم الثالث ـ الذي يضم عشرات من الدول النامية او بتعبير آخر عشرات من الدول المتخلفة ـ لم تكبح جماح شهواتها الجنسية ، ولم تستجب لدعوة المندوب الامريكي الى « تخطيط » او تحديد النسل الذي راى سيادته انه الطريق الوحيد لحسم المشكلة السكانية . .

بل لم يستح نفر من قادة الراي في الولايات المتحدة ان ينادوا جهرا بضرورة استخدام القسر في الحد من هذا التفوق العددي للمراتب السفلى من البشر (!) بالقدر الذي يمنع دفع المراتب الاعلى الى الخلف !

ولما كانت نسبة الاولاد تكاد تكون ثابتة من عشرات السنين فان الزيادة المحذورة نشأت للاسف من قلة الوفيات بسبب ارتفاع المستوى الصحي في ارجاء العالم .

والحل ؟ انه عند ارباب الثقافة الغربية الرفيعة عدم مقاومة العلل بين شعوب لا تجد الاكل ، وترك الامراض تفتك بهذه الاجيال الوافدة فان اقحام طوفان من الاطفال الجياع على اقتصاد مضطرب يهدد بكارثة ؟

لكن كيف يوصف هذا التصرف ؟

انه تصرف « انساني » عادي (!) لانه يساعد الطبيعة على انتخاب الاصلح وابقاء الأقوى !

بل ان هذا التصرف يتفق مع ارقى ثمرات الفكر الانساني ، الم يقل افلاطون في جمهوريته الفاضلة انه يجب قتل كل طفل يزيد عن العدد الضروري ؟ ونحن قد وصلنا بالفعل الى ما يزيد عن العدد الضروري .

ويستتبع الفكر الغربي أحكامه على الامور ، فيقول الدكتور « هوايت ستيفنز » أحد خبراء علم الاجتماع : ان يوم القيامة سيوافق ٢٠٢٦/١١/١٣ لان المجاعة العالمية في هذا اليوم ستقضي على الجميع ، هكذا يقول الدكتور الالمعي بعد حساب وفق قواعد علم الاجتماع لا قواعد علم التنجيم !

وبناء على هذا الهوس الاحصائي يدعو الامريكيون الى التعقيم الاجباري والى فرض نظام صارم لتحديد النسل ، والى دعوة الامم المتحدة الى اجراء ما كي ينخفض عدد الاولاد بين العرب والزنوج والهنود واشباههم وهم سواد العالم الثالث .

ويلاحظ الاستاذ كمال السيد ـ كاتب المقال ـ امورا ذات بال منها ان الولايات المتحدة تنفق ٧٠ الف مليون دولار على معدات القتال وان شركاتها المحتكرة تعامل شعوب العالم الثالث بنهم مستغرب لا مكان معه للرحمة بهؤلاء الجياع المساكين .

ويقول « وهناك صيغة شائعة في امريكا الجنوبية فحواها » :

ان خمسة من سكانها يموتون جوعا كل دقيقة في حين ان الشركات الامريكية العاملة بها تكسب خمسة آلاف دولار كل دقيقة اي الف دولار من كل ميت . . !

ومع شعورنا بأن الكاتب يساري النزعة الا اننا نعرف ان المساعدات الامريكية مغشوشة النية سيئة الهدف فقد توزع على الاطفال مقادير من الالبان والجبن ، ولكنها تفرض على بيئتهم قيود الفقر الابدي الى هذا النوع من المساعدات .

وبرامج النقطة الرابعة توزع المواد الاستهلاكية وحسب على الامم المتخلفة وتمتنع امتناعا غريبا عن تصنيع البيئة واعانتها على ان تخدم نفسها بنفسها ، وتستغل مواردها الوطنية بقدراتها الخاصة !

كأن شعوب هذا العالم الثالث ـ كما تسمى ـ ينبغي ان تظل مشلولة المواهب مكشوفة العجز ، لا تستطيع الانتفاع بما لديها من خيرات .

وعليها ـ بعد ـ أن تسمع الحكم بان التعقيم الاجباري واجب ، وان تحديد النسل فريضة والا قامت القيامة بعد كذا من السنين !

ويتلقى هذا الكلام بعض قصار العقل فيطيرون به هنا وهناك ينذروننا بالويل والثبور وعظائم الامور فاذا حاولنا التفاهم معهم قالوا : انكم رجعيون تائهون عن مقررات علم الاجتماع ، واخطار يوم القيامة الذي سيجيء حتما من زيادة السكان !

ولنتناول الآن صميم المشكلة . هل حقا ان بلاد العالم الثالث لا تكفي حاجات اهلها وبالتالي لا تتسع لمزيد من الافواه التي تطلب القوت والاجساد التي تطلب الكسوة ؟

تلك هي الاكذوبة الكبرى التي يضخم الاستعمار صداها ويزعج الدنيا بطنينها !

ان اقطار العالم الثالث مشحونة بخيرات تكفي اضعاف سكانه ، بيد ان هذه الخيرات تتطلب العقول البصيرة والايدي القديرة .

ولو رزقت هذه الاقطار المنكودة انسانية نزيهة تستهدف ايقاظ الملكات الغافية والحواس المخدّرة ، وتطارد الخمول والوهن وتجند القدرات والخيرات ، وتمنع التظالم والترف ، وتضرب سياجا منيعا حول مصالح الشعوب يرد عنها غوائل الاستعمار بجميع انواعه لكانت هذه الشعوب تحيا في رغد من العيش تحسدها اقطار الغرب عليه . .

ليست المشكلة اقتصادية كما يزعم الخبثاء من المستعمرين ، ومقلدوهم من الصياحين الذين يهرفون بما لا يعرفون .

الفقر فقر اخلاق ومواهب لا فقر ارزاق وامكانيات !

- لماذا يكون المولود القادم اكالا لا شغالا ، مستهلكا لا منتجا ، عبئا على الحياة لا عونا على الحياة ؟
- لماذا تهون الانسانية في شان هذه الاجيال الوافدة فيكون وجودها

مبعث قلق لا مثار استبشار .

ان الجهود المادية والمعنوية التي يبذلها المتشائمون لقتل هذه الانفس او للحيلولة دون وجودها لو بذلت في تصحيح الاخطاء الاجتماعية وتقويم الانحرافات العقلية لكانت اقرب الى الرشد وادنى الى الغاية !

ولكن الاستعمار الاناني الشره يريد التهام كل شيء لنفسه وحده بل الانكى من ذلك انه يعترض طريق كل نهضة تصحح الاوضاع كي تبقى الامور كما هي ويبقى منطقه السقيم في علاج الامور .

على أن تخلف العالم الثالث ليس علة ازلية ولا ابدية فقد كان الاوربيون والامريكيون اسوا حالا منذ قرون تعد على الاصابع وكانت الخرافة تفتك بعقولهم فتك الادران والعلل باجسامهم ، فاذا صعدوا في سلم الترقي وهبط غيرهم بعد رفعة او بدأ لاول مرة يخطو على درب المدنية فلا معنى للاحتيال عليه والتشفي منه .

« كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم »

والامر لا يستدعي اكثر من تغيير الظروف المؤثرة في احوال المجتمعات فهناك مكان ينبت العز ـ كما يقول المتنبي ـ ومكان ينبت الذل . وهناك آخر يوقظ العقل أو ينميه .

والمعتوهون الذين يصرخون جزعين : قفوا نسل الارانب حتى لا تقوم الساعة ، أو حتى ترقى الامة .

لا يعلمون ان العالم الثالث لن يرقى ولو فقد تسعة اعشار عدده ما بقيت ظروفه النفسية والفكرية جامدة على أوضاعها الحالية .

ونعود مع كاتب الاهرام لنبصر الواقع حيث يقول :

« ان موارد العالم خصوصا موارد البلاد المتخلفة ما زالت تفوق كثيرا زيادة اعداد السكان ، فالفائض الاقتصادي المحتمل يمكن تحويله الى ضروب من النشاط المنتج بدلا من ان يذهب الى جيوب المرابين والوسطاء وملاك الارض أو يتبدد في وجوه السرف المختلفة .

وهذا الفائض هو ما يعرفه الاقتصاديون بانه الفرق بين الانتاج في ظروفه الطبيعية ، وبين ما يعد استهلاكه ضروريا للجماعة المنتجة ، ويقدر هذا الفرق بنحو ٢٠٪ من الانتاج القومي ، وهو يكفل عند استثماره زيادة سنوية في الدخل تبلغ ٨٪ ، وهذه الزيادة تكفي بل تفيض عن متطلبات الزيادة السكانية » .

الفقر الواقع أو المتوقع لا يعود اذن الى علل طبيعية بل الى سوء تصرف واضطراب ادارة ، او كما يقول الاقتصادي الامريكي المشهور « بول باران » اننا يجب ان ندق ناقوس الخطر لا لان القوانين الابدية في الطبيعة قد جعلت من المستحيل اطعام سكان الارض بل لأن النظام الاقتصادي الاستعماري يحكم على جموع كثيفة من الناس ـ لم يسمع بضخامتها من قبل ـ أن تعيش في كنف الفاقة والتدهور والموت قبل الاوان .! ثم انهى الكاتب كلمته قائلا انه

لا حل لمشكلات التخلف ومن بينها ضغط السكان على الموارد الا بتنمية بلدان العالم الثالث لثرواتها ، ومضاعفة اعتمادها على نفسها .. ثم على القدر الميسور من المعونات الاجنبيه المنزهة » .

لقد قررت هذه الاحكام تقريبا في كتابي « من هنا تعلم » المطبوع من ربع قرن ، ولذلك فقد انشرح صدري عندما قرات هذه الايام ما يزيد الحق وضوحا ..

وما يبدد ضبابا كثيرا نشره في افق الحياة العامة اقوام قصار الباع طوال الالسنة ، واني ـ اذ اوكد المعاني الآنفة ـ اوجه كلمة الى نفر من المتحدثين باسم الاسلام اساؤا الى حقائقه مرارا وهزموه في مواطن كثيرة ..

ان الاسلام ليس هو بالدين المحلي لاهل الوجهين البحري والقبلي ، انه دين القارات الخمس ! وداره الرحبة الخصبة تمزج بين اجناس كل هذه القارات في اخوة جامعة لا تعرف الحدود الضيقة المفتعلة التي صنعها الاستعمار فكيف يعالجون مشكلة السكان وهم لا يدركون هذا الاساس المبين؟

ثم ان هذا الدين يتعرض لحرب ابادة في هذه الايام من تحالف الصهيونية والاستعمار ، فكيف تصدر الاوامر من رؤساء الاديان بتكثير الاتباع ، ومباركة النسل ، ويفتون هم بالتعقيم والتقليل ؟

انني لا ادري علة هذا الزيغ ؟ اهي قلة العلم ام ليونة الضمير ؟

وتحذير آخر الى هؤلاء : ان احدهم يقع على الكلمة منسوبة الى عمرو ابن العاص او غيره من الرجال فيطير بها غير آبه بقيمةسندها ولا مكترث بأنها ملتقطة من كتب تجمع الجد والهزل والخطأ والصواب ..

ولو فرضنا جدلا نسبتها الى عمرو ، فما كلام عمرو بالنسبة الى كلام الله ورسوله ؟

ارجو بعد كلمة الاهرام التي لخصتها في مقالي ان تنتهي هذه المأساة ..

● محنة الضمير الديني هناك !

هذه سياحة سريعة داخل اقطار الفكر الديني الغربي. ستفجؤنا أحكام ينقصها السداد ، ومؤامرات يحبكها الغدر ، وضغائن لا تزال عميقة على طول العهد وامتداد الزمان !

ومن حقنا نحن المسلمين ـ وقد لفحتنا حرب بقاء أو فناء ـ أن ندرس الجبهة التي مسنا عدوانها وأن نزن ببصر حديد طبيعة العواطف الدينية التي تكمن او تبرز خلف احداث لا تبدو لها نهاية قريبة !

ولنبدأ بمقال نشرته مجلة كاثوليكية تطوعت باسداء نصائحها الغالية لاسرائيل . وليست هذه النصائح الغالية ان يعترف اليهود بحق العرب وان يعودوا من حيث جاءوا تاركين البلاد لأصحابها .. لا !

ان الضمير الديني عند الصحيفة المتدينة جعلها تسدي نصحا من لون آخر ، لقد قالت لليهود :

اننــا احتللنا فلسطين قبلكم . وبقينا فيها سنين عــددا ، ثم استطاع المسلمون اخراجنا وتهديم المملكة التي اقمناها ببيت المقدس ، وذلك لأغلاط ارتكبناها ، وها نحن اولاء نشرح لكم تلك الاغلاط القديمة حتى لا تقعوا فيها مثلنا !

استفيدوا من التجربة الفاشلة كــي تبقــى لكــم فلسطين ابدا ويشرد سكانها الأصلاء فلا يخامرهم امل العودة !

وشرعت الصحيفة التقيــة تشرح : لمــاذا انهزم الصليبيون الاقدمــون وتوصي حكام « اسرائيل » بامــور ذات بــال ، وتحرضهم في نذالة نادرة ان يوسعوا الرقعة التي احتلوها ، وان يستقدموا افواجــا اكثر من يهود العالم ، وأن يحكموا خطتهم في ضرب العرب ومحو قراهم وابادة خضرائهم ، وبذلــك يستقر ملك اسرائيل ويندحر الاسلام والمسلمون .

وهاك أيها القارىء عبارات المقال الذي نشرته مجلة « تابلت » الانجليزية الكاثوليكية للكاتب (ف . س اندرسون) في العدد الصادر في ١٩٥٧/١٠/٢٦ .

يقول الكاتب المذكور « ان نظرة واحدة الـــى خارطة حــدود اسرائيل الحالية تعيد الى الذاكرة للفور أوجه الشبه القوية بين تلك الحدود وحــدود مملكة الصليبيين التي قامت عقب احتلال القدس ١٠٩٩ م

ونظرا الى الاعمال العدائية بين اسرائيل وجيرانها نــرى مــن المفيد ان نقارن بين الحالة العسكرية الراهنة وبين مثيلاتها في أيــام الصليبيين ، ولعلنا نرى ما اذا كان سيتاح لاسرائيل خط افضل مما كان للصليبيين القدامــى ام سيلقون مصيرهم ؟

ان مملكة الصليبيين لم يكتب لهــا البقاء الا امدا قصيرا وقــد مكثت ثمانية وثمانين عاما فقط ثم استرد المسلمون القدس !

ومع ان المسيحيين نجحوا في الاحتفاظ بقطــاع صغير شرقــي البحــر المتوسط مدة مائة عام اخرى الا انهم فشلوا في الدفاع عن عكا اخيرا واخذوا يغادرون هذه البلاد تحت جنح الظلام عائدين الى اوروبا ...

ان سقوط تلك المملكة كــان يعود الى بضع نقائص ظاهرة فاذا اريــد لاسرائيل أن تعيش مدة أطول فما عليها الا ان تحتاط ضد هذه النقائص .

لقد دخل الصليبيون فلسطين في ظروف ملائمــة جدا لهــم ، تميزت بوقوع الفرقة بين المسلمين ، وعجزهم عن اقامة جبهــة مقاومة موحــدة ! وهكذا استطاع الهاجمون ان يهزموا المسلمين بسهولــة ، دويلــة بعد دويلة ، وان يمكنوا لانفسهم في الأقطار التي فتحوها غير انه لــم يمض وقت طويل حتى ظهر زعيم عسكري مسلم استطاع ان يوحــد المسلمــين أمــام خصومهم بسرعة ، ثم حشد قواهم في معركة حطين واصاب الصليبيين بهزيمة ساحقة تقرر على اثرها مصير القدس ، بل انحسر بعدها المد الصليبي جملة ، ودخل صلاح الدين الايوبي مدينة القدس التي عجز اعداؤه عــن استبقائها او

استمادتها فتركوها يائسين »

يقول الكاتب الكاثوليكي . « كان الصليبيون يستطيعون البقاء مدة اطول في تلك البلاد لو لم يعانوا نقصا شديدا متواصلا في الرجال ، ولو انهم وسعوا حدود مملكتهم وفق ما تمليه الضرورات العسكرية الماسة ، لماذا لم تحتلوا دمشق ؟ لقد كان احتلال دمشق مفتاح مشكلتهم وضمان بقائهم ! وسيظل عدم تقديرهم لهذه الحقيقة لغزا لنا ؟

نعم انهم بذلوا جهودا واهية لاحتلال تلك المدينة بيد ان محاولاتهم كانت من الضعف بحيث كتب عليها الفشل » .

وبدلا من أن يتابعوا جهودهم لاحتلال دمشق اتجهوا جنوبا واحتلوا العقبة وشرعوا يوجهون حملاتهم الى مصر ، مع ان الاشراف على النيل هدف عسير التحقيق !!

وعندما اصبحت للمسلمين اليد العليا في ذلك العهد استطاعوا اجلاء الصليبيين عن العقبة وعن سائر حصونهم في الجنوب ، الا ان الكارثة الكبرى جاءت من الشرق فان معركة حطين وقعت بالقرب من طبرية عند الزاوية الشمالية الشرقية لمملكة الصليبيين ..

ولما كانت دمشق والارض الممتدة بين الاردن والصحراء السورية ملكا للمسلمين فقد استطاعوا ان يتحركوا بحرية على ثلاث جبهات حول المملكة اصليبية التي اضحت شبه محصورة ... وذلك ما اعجزها عن المقاومة !

يقول الكاتب الحزين لما أصاب اسلافه : « ولو ان الصليبيين اندفعوا قدما وقطعوا الممر الذي يؤدي الى الشرق من دمشق لاستطاعوا منع مرور الجيوش والقوات بين سورية ومصر ، ولكانت حدودهم الشرقية المستندة الى الصحراء أكثر امانا ، ولامكنهم الانتفاع من أساطيلهم البحرية » ثم يستأنف الكاتب الحاقد كلامه فيقول « لقد اقيمت اسرائيل في وقت كان العرب في الدول المجاورة عاجزين عن القيام بعمل موحد ، ثم بقدر كبير من الجهد والشجاعة استطاع اليهود أن يبلغوا حدودهم الحالية ، لكن هذه الحدود تطابق حدود المملكة القديمة للصليبيين ، وقد عرفنا مآلها فما العمل ؟

يقول الكاتب محرضا اليهود على مزيد من العدوان : « مرة اخرى ما لم تتحرك اسرائيل في الاندفاع نحو دمشق فستبقى للعرب تلك الحرية الخطرة في تنقيل قواهم حول ثلاث جهات من اسرائيل ، وفي ذلك ما فيه » .

ويستطرد : « قد يكون من العسير سياسيا ان تتحرك اسرائيل لغزو سوريا واحتلال دمشق لكن الاتجاهات السياسية السورية قد تساعد على تسويغ ذلك ، وان مثل هذه النزهة الحربية (!) ستنطوي على فائدة دائمة لاسرائيل أعظم من الفائدة التي تجنيها من التغلغل في صحراء سيناء » .

ويختم الكاتب « نصيحته » لاصدقائه اليهود فيقول : « ان اسرائيل لن تنقصها القوى البشرية فلديها جيش كبير بالاضافة الى هجرة منظمة من

جميع انحاء العالم تمدها بكل ما تفتقر اليه من طاقات ويجب ان تظل قادرة على وضع جيش قوي في الميدان يكون دائما على اهبة الاستعداد » .

لو ان كاتب هذا الكلام يهودي قح ما استغرب المرء حرفا منه !

ان وجه العجب في هـذا التوجيـه المشحون بالـود لاسرائيل والبغض للعرب والمسلمين . ان الكاتب مسيحي ينشر افكاره في مجلة كاثوليكية .

وهو يفكر ويقارن ويقترح كان القضاء على العروبة والاسلام جزء مـن عقله الباطن والظاهر ، ثم هو لا يشعر بذرة من حياء في اعـلان سخائمه . ان مشاعر البغضاء المضطرمة في جوفه تغريـه بالاسترسال والمجازفـة دون اي تهيب ، ويحزننا ان هذا الكلام ليس ابداء لوجهة نظر خاصة ، فان الكاثوليك في ارجاء الارض انتهزوا فرصة الضعف التي يمر بهـا الاسلام كيما يحولوها الى هزيمة طاحنة وفناء اخير .

والروح الذي املى بكتابة هذا المقال هـو نفسه الروح الـذي كمن في مقررات المجمع المسكوني الذي عقده بابا روما وصالح فيـه اليهود ، وامـر الكنائس بعده الا تلعنهم في صلواتها .

وهو الروح الذي جعل « البابا بولس » يـزور القدس ويدخل الارض المحتلة ويتعامل مع سلطات اسرائيل ، وهو تصرف لم يفعله اي بابا من مئات السنين !

وللقارىء المسلم ان يسال : اذلـك موقف الكاثوليك وحـدهم ! ام ان اصابع الاستعمار الغربي قـد افسدت التفكير الديني لـدى كثير من المفكرين الغربيين .

قرات كتابا وجيزا للمؤلف المصري المنصف الدكتـور وليـم سليمان وردت به هذه الحقائق نذكرها مع تعليق سريع لا بد من ايراده . قال : « في ديسمبر سنة ١٩٦١ عقد مجلس الكنائس العالمي مؤتمره الثالث في نيودلهي ، واصدر قرارا حدد فيه موقفه من اليهود جاء فيه : لا بـد مـن تهيئة التعليم الديني المسيحي وتقريبه للاذهان على وجه يبرىء اليهود من تبعات الاحداث التاريخية التي ادت لصلب المسيح اذ ان هـذه التبعات تقـع عـلى عاتق الانسانية كلها (!)

« وقد صرح الراعي البروتستانتـي الامريكـي ل. ج. نبيت الاستـاذ بمعهد اللاهوت بنيويورك قائلا : ان الكنائس مسئولة بوجه خاص عـن العداء للسامية فقد ظلت تعاليم المسيحية موجهة عدة قرون ضد اليهود وهـو عداء يعد من مخلفات الاحقاد الدينية القديمة » .

نقول نحن : وما ذنب المسلمين في هذا ؟ وهـل عرب فلسطين يدفعون ثمن هذا الخطا الكنسي من وطنهم وكرامتهم وحاضرهم ومستقبلهم ؟

ذلك ما يريده مجلس الكنائس العالمي الموقر ! فان هـذا المجلس عقـد مؤتمرا في بيروت وزار اعضاؤه مخيمات اللاجئين ثم قرر انه ليس هناك حل

دائم لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين الى ان يبت في القضيـة الخاصة بالخلاف بين العرب واسرائيل .

« وقال المؤتمر « الطيب القلب » ان ذلك سيشمل خطة عامة لتعويض اللاجئين سواء عادوا الى وطنهم ام لـم يعودوا وان هنـاك صدقـات سوف يأخذها اصحاب الارض والمطرودين !

« وفي سنة ١٩٦٤ عقد مجلس الكنائس العالمـي فصله الدراسي الثالث عشر « بجنيف » وافتتح الجلسة عميد الكليـــة اللاهوتية بجامعتهـا فقال لافض فوه : حين تثور مشكلة اليهـود فـان الكنيسة لا تستطيع ان تتجاهل ثقل مسؤوليتها العظيمة عن آلامهم وضياعهم طول تاريخهم ولذلك فـان أول ما يصدر عنها نحوهم هو طلب المغفرة .. »

يجب على الكنيسة أن تطلب المغفرة من اليهود !! بهذه العبارة الضارعة الذليلة يفتتح مجلس الكنائس العالمي الجلسة التـي يحـدد فيها موقفه مـن دولة اسرائيل .. » .

ونتساءل نحن مرة اخرى . اذا اجرم غيرنا وجب علينا نحن القصاص؟
« الا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا » (١)

لقد فكرت في هذا الامر مليا ! ان حقنا ليس غامضا حتـى يلتمس عـذر لستبيحه !

هل المال اليهودي من وراء هـــذه الذمم الخربة مهمـا كانت مناصبها الدينية ؟ ربما .

ام ان الضغائن العمياء على الاسلام وامته سيرت الخطب والمقالات فـي هذا المجال الفوضوي المكابر الوقح ؟ ربما .

لكن الدكتور وليم سليمان في كتابه « الكنيسـة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية » يذكر لنا كلاما آخر يستحق الدرس والتامل .

انه ينقل عن مؤرخ الارساليات « ستيفن نيل » هـــذه العبارات مـن تقرير له : لقد تيقن الرجل الغربي ان سجلـــه الاستعماري حافـل بالعار واصبح اقل ثقة مما كان في وحدانية الانجيل المسيحي ونهائيتـه ، وفي حقـه ـ اي حق الرجل الغربي ـ ان يفرض على ورثة الاديان العظيمة الاخرى شيئا قد يثبت في النهاية انه ليس أكثر من خرافة غربية a western myht

وبدا في أوساط رجال اللاهوت هجوم صريح على الالوهية بكل مظاهرها في المسيحية ! وانتشر تيار فكري يجعل نقطـة بدايتـه « موت الالـه » (!) وينادي بمسيحية لا دين فيها (!) وينادي بهـذه الافكار « بنهوفر ويلتمان »

---

(١) هـود : ١٩ .

(٢) تاريخ الارساليات ص ٤٥٠ ــ ٤٥٦ .

والاسقف الانجليزي « جون روبنسون » (١) .

ويخيل للمراقب من بعيد ان القوم يثورون على الاله لانه تخلى عنهم وساعد أعداءهم » .

ويستطرد الدكتور وليم سليمان فيقول عن الغربيين « الدين في نظرهم لم تعد له قيمة في ذاته ، انه شيء يمكن الاستفادة منه لتحقيق الاهداف الدنيوية التي ينشدها الغرب في شتى انحاء العالم » وخلاصة هذا الكلام ان المسيحية انتحرت في أوربا ، فاي تدين هذا الذي ينخلع ابتداء من الايمان بالحي القيوم ، ويعتبر التعامل معه منتهيا لانه تلاشى ومات .. !!

ان ذلك هو التفسير الحقيقي لانضواء رجال الكهنوت تحت راية الاستعمار ، وركضهم الخسيس في خدمة قضاياه ..

وعندما تتسابق شتى الكنائس لارضاء اسرائيل وتملق اليهود فهل يدل ذلك الا على شيء واحد وهو ان رجال الدين باعوا ضمائرهم للشيطان .. ؟

ان العرب يتعرضون لابادة عامة ، والمتفجرات تنسف منازلهم وقد محيت قرى باكملها من الوجود ، والدفاع عن النفس يوصف بانه اجرام وتمرد .

ووسط هذا الحريق المستعر يبارك ساسة اسرائيل ، ويقول رجال الدين والدنيا : خلقت اسرائيل لتبقى ! فاين منطق الايمان بالله واليوم الآخر في تلك المداهنة وهذا الاستخذاء . ظاهر ان القوم قد تحولوا الى سماسرة وعملاء للاستعمار العالمي .

واعتقادي أن هذه المحنة الرهيبة ستوقظ الاسلام النائم وان كان غيري يرى أن المادية المتربصة هي الكاسبة من خيانة الغرب لدينه ومثله .

ولا شك ان المستقبل محفوف باخطار شداد ، بيد اننا لن نفقد توازننا ولا ثقتنا في أصالتنا الدينية ولا آمالنا في جنب الله .

واعتقادي كذلك أن الاستعمار سيفشل في محاولاته الدائبة لجر الكنائس الشرقية الى جانبه واشراكها في مآسيه ، واذا كان قد ضلل البعض فان الجمهرة الغالبة ستبقى على وفائها لتعاليمها ومواطنيها وتاريخها الصبور .

● **هذه القررات لا نريد ان تنسى :**

ارسلت بصري وراء طلاب بعض المدارس وهم منصرفون الى بيوتهم ،

---

١ – انظر على سبيل المثال كتاب روبنسون Houest To God الذي طبع منه في مارس سنة ١٩٦٣ اربع طبعات وفي ابريل سنة ١٩٦٣ طبعتان وفي كل من مايو ويوليو وسبتمبر من نفس العام طبعة وكانت الطبعة العاشرة في سبتمبر سنة ١٩٦٤ ، واقترب عدد النسخ المطبوعة مليون نسخة ، وعلقت عليه مجلة « تايم » في ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٦٤ ونيوزويك في ابريل سنة ١٩٦٦ ومجلات امريكية اخرى كثيرة !!

كان الصخب شديدا والتدافع ظاهرا والتصايح بالكلمات النابية مسموعا ! لم تكن بالشارع اثارة من علم او دلالة على جد ورشد !

ولست استكثر على الصبية فرح الانطلاق والاوبة الى الاصل ولست اجهل طبيعة المرح في مقتبل العمر وخفة التكاليف !

ولكني لم أسترح للطيش البادي والمزح السخيف والالفاظ الماجنة اذا كنا نريد اعداد جيل صاعد فالامر يتطلب سيرة وسريرة غير ما ارى .

لقد عرفت كثيرا من البرامج العلمية التي تدرّس ، ولا ازعم انها قليلة ، بل اشعر ان استيعابها اساس صالح لخلق شعب مثقف .

واطلعت على اغلب المقررات الدينية ، وقد تكون أقل مما يجب درسه .

ومع ذلك فهي لو تم فقهها وتحصيلها اساس حسن لتكوين جيل مؤمن مهذب . .

اذن من أين تجيء الشكوى ؟ وما مصدر ما ذكرت من معايب ؟

ان المادة العلمية شيء واسلوب تقديمها وتلقيها شيء آخر .

ان هذا الاسلوب يرتبط برسالة الامة ، وضرورة تربية النشء على اعتناقها واحترامها .

ومن هنا فالتعليم المنفصل عن التربية جهد ضائع او جهد تافه النتائج . .

واذكر أن الدكتور « حلمي مراد » وزير التربية الاسبق كان قد الف لجنة لعلاج هذا الوضع .

واشهد ان الرجل كان حاد البصيرة عميق الاخلاص ، راغبا في انشاء جيل افضل واقدر على مواجهة غده الثقيل .

ولقد انقسمت اللجنة المؤلفة الى لجان شتى بذل اعضاؤها جهودهم في اداء الواجبات المنوطة بهم . (1)

واخترت لنفسي ان اكون في اللجنة المعنية « بالجو الذي يسود المدرسة » لان التربية المدرسية في نظري هي الدعامة الاولى للافادة من العلم المبذول كما انها الدعامة الاولى لامداد امتنا برجال ذوي معادن صلبة ومواهب راجحة وفضائل بارزة .

وقد انتهت اللجنة الموقرة الى توصيات كثيرة ، استبيح لنفسي ذكرها آملا ان ينفع الله بها ، وان تأخذ طريقها الى الهواء والضياء !!

قالت اللجنة : « لا نستطيع ان نربي الطالب تربية دينية كاملة الا اذا

---

(1) الف الدكتور « حلمي مراد » وزير التربية والتعليم الاسبق لجنة لدعم النواحي الدينية في التعليم العام ، واصلاح مقرراته بما يعين على انشاء جيل مسلم ، وقد اخرج الدكتور من الوزارة (!!) بعد ان ادت اللجنة واجبها ، فاستنقذنا هذه المقررات لاحدى الشعب التي اختصت بالجو المدرسي .

هيأنا له جوا روحيا في مدرسته وفي بيته ليكون هذا المناخ الديني من وسائل التعلق بهذه القيم والانتفاع بها وبهذا تتلاقى المعارف الدينية التي تلقاها من مدرسه ومن كتابه بالجو المصبوغ بالصبغة الدينية النقية فتتحول المعرفة النظرية الى سلوك ديني كما تتحول البذور في الجو الملائم الى زهور وثمر » .
وبذلك يمكن تثبيت العقائد والف العبادات وتزكية الاخلاق وتكوين جيل نزاع الى الحق والخير متعاون على البرى والتقوى .

ويتهيأ هذا الجو الديني المدرسي المنشود بما يأتي :

- (١) يبدأ اليوم الدراسي بتلاوة من آيات الذكر الحكيم مجودة او مرتلة لتشيع في الجو المدرسي انسام الطهر الروحي .
- (٢) تدور كلمة الصباح بالاذاعة بين ثلاث دقائق وخمس دقائق حول ما سمعه التلاميذ من الآيات المقروءة وما تفرضه المناسبات الدينية وما ترشد اليه من فضائل سامية في كلمات موجزة موحية .
- (٣) ان تكون دروس التربية الدينية في الحصص الثلاث الاولى ليشعر الطلاب بما للدين من قيمة عليا بين المواد الدراسية وليكون التلميذ في ذروة النشاط الفكري فيعي ما يسمع ويقر في نفسه .
- (٤) أن تذاع الاناشيد الدينية او قصة دينية قصيرة في الفسحة الاولى من اليوم المدرسي .
- (٥) ان ينظم الجدول المدرسي فيتلاقى ابتداء فسحة الظهيرة مع حلول وقت الظهر وينادى للصلاة ثم يدعى اليها بكلمات تحمس الطلاب لاداء الفريضة .
- (٦) ان يخرج مدرسو اللغة العربية والتربية الدينية ومعهم ادارة المدرسة ومن شاء من المدرسين الآخرين امام التلاميذ ثم يتجهوا الى المصلى ليكون هذا العمل الجماعي اشعارا ملموسا بالاهتمام باقامة الشعيرة في وقتها .
- (٧) ان يكون لكل مدرسة مجموعة من الرواد الدينيين يتناسب مع عدد الفصول والطلاب ، وهم الراعون لتلاميذهم يوجهونهم الى مرشدهم ويؤمونهم في صلاتهم وينظمون اقامة الشعيرة بجدول مخطط له حتى يؤدي الصلاة اكبر عدد من الطلاب ، وعليهم ايضا ان يعدوا تقريرا شهـ عن سلوك كل تلميذ من تلاميذهم ويرسل التقرير الى ولي أمره ليحس البيت برعاية المدرسة للدين فيعينها عليها .
- (٨) ان يخصص يومان في الاسبوع من فسحة الظهر تدور فيها مناقشات دينية مطبوعة متصلة بحياة التلاميذ ولا تستغرق من وقت الفسحة زمنا طويلا حتى لا يضيق التلاميذ بها .

وفي الايام الاخرى تذاع مسرحيات دينية قصيرة تتصل بمنهجهم الدراسي ما أمكن ذلك .

● (٩) أن تتجدد جماعات النشاط الديني فتكون هناك جماعة للمسرح الاسلامي وغيرها للصحافة الاسلامية واخرى للتاريخ الاسلامي ... بجانب الجماعات التقليدية كجماعة البر والامامة وغيرهما .

● (١٠) أن يكون العاملون في الميدان المدرسي قدوة حسنة تتسم بالايمان والسلوك الحميد الذي ينعكس على تلاميذهم ايمانا واخلاصا وسلوكا قويما .

● (١١) أن نجعل من بعض أيام الجمعة فرصة لالتقاء التلاميذ بأساتذتهم واولياء امورهم في مصلى المدرسة حيث تلقى عليهم دروس دينية حية تناقش أفكارهم على سعة لتتيح اشتراك اولياء الامور في هذه المناقشة مما يساعد على نقاء الجو المنزلي ويوثق الروابط بين البيت والمدرسة .

● (١٢) أن تدور أسئلة التطبيق الديني الاسبوعي والاختبارات الشهرية والفترية حول الموضوعات التي تثار في الندوات واللقاءات الدينية لتشد انتباه التلاميذ اليها .

● (١٣) محاسبة المدرسين الذين يستهينون بدروس التربية الدينية فيستبدلون بها حصص المواد الاخرى .

● (١٤) تقسيم طلاب المدرسة الى أسر اسلامية ، وتسمى كل اسرة باسم شخصية اسلامية كبرى على ان يكون تلاميذ كل أسرة على علم وثيق بمن انتمت اليه اسرتهم على ان تتبادل هذه الاسر المناشط الدينية وتثار بينهم المنافسات الكريمة في الجهاد الديني على أن يدعى أولياء الامور لاجتماعات شهرية لهذه الاسر ليسهموا بجهودهم في هذا المجال .

● (١٥) استخدام القيادات المؤمنة من الطلاب في جذب زملائهم الى الاطار الذي ترسمه المدرسة ليتحرك بنوها في حدوده فان تأثير الطالب على زملائه أعمق من تأثير الاساتذة عليه .

● (١٦) وضع صندوق في فناء المدرسة تجمع فيه التساؤلات الحر؛ للطلاب للرد عليها من جماعة الفتوى بالمدرسة .

● (١٧) أن يعنى بالاحتفال بالمناسبات الدينية احتفالا مخططا له لتكون صورة متكاملة تطبع في نفوس الطلاب الاجلال لهذه المناسبة ويجعل الهدف من احيائها ربط الطلاب بشعائر الاسلام ومبادئه فينبني الاحتفال على أن تعرض مكتبة المدرسة في ركن خاص كل ما لديها من تواليف دينية اعدت لهذه المناسبة الاسلامية كما تقوم بندوات وأناشيد دينية ومسرحيات واشرطة اسلامية .

● (١٨) أن تزين جدران المصلى والمدرسة بلافتات تجذب الانظار بجمال اخراجها وحسن اختيار ما يسطر عليها من الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة والحكم البالغة والعظات الدينية الموجهة .

● (١٩) الاهتمام باختيار شعار للمدرسة من الآيات والاحاديث

ويدرس الطلاب والطوالب بشتى الوسائل على الالتزام بما في هذه الشعارات من قيم ومفاهيم ويمكن ان يختار لمدارس البنات الشعار الذي يدعو الى البعد عن التبرج والتمسك باهداب الفضيلة والاحتشام في الملبس والمظهر .

● (٢٠) أن يكون للتربية الدينية ركن في المكتبة العامة وفي مكتبات الفصول ويزود هذا الركن بخير ما تخرجه المطابع من الكتب الدينية الحديثة التي تربط بين الدين والحياة وبين الدين والعلم وتناسب كل مرحلة من المراحل الدراسية .

● (٢١) أن يكون للمصحف الشريف مكان الصدارة في المكتبه العامة ومكتبات الفصول ومكتبة المصلى .

● (٢٢) العناية بالوسائل المعينة التي تساعد التلاميذ على فهم ابواب المنهج الديني وتشوقهم اليه وتؤكد مفاهيمه في نفوسهم على ان يشترك الطلاب في اعدادها .

● (٢٣) أن يكون بيد الطلاب فيما يقرر لهم من الكتب كتاب ذو موضوع واحد يصور بعض البطولات الاسلامية والمعارك الاسلامية وامجاد الاسلام العسكرية والعلمية لتكون مثلا عليا امام الطلاب .

● (٢٤) ينتفع بمجلس الآباء في دراسة وانقاذ كل ما يجد من مشكلات في سلوك الطلاب وعلاقتهم بالمدرسة وتصرفاتهم الخارجية .

● (٢٥) أن يحرص الزائرون الرسميون للمدرسة على الصلاة امام التلاميذ ومعهم ليترجموا عن العناية والاهتمام بامر الدين فتنصرف هذه العناية الى التلاميذ .

● (٢٦) أن نستعين ببعض أولياء الامور وغيرهم من المثقفين ثقافه دينية واعية ، في القاء بعض المحاضرات او الدروس الدينية ليكونوا من ادوات التاثير ، وعوامل الاستجابة من الطلاب ، مع الاهتمام بما يدور بين الطلبة من تيارات ونزعات قد تنحرف بالعقيدة والوجدان الديني .

● (٢٧) التزام الحشمة والوقار في الزي بمدارس البنات بين المدرسات والطالبات .

● (٢٨) أن تعد المدرسة معرضا دينيا ينظم كل ما انتجه الطلاب من وسائل تعليمية دينية كصور المصلحين الاسلاميين ومناسك الحج والمعارك والغزوات ، مع بعض البحوث الدينية التي اعدها الطلاب باشراف رائدهم ، وفي هذا تجسيد للقيم الروحية التي ننشدها لاعداد الجيل الجديد .

● (٢٩) اذا امكن وصل النشاط الطلابي بالجماعات الاسلامية القائمة في البلاد كان ذلك حسنا على ان يتم تحت اشراف المدرسة .

● (٣٠) يوضع اليوم الدراسي في اطار يحدد أوله ونهايته تحديدا متصلا بالدين فلا يدخل التلاميذ فصولهم فرادى ، ولا ينصرفون منها فرادى ولكن يجمعون في صفوف قبل الدراسة والانصراف ليرددوا اناشيد دينية وقومية ذات معنى روحي وخلقي .

● (٣١) أن تقوم المدرسة ببعض الرحلات الدينية التي يزور فيها الطلاب المساجد الكبرى . والمتاحف الاسلاميه والآثار والمعالم الدينية والتاريخيه والمناطق السياحيه الدينية ، مما يوحي اليهم باصالة ماضيهم الاسلامي وحضاراتهم المجيده التي كانت مصدر اشعاع للعالم .

● (٣٢) أن يكون في كل مركز صيفي للخدمة الاجتماعية بالمدارس ، وكذلك بالمصايف والمعسكرات مثقف ديني يشرف على سلوك الطلاب ويزودهم بما يقوم سلوكهم ويهذب اخلاقهم كما نرجو ان يعنى المركز او المصيف او المعسكر بعرض المناشط الدينية المحببة كالاناشيد والقصص والمسرحيات والانشطة الاسلامية .

● (٣٣) تفتح ابواب بعض المدارس في كل حي من الاحياء في جميع المدن بجمهورية مصر العربية تحت اشراف مسئولين وذلك لتحفيظ القرآن الكريم في مدة العطلة الصيفية وان تخصص مكافآت مغرية لمن يحفظ جزءا من القرآن وكلما زاد عدد الاجزاء من القرآن زادت المكافآت .

الحوافز :

● (٣٤) خلق الحوافز بين الطلاب المتميزين دينيا من مثل اعفائهم من بعض الرسوم المدرسية او رسوم الرحلات أو غير ذلك .

● (٣٥) أن ترصد نسبة مجزية من حصيلة مجلس الآباء لتأثيث المصلى ، واثابة المجيدين والمسابقات الدينية واعانة المحتاجين من الطلاب .

● (٣٦) أن ترصد المناطق التعليمية مكافآت مالية سخية للطالب المثالي في السلوك الديني القويم ليحفز ذلك غيرهم الى أن ينهجوا نهجهم ويسلكوا سلوكهم .

● (٣٧) اعداد لوحات شرف للممتازين في تحصيلهم الديني وسلوكهم المستقيم ولمن يقوم بأعمال في البر تستلزم التنويه بها والاشادة بمن قاموا عليها .

● (٣٨) اعداد شهادات تقديرية للطالبة او الطالب الذي يمتاز بالتحصيل الديني ويسهم في انشطته ويتمسك بحبل الفضائل على أن ترسل هذه الشهادات الى ذويهم لتبعث فيهم الحماسة للتربية الدينية في المنزل ، وليحرص البيت على النماء الروحي لهؤلاء الابناء .

وبعد

● **(٣٩) كل ما قدمناه انما يدعم بالاجهزة الاعلامية الطاهرة النقية ، اما اذا بقي الحال على ما هو عليه في الصحافة والاذاعة والتليفزيون وغيرها من وسائل الاعلام فالجهد ضائع ، لان ما يبنى هنا تهدمه هذه الوسائل هناك .**

والله ولي التوفيق

● اسئلة واجوبة : (١)

السؤال الاول : « المرحلة القائمة في العالم الاسلامي هـل تبشر بالخير وتثير التفاؤل ، أم انها على النقيض نذير سوء ولا خير من ورائها ؟ »

الجواب ــ العالم الاسلامي اليوم في فترة كئيبة من تاريخه الطويل، فترة فقد فيها وحدته، ونسي رسالته، والمت به اغفاءة كبرى جعلته يتدحرج في مؤخرة الركب الانساني ضعيف الوعي والحركة يطمع فيه العدو وياسى لـه الصديق .

وهذه حالة منكوره يستحيل قبولها أو ارتقاب خير من ورائها . .

ولقد قلت في كتاب لي ــ لما يظهر بعد ــ ما اظنه اجابة شافية على هـذا السؤال :

الفقر الحقيقي في الامة الاسلامية الكبيرة هـو هـذا الشلل الغريب في الهمم والمواهب وهذا التخلف السحيق في مجال الانتاج والاجادة .

ثم ذلكم العبث بمعنى الايمان والنكوص عن منطقه . الـى جانب تعلق وضيع بالشهوات ونهمة بادية الى الدنيا .

وما نصف خصومهم بأنهم يكرهون الحياة وملذاتها ، بيد أن الامم القوية تبلغ ما تهوى بوسائلها الخاصة ، امـا الامم الضعيفة فهـي تلهث وراء غيرها تتعلق بركابهم تعلق المتسلقين بمركبات النقل او المتسولين بأذيال السادة .

والنهوض الحقيقي هو زوال هذه العلل وفناء جراثيمه ، وقدرة الامـة على الاستغناء بعملها وانتاجها ، والاستهـداء بايمانها وفضائلها ، والاستعلاء على متاع الدنيا بحيث تأخذ منه بقدر وتنصرف عنه متى شاء !!

ويؤسفني التصريح بأن الشعوب الاسلامية حتى يومنا هـذا لم تبـدأ نهضة صحيحة ، وان مظاهر التقدم التي نراها او نسمع عنهـا هـي امتداد نشاط القوى الكبرى في العالم اكثر مما هي تطلع المتاخرين للتقدم .

فالغرب الصليبي يصطنع شعوبا شتى لخدمة مآربه ويمدها بكثير مـن عونه المادي ، وقليل من تقدمه الحضاري .

والشرق الشيوعي ينافسه في هـذا الميـدان ، ويحاول الاستفادة مـن اخطائه او يحاول ميراثـه اذا انتهى في مكان مـا وجمهرة المتعلمين أوزاع ، بعضهم يؤثر النمط الغربـي في الفكـر والسلوك ، وآخـرون قـد اعجبتهم الماركسية فاصطبغوا ظاهرا وباطنا بنزعتها .

اما الذين يتشبثون بالعقائد والفضائل الاسلامية ويريدون بناء المجتمع الكبير على دعائم الوحي المحمدي فقلـة غامضة في الناس ، ولا اقول منكورة

---

(١) هذه الاسئلة ــ وغيرها ــ وان كانت هي الشغل الشاغل لكثير من الطلاب الا ان الـذي تقدم بها هم طلبة جامعة الاسكندرية .

الوجه ، منكودة الحظ

من أجل ذلك قلت ان **الشعوب الاسلامية لم تبدأ بعد نهضة صحيحة، تكون امتدادا لتاريخها وابرازا لشخصيتها ، او نمـــاء لاصلهـا ، وتثبيتـا لامجها .**

ومن الغلط تصور اني احرم الاستفادة من تجارب الآخرين ومعارفهم ! كيف وهؤلاء الآخرون ما تقدموا الا بما نقلوه عن اسلافنا مـن فكر وخلق ووعي وتجربة. ان دولة الخلافة الراشدة اقتبست في بناء النظام الاسلامي من مواريث الروم والفرس دون غضاضة .

وعندما آكل اطعمة اجنبية انا بحاجة اليهــا فالجسم الذي نمــى هو جسمي ، والقوى التي انسابت في اصالة هي قواي .

المهم أن ابقى انا بمشخصاتي ومقوماتي ... المهم ان ابقــى وتبقى في كياني جميع المبادىء التي امثلها والتي ترتبط بي وارتبط بها لانها رسالتي في الحياة ووظيفتي في الارض .

هذا هو مقياس النهضة وآيـــة صدقها او زيفهـــا ، **فهـل في العالم الاسلامي نهضات جادة تجعـل الاسلام الحنيف وجهتهـا ، والرسول الكريم اسوتها ؟**

اننا هنا حريصون اشد الحرص عـلى جعـل البناء الجديد ينهض على هاتيك الدعائم .. واذا كنـا نستورد مـن الخارج ثمرات التقدم الصناعي ، وننتفع من خيرات غيرنا في آفاق الحياة العامة فليكن ذلك في اطار صلب مـن شرائعنا وشعائرنا .

فانه لا قيمة لاحدث الآلات اذا تولـى ادارتهـا قلب خرب ، ولا قيمـة لافتك الاسلحة اذا حاول الضرب بها فؤاد مستوحش مقطوع عـن الله مولع بالشهوات .

ان بناء النفوس والضمائر يسبق بناء المصانع والجيوش وهـذا البنـاء لا يتم الا وفق تعاليم الاسلام [1] .

السؤال الثاني : هل تعتقد ان قضية فلسطين يمكن أن تحل سلميا كما ينادي البعض ؟ واذا كنت تعتقد هذا فما صورتـه في ذهنك ؟ واذا كان رايكم ان الحرب هي الامثل فما صورتها ؟ هـل حرب شعوب ام حرب حكومات ، وهل تكون عربية ام اسلامية ؟

الجواب ــ لقد قرر اليهود اقامة وطن قومي لهم في فلسطين ، وتحولت امانيهم الدينية الى مخططات مدروسة تنفذ بدقة وصرامة .

فهم باسم التوراة والتلمود جاءوا .

---

(1) من كتاب « حصاد الغرور » الذي تضمن مـا القاه الكاتب مـن محاضرات في جمعيـة الاصلاح الاجتماعي ، مع بحوث اخرى .

وتحت شعارات من الوحي الذي يقدسونه تحركت مواكبهم من ارجاء الشرق والغرب صوب فلسطين .

وفلسطين عندما قرر اليهود الاستيلاء عليها لم تكن ارضا خلاء بل كانت مسكونة بالوف مؤلفة من العرب ، ومعنى تهويد هذه الارض طرد من عليها من سكان أو ابادتهم وفق تعاليم العهد القديم .

وقد اعان الاستعمار اعانة فعالة على تحقيق هذه الغايات وتقريب بعيدها وتذليل صعابها ، وانتهى الامر في سنة ١٣٩٠ من الهجرة الى قيام دولة لليهود تحاول البقاء في وجه مقاومة متفرقة من العرب الذين صحوا على اشباح الضياع والذل والخيانة تحيط بهم من كل مكان ، فهل يحتاج فهم هذا الموقف الى ذكاء سطحي او عميق ؟

ان الحرب قد اعلنت بالفعل على العرب ، وهدفها المحدد اجلاؤهم او افناؤهم واقامة وجود ديني يهودي على انقاض جنسهم ورسالتهم وكتابهم فاين مكان الاسلام في هذا الوضع ؟

ان السلام هنا معناه الاستسلام للذبح ، معناه قيام اسرائيل لا داخل حدودها الحالية وحسب !! بل في الاطار الذي رسمته التوراة : من الفرات الى النيل !!

ومعنى هذا ــ دون كد الذهن او اعمال الذكاء ــ سحق الوجود العربي الاسلامي في الشرق الاوسط ، ثم الاجهاز على اطراف الامة الاسلامية الكبرى في افريقيا وآسيا بعد زوال الكيان العربي الاصيل اذ العرب دماغ الاسلام وقلبه ! وتلك هي الغاية التي تسعى لها قوى كثيرة وتتجمع لتحقيقها عناصر شريرة .

واني المس وراء التحركات الكثيرة ضد فلسطين واهلها هذه النيات السود ، وتلك الاهداف الرهيبة ، وان اعجب فعجبي للذين يقادون الى مصارعهم وهم مخدّرون ، وتلطمهم الاحداث وهم غافلون « او لا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون » (١) ؟

ان الحرب فرضت فرضا على العرب ، فلا خيار لهم بازائها ، ولا مكان للتساؤل عن فرص تجنبها بعدما دارت رحاها على يومنا وغدنا .

ولا معنى لتجنب الحرب الا الاستسلام للفناء والرضا بالتلاشي والانقضاء ، وما دام القتال قد كتب علينا بدوافع دينية واحقاد تاريخية واطماع استعمارية ، وما دامت غايته ابادتنا فلا بد أن نتلاقى عربا ومسلمين ، حكومات وشعوبا لرد هذه الغائلة واستبقاء وجودنا المهدد .

ان الحرب المعلنة علينا دينية لا يماري في ذلك عاقل ، وما دامت العقيدة سلاحا يرتكز عليه العدوان فلم لا تكون العقيدة سلاحا يرتكز عليه

---

(١) التوبة : ١٢٩ .

الدفاع ؟ وما معنى ابعاد الاسلام عن معركة هو فيها مستهدف ؟ وامته فيه ضحية اليوم والغد ؟

انني اعتقد في اعماق قلبي ان ابعاد الاسلام عن المعركة لا يخدم الا بني اسرائيل ومن وراءهم من الحاقدين على رسالة محمد وجنسه القدامى والمحدثين .

وابعاد الاسلام عن القتال الدائر انفع لبني اسرائيل من امدادهم بالف طائرة من افتك طراز .

انه لا يفل الحديد الا الحديد ، ولا يصد عدوانا يعتمد على دين الا دفاع يستند الى دين .

السؤال الثالث : الشيوعية والراسمالية تتصارعان على اقتسام الارض فما هو موقفنا ـ كمسلمين ـ من هذا الصراع وما هو رايك في مستقبل النظامين ؟

الجواب ـ في العالم جبهتان متقدمتان ماديا وعقليا تتنازعان زمامه وتبغي كلتاهما ان تنفرد بقيادته وتوجيهه . .

والمفروض في نظر الكثيرين ان تنتصر احداهما لبسط سلطانها على العالم اجمع .

ولست في جانب هذا الفرض ، بل ما ارجحه انه **ستوجد جبهة ثالثة تقدم للعالم نموذجا افضل لمجتمع بشري عادل حر مؤمن بالله ورسله لا يطمع في السيطرة على الآخرين ولكنه يستطيع ان يضيء لهم الطريق .**

ولي ملاحظة على العنوان الذي يطلق على العالم الراسمالي !

ان راس المال عندما يتكون من حلال طيب ، لا من مال منهوب ولا من حيف على الطبقات الكادحة ، وعندما يقوم بسد الثغرات الاجتماعية لا بتوسيعها ، واحترام الحقوق الادبية لا اهدارها انه في هذه الحالة يصلح اساسا لجماعة انسانية كريمة ولكن العالم الراسمالي الآن يقوم بعمليات خطف كبرى لثروات الشعوب ويعمل على توسيع الفتوق في الكيان العالمي ويجتهد في اهدار الكرامة البشرية للملونين ، كما يجتهد في اهدار حقوق الامم الضعيفة وابقائها في منزلة التابع المهين .

وعندي ان العالم الشيوعي انما يمتد مستغلا اخطاء الراسمالية في الميادين الاجتماعية والسياسية وهي اخطاء جسيمة وهناك كتل من الشعوب التي ضارها الحرمان والذل ، ترمق المعسكر الشيوعي بعين الخيال ، تحسب ان نجاتها عنده ، وعذرها انها تريد الخلاص مما تعاني الى ما تؤمل !! ثم ان الدين قد تخلى عن وظيفته السماوية في ظل هذه الراسمالية !!

وقد راينا ـ نحن العرب ـ كيف تجمع اليهود على ديانتهم لاستئصالنا، وكيف اعانتهم الدول المسيحية الكبرى علينا اشباعا لحقدها وجشعها .

فاذا احتقر الماديون دور الدين في صياغة مستقبل الانسان فهم

معذورون ، لان طبول الحاخامات والبابوات كانت تدق بحماس في مواكب المعتدين !!

ان العالم الراسمالي ينتحر بما يتناوله من تفرقة عنصرية ومظالم مادية وادبية ، وبما يكنه في ضميره الآثم من ضغائن على الاسلام والمسلمين ..

فهل معنى هذا الكلام ان البشرية ستؤثر الكفر بالله والبعد عن هداه ؟ لا اعتقد .

انها ستبقى في حيرة تطول او تكثر حتى يوجد جيل من الناس يقدم لها الهدى مقرونا بالعدل ، والحرية مقرونة بالفضيلة ، والايمان بالروح مقرونا بتقدير الجسد ، والايمان بالآخرة مقرونا بتقدير الدنيا .

ما اسم النظام الذي يقوم بهذا الدور الفريد المجيد ؟

- **اسمه الاسلام !**

وليس للاسلام الآن امة تقدّمه بمفهومه الحقيقي القديم ! توجد بقايا كيان متهدم تفوح منه رائحة البلى تنتشر بقاياه على أديم القارتين القديمتين، وتسكن في اكواخه ثمانمائة مليون مسلم ..

انا شخصيا احد الضائقين بأحوال هذه الامة النائمة .. كما انني احد الذين يناشدون امتهم تلك أن تعود الى ربها ونبيها وكتابها ، والله يعلم متى تجيب ؟

انني أطلب من المسلمين ــ قبل ان يحددوا موقفهم من هذا وذاك ــ ان يحددوا موقفهم من الاسلام المستوحش الغريب ، ثم على ضوء هذا الموقف نعامل الصديق والعدو !!

وحقيقة أخرى اقررها هنا .. ان الاسلام لما ياخذ بعد امتداده الذي كتب الله له !

لقد روى الامام احمد (١) في مسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين سيبلغ ما بلغ الليل والنهار .. وهذا تعبير غريب وهو صريح في ان الاسلام سيصبغ العالم اجمع .

كما جاء في الصحاح انه باسم الاسلام ستمتلىء الارض عدلا بعدما ملئت جورا ، وان صحراء الجزيرة ستتحول الى أرضين تهتز زرعا (٢) ، وفي حديث آخر « امتي كالغيث لا يدرى أوله خير ام آخره » .

ومن هنا فنحن نعتقد ان المستقبل لدين الله الحق لا للنظم الارضية الاخرى ، واذا كان مسلمو اليوم ضياعا فلأنهم ينتمون الى الاسلام انتماء مزورا ، وهم عبء عليه لا عون له !

---

(١) ابن حبان في صحيحه كما قدمنا .

(٢) اشارة الى حديث مسلم (٨٤/٣) واحمد (٧٠٣/٢) والحاكم (٤٧٧/٤) . وراجع الاحاديث الصحيحة للشيخ ناصر : (١٠/١) .

واذا انتهى دور الاسلام في الارض فذلك ايذان بانتهاء الانسانية على سطح هذا الكوكب ، وبدء حساب الاولين والآخرين على ما اقترفوا من خير وشر !

السؤال الرابع تتور نزعات نحو وحده او اتحاد في منطقتنا تحت شعار القومية العربية او القوى التقدمية او تطالب بتجمع اقليمي كالمغرب الكبير مثلا . فما رايكم في هذا اللون من التفكير ؟ وهل عندكم بديل او صيغة اخرى تقدمونها للمجتمع المسلم ؟

الجواب ـ التجمعات الاقليميه في اطار التكامل الاقتصادي والعمراني امر لا حرج فيه بل قد يكون من المصلحة العامة دراسة اقطار العالم الاسلامي الرحب لانشاء تجمعات كثيرة تنتظمه شرقا وغربا وتكفل تقدمه المادي والاجتماعي والمغرب الكبير أو وادي النيل او الجزيرة العربية او جزائر اندونيسيا او غير ذلك من الوحدات الاقتصادية المتناسقة يمكن ان تولد وتنمو داخل الكيان الانساني الموحد الذي يجب ان يعود الى الحياة الدولية مرة اخرى .

ان الصعوبات التي تتوهم امام أي تجمع اسلامي اقل من الصعوبات التي انتصبت بالفعل امام اي تجمع عربي ..

ولكن أمام المناضلين المسلمين مراحل طويلة حتى يستطيعوا ان يقيموا جامعة اسلامية ضخمة تلم شمل المسلمين ، وتداوي جراحاتهم ، وتحرر مستعبديهم ، وترد العدوان عنهم .

ولا ادري لماذا يكون الوجود الصيني واقعا عاديا فيصبح ٨٠٠ مليون انسان دولة موحدة ويكون الوجود الاسلامي خيالا مستبعدا ؟ ولو كان اتحاد ولايات أو تحالف دول متآخية !!

ان شئون المسلمين لا تعالج للأسف بالعقل العادي ، فالتأثر بالاستعمار والتبعية الذليلة للغزو الثقافي هما اساس التجهم الغريب لكل كلام عن الاسلام وامته الكبرى ووحدته المنشودة ..

ان الغارة الاستعمارية التي شنتها اوربا على الاسلام وأتباعه منذ قرنين تقريبا استهدفت أمرين رهيبين :

- الاول : رفض اي تلاق على الاسلام بين الشعوب المنتسبة له ، وتمزيق الولاء الموروث نحو الجامعة الاسلامية واحياء نزعات قومية حقيقية ومفتعلة ، تجعل ابناء الاسرة الواحدة متناكرين لا يلوي احدهم على الآخر ولا يحترم آصرة الدين المشترك .. وبذلك اصبح المسلمون اوزاعا بين ٦٠ أو ٧٠ جنسية في المجال الدولي .

- **الثاني : تمويت الايمان في ضمائر الافراد بحيث ينفصل السلوك عن العقيدة ، فينحرف هذا وتنكمش تلك ، ويصبح المجتمع مسرحا للمباذل المستقرة والاهواء الطاغية والتيارات الطائشة ، ثم يتحول ما بقي من دين الى اشكال فارغة وبدع حقيرة لا تغني عن اصحابها شيئا .**

وبكلا الامرين تجح الاستعمار الحاقد في بلوغ أهدافه منا وكان وصوله الى اقامة اسرائيل سهلا بعد التمهيد المزدوج الذي شرحناه آنفا، وهو إبعاد الولاء للاسلام في المجال العام، وتوهين الرباط بالعقيدة في مجال العبادة والخلق وانواع المعاملات الاخرى .

ونستطيع ان نقول دون مواربة او مداهنة ان كل نزعة ترمي الى انصاف الاسلام ـ من حيث هو جامعة عامة أو من حيث هو ضمير ـ ليس الا امتدادا للزحف الاستعماري والتفافا خسيسا حول بقايا الايمان في قلوبنا وصفوفنا .

ولن تجد اسرائيل خيرا من هذه النزعات يعينها على البقاء، ويضاعف انتصاراتها علينا .

ولا ادري كيف فشت هذه الخيانات الدينية في ارجاء الامة العربية ! ان هناك معادلة يجب ان يحفظها كل عربي عن ظهر قلب هي « عرب ـ اسلام = صفر » .

نعم ، العرب بدون دينهم لا يساوون شيئا ..

وقد كنا نحن مسلمي افريقيا لا نفرق بين العروبة والاسلام ، كما ان مؤرخي أوربا لا يعرفون هذه التفرقة حين قال « جوستاف لوبون » : ان العالم لم يعرف فاتحا ارحم من العرب حتى البدعة المهينة التي اختلقها ميشيل عفلق واقترح فيها البعد عن الاسلام طريقا للبعث العربي !

والواقع أن الرجل بنصيحته تلك كان يحفر القبر العربي ليدفن فيه امة ورسالة .

وليس غريبا من مثله ان يصنع ما صنع ! انما الغريب أن يفتتن بنعرته بعض الناس فيسارعوا الى الارتداد عن الاسلام والكفر بالله والمرسلين .

فماذا افادوا ؟ انه لم تظهر دعوة اشأم على قومها وابين فشلا واسوأ عقبى ، من هذه الدعوة المرتدة .

ولعل العرب يعقلون بعد ان مس جلدهم لهب الاحداث ويعرفون الى اين قادتهم هذه الخدع ، وكيف عفرت وجوههم بالتراب ؟

وفرية اخيرة نريد دحضها . ان الاسلام لا يعرف التعصب ضد أديان اخرى ، ولا يجعل الاختلاف الديني ذريعة قتال وخصام ولو ان البضعة عشر مليونا من يهود العالم عاشوا بين ظهراني المسلمين ما احسوا غبنا ولا شكوا اضطهادا مثل ما وقع عليهم في أوربا . ان اوربا رمتنا بدائها وانسلت ، انها كانت ولا زالت تجعل الخلاف الديني والمذهبي مثار حروب وعداوات وهي بهذه العقلية تحاول تمزيق الكيان العربي الذي عاش فيه المسيحيون دهرا طويلا مواطنين مكافئين للمسلمين في الحقوق والواجبات ، وهدفها اما قتل الاسلام واما خلق فتن طائفية في كل مكان .

والخطة معروفة ، وعلى المسلمين أن يزدروها ويزدروا مروجيها ويفضحوا من وراءهم .

ان مطالبة العرب بالتخلي عن الاسلام محالة لا قرار لها ، واني اقول لقومي : لا خيار لكم امام مؤامرات عالمية واسعة .. مطلوب منكم أن ترتدوا من دينكم وان تتنازلوا عن أوطانكم وهذه وتلك طريق العار والنار ..

وتستطيعون ان تستندوا الى ربكم وتجاهدوا دون وجودكم المادي والمعنوي .

واسمعوا قول رسول الله لكم « ان ربي قال : يا محمد ، اذا قضيت قضاء فانه لا يرد ، واني اعطيتك لامتك الا اهلكهم بسنة عامة ، والا اسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بين اقطارها » .

أي أن قوى الشر لو تألبت كلها ضدنا ما نالت منا شيئا اذا توحدت كلمتنا وتجمع شملنا وتماسك صفنا ، اما اذا تفرقنا شيعا وانقسمنا احزابا فسيأكل بعضنا بعضا ويخلو الطريق للمتربصين .

السؤال الخامس : الناس يقولون ان التشريع الاسلامي مثالي للغاية ، ولكن لا يصلح للتطبيق في زماننا هذا لتداخل الظروف وتعقد الحياة الاجتماعية ، فما رأيكم ؟

الجواب ـ التشريع الاسلامي تراث رباني وانساني ضخم ، والحكم عليه بكلمات عابرة ضرب من الطيش يتنزه عنه العقلاء .. ولما كان هذا التشريع يتناول شئون الاسرة ، واشتات المعاملات المالية والتجارية ، ويبت في عقوبات لطائفة من الجنح والجنايات ويوجه في اخرى ، بل ان هذا التشريع يتناول دستور الحكم في الدولة ويتعرض للعلاقات بينها وبين الدول الاخرى في حالتي السلم والحرب .. لما كانت دائرة هذا التشريع رحبة الى حد بعيد فان المرء يحار في تفسير كلمة « مثالية » هذه التي يرمى بها الاسلام في جانب رائع من تعاليمه .

وسأمشي مع الحدس في تلقي هذا الاتهام وتحديده !

لعل الاسلام مثالي في رجمه الزاني او جلده .

ان بعض الناس اذا ذكر الشرع الاسلامي وثبت الى ذهنه هذه القضية الخطيرة جدا (!)

وعجيب ان يذهل الفكر البشري عن آيات الابداع القانوني في ازكى ميراث حضاري وعته الانسانية في تاريخها الطويل فلا ينزعج الا لرجم الزاني او جلده ، او بعض صور الحدود والقصاص الاخرى .

ان قصة الرجم يوم تكون سوأة تشريعية ـ كما يتصور البعض ـ فستكون سوأة الاديان كلها لان الرجم هو حكم التوراة كما لا يزال مقررا في العهد القديم ، وكذلك احكام القصاص الاخرى !

وغريب ان يكون هذا الحكم شديدا وان هذه الغرابة تنقطع يوم يبيح القانون المصري الزنا ، ما دام بالتراضي واللواطة ايضا (!) ما دام الطرفان متفاهمين !!

يمضي الاتجاه الواقعي في مجراه المقبول (!) فيمد د فاضل امريكي

برجل ضرب زوجته لانها زنت مع صديق له وينصحه ان يطرح رجعيته او مثاليته ويعيش في هذا العصر المتقدم !!

اذا كانت المثالية تعني الشرف والتسامي وارضاء الله وضبط النفس وتهذيب الغرائز فيجب ان يكون التشريع مثاليا ، ومن السماحة ان يعاتب الاسلام في هذا المضمار ..

اما الواقعية التي تعني اقرار الفسوق والعصيان . فلا ادري لماذا تسمى قانونا ؟

ان المسألة ليست قتل مجرم او قطع يده او جلد بدنه .. ان المسألة اكبر من ذلك ، والشريعة الاسلامية اكبر قدرا من ان تتناول بهذا الصغار الفكري .. الامر يتصل اولا بحقيقة العلاقة بين الناس وربهم ، وطبيعة الدين الذي نزل يحكم فيما شجر بينهم ..

هذا موضع الخلاف بيننا نحن المؤمنين ، وبين غيرنا ممن وهت صلتهم بالله .

نحن نعتقد ان الوحي كل لا يتجزأ ، وان حق الله في الحكم على عباده فوق الجدل ، وان شريعته تحقق العدالة والمصلحة ، وان تكذيب آية في الميراث كتكذيب آية في التوحيد او في الصلاة ، لا معنى لها الا رفض الخضوع لله ، والرد لامره ونهيه .

اما بالنسبة الى قصة المثالية والواقعية التي قد ترد على بعض الاذهان فنسوق في دحضها كلمات مبينة للاستاذ العقاد من كتابه « حقائق الاسلام واباطيل خصومه » (1)

« وعلى هذه السنه من المساواة بين حق الدين في نشر العقائد ، وحقه في فرض الشرائع والمعاملات ننظر الى معاملات الدين الاسلامي كما ننظر الى عقائده فلا نرى فيها ما يعوقه عن اداء رسالته العالمية الانسانية التي توافرت له بدعوة الى اله واحد هو رب العالمين اجمعين ، وخالق الامم بلا تمييز بينها في الحظوظ عنده غير ميزة التقوى والصلاح . رب المشرقين ، ورب المغربين يصلي له المرء حيث كان : « واينما تكونوا فثم وجه الله » .

فما منع الاسلام قط معاملة بين الناس تنفعهم وتخلو من الضرر بهم ، والغبن على فريق منهم .

واساس التحريم كله في الاسلام ان يكون في العمل المحرم ضرر او اجحاف ، او حطة في العقل والخلق .

وما فرض الاسلام من جزاء قط الا وهو « حدود » مقدرة بقدرها ، وشروطها وقيودها صالحة على موجب تلك القيود والشروط للزمان الذي شرعت فيه ، ولكل زمان يأتي من بعده ، لانه لا تجمد ، ولا تتحجر ، ولا

---

(1) ص ١١٥

لتحري شيئا غير مصلحة الفرد والجماعة ، وكفى باسم « الحدود » تنبيهـا الى حقائق الجزاء والعقاب في الاسلام فانها « حدود » بينـة واضحة تقـوم حيث قامت اركانها ، ومقاصدها ، وتحققت حكمتها وموجباتها . والا فهـي حدود لا يقربها حاكم ولا محكوم الا حاقت به لعنة الله .

والشبهة المتوافرة في العصر الحاضر انما ترد عـلى المعاملات الاسلاميه من قبل الناقدين ، والمبشرين لانها تمس ضرورات الحياة المتجددة كل يوم، وترصد للمسلم في طريقه حيث سار فيتحـرى النـاقـد الموطن الحساس من نفس المسلم حتى يلقى في روعة ان شيئا في دينه يغل يديه عـن العمل في عصر المصارف والشركات ، وان شيئا في دينه يتقهقر بـــه الـى الوراء ولا يصلح للتطبيق في عصر النظم الحكومية التي تجري القضاء والجزاء على اصول العلم والتهذيب .

وليس في المصارف والشركات شيء نافع بريء مـــن الضرر والغبـن يحرمه الاسلام » .

... ان اساطين القانون اعترفـوا في مجامعهم العلميـة ومؤتمـراتهم الدولية بما للشريعة الاسلامية من قدر رفيع ..

والواقع ان ائمة الفقه عندنا ــ عـــلى اختلاف مذاهبهم ومدارسهم ــ ورثونا تركة فنية لا نظير لها في ازهى المدنيات القديمـة والحديثة ، ولا تزال بحوثهم الفنية المترفة مفخرة للفكر الانساني المجرد .. ثم جاءت هذه الاجيال الهابطة من ذراري المسلمين المتخلفين تنظر الى ما لديها من كنوز نظرة بلهاء ، ثم تردد مع عملاء الصهيونية والاستعمـار ان الاسلام مثالـي وأن شريعـة لا يصلح للمجتمع !

اذا محاسني اللاتـي ادل بهـا كانت عيوبا فقل لي : كيف اعتذر

السؤال السادس : قضيـة الجنس استبـدت بتفكير الناس وفرضت نفسها على المجتمعات متحضرة ومتخلفة ، فما العلاج عندكم ؟

الجواب ــ استشراء الفساد الجنسي امسى حقيقة لا ريب فيها، ولكني أعد التقاليد الاسلامية البالية شريكة في المسئولية الجنائية مـع الانحلال الـذي وفدت به المدنية العصرية ..

ان هذه التقاليد لا تعرف الاحكـام الاسلاميـة الصحيحة في كثير مـن القضايا ، واذا عرفتها لم تقف مع بواعث التقوى وخشية الله في تنفيذها ..

ومن مقررات هذه التقاليد المريضة جعل الزواج مشكلـة اقتصادية رهيبة . ثم فساد الصورة الانسانية لوظيفة المرأة قبل الزواج وبعده . والجهل التام بدور الاسرة في التربية على امتداد مراحل العمر وهذه التقاليد التـي تنهض على الرياء والتظاهر والتكلف كانت ولا زالت مـــن اسباب انهيار الحضارة الاسلامية وتوالد اجيال حقيرة الفكر والسيرة والاماني والهمم .

ولكي نعود الى ديننا ونتصل بســيره الاول ، ونتحصن ضد العلـل النفسية والاجتماعية التي زحفت علينا مع الغزو الاجنبي لا بـد مـن رعاية

امور شتى :

- **اولا** : توثيق الصلة بين المراة وينابيع الثقافة الدينية والمدنية .
- **ثانيا** : اعادة الحياة للعلاقة بين النساء وبيوت الله في الصلوات .
- **ثالثا** : تدريس الوظائف التربوية للبيت المسلم حتى نستطيع تخريج اجيال تعرف ربها ودينها ومعاشها ومعادها على قواعد مغروسة في اللحم والدم ، وفضائل يرضعها النشء مع اللبن .
- **رابعا** : الحكم باعدام ما تواصى المسلمون به في تقاليد الزواج من مغالاة في المهور واسراف في الحفلات وتكديس للاثاث وتنافس في الكماليات ، واعادة الزواج الى معناه السهل القديم ليكون عصمة وسياجا للدين والدنيا.
- **خامسا** : وصل ما بين البيت المسلم وقضايا المجتمع الكبرى حتى لا يحيا بيت في جو منافعه الخاصة جاهلا أو جاحدا ما وراءها ولو ان كل دولة مسلمة انشات وزارة للاسرة والشباب كي تضمن ما ذكرنا ما كان ذلك كثيرا ، بل لعله يكون اقرب الى حياتنا الاسلامية الصحيحة .

لقد راقبت وضع المراة في شتى البيئات فوجدت انسانة محكوما عليها بالجهل او القصور ، مفروضا عليها التفريط في حقوق الله وتعاليم دينه فلم ذلك ؟ وكيف يقع ذلك باسم الاسلام ؟

ورايت جماهير المسلمين وكانها متفقة على جعل الزواج مشكلة تقصم الظهور دون مبالاة بما ينشأ عن ذلك من شيوع الفسق والفجور ، فاي تدين هذا ؟ وبأي حق يستولي بعض الآباء على المهور ؟

وبأي حق يكلف بعض آخر بالاستدانة ليعين على زواج ابنته ؟ ولماذا تطلب البنت عندنا أثاثا لا تطلبه لنفسها المراة الغربية ولا المراة الشرقية ؟

ان المراة العربية العادية ربما فرضت لنفسها بيتا لا تحلم به امراة من رواد الفضاء ، فلم بالله هذا الترف ؟

لماذا نرتضي اغلاق البيوت على الوف العوانس اذا لم يتزوجن وفق هذه التقاليد السفيهة ؟

والى أين تقودنا تقاليد الرياء التي تواضعنا على الاحتكام اليها ناسين ديننا ودنيانا على السواء ؟

اذا كان الاسلام دين الفطرة فان العالم الاسلامي يكذب على فطرته ، ويفتح اقطاره لفساد جنسي زاحف من كل ناحية يجعل الزنا عملة متداولة دون حرج ، ويعطي كل انثى وذكر حق الاتصال الحرام كلا او بعضا حسب ما يشتهي .

والذين يفتعلون الازمات والضوائق في الطعام الحلال لا ينتظرون الا اقبال الناس على الحرام الرخيص يعبون منه عبا .

وقد رأيت بنفسي ـ للاسف ـ ناسا يؤخرون زواجهم الى سن معينة حتى يتموه وفق تقاليده المقررة .. والى بلوغ هذه السن لا مانع من الزنا ، وغير الزنا !!

ورايت ناسا يستدينون بالربا ليقيموا الاحفال المطلوبه .

ومن هؤلاء من يقتل المراة اذا زنت ويترك الشاب دون غضب ! فعلمت ان المسلمين في هذا المجال وغيره لا يكترثون بحدود الله ولا يبالون سخطه ، وانهم كما يهوون ، وقد يتبجح بعضهم فيصف هواه بانه دين ، وما هو الا الكذب على رب العالمين .

يجب تسهيل الزواج واحكام التطبيق الديني في شئون الرجال والنساء على سواء .

السؤال السابع : مناهج التربية في مدارسنا وجامعاتنا صارت وسيلة للتوظف وكسب العيش ، وخلت من كل توجيه ونحن نحب ان نستنير برايكم في الوسيلة المثلى لمناهج التربية حتى يتخرج جيل مسلم .

الجواب – توجد في مدارسنا وجامعاتنا برامج دراسية حسنة تقدم انصبة من العلم تشبه ما تقدمه نظائرها في أعظم الاقطار ويمكن أن تكون بعض المراحل الدراسية عندنا مساوية في تقدمها العلمي لما يقابلها في الشرق والغرب . اما مناهج التربية تواكب مناهج للتعليم فالامر يحتاج الى نظر وتامل ..!

ان العلم شحن الاذهان بالوان لا حصر لها من المعرفة .

اما التربية فهي الافادة من هذا التقدم لتزكية الشخصية وتهذيب سلوكها ..

والتربية الدينية نوع خاص من البناء المعنوي يجعل المرء متجها بقواه كلها الى غاية معلومة وضابطا لحياته وفق نظام مرسوم ..

وهذا النوع من التوعية الدينية معدوم في بعض الجامعات محارب في بعضه ، معترف به ومعترف بغيره في بعض ثالث ، وربما قدم نصيب محدود منه في جامعة الأزهر ! والاصل في التربية تعهد الاخلاق ، ولما كان الخلق – بالتعريف العلمي – هو عادة الارادة فان المفروض في برامج التربية :

- **اولا** : ان ترسم الوجهة للسلوك المنشود .
- **ثانيا** : ان تدرب الافراد على هذا السلوك ، وتاخذهم به اخذا مستمرا حتى يصبح طبعا لهم وصبغة ثابتة فيهم فالمربي اشبه بالزارع الذي يتولى البذر والحرث والسقيا والحماية والاخصاب والانتقاء حتى تنضج الثمرة وتؤتي اكلها كل حين باذن ربها .

والطالب الذي يمر بهذه الادوار ، يصاغ في قوالب معروفة الشكل والصورة ، فاذا ربي على الصدق صعب عليه الاختلاق والتحريف ، واذا ربي على الامانة انزعج من العوج والغدر .

وفي اثر التعود واستقامة الوجهة يقول الشاعر :

تعود بسط الكف حتى لو انه ... ثناها لنخل لم تطعه اناملـه

ويقول آخر :

وينشأ ناشيء الفتيان فينا ... على ما كان عوده ابوه !

وقد ربى الله محمدا صلى الله عليه وسلم ليربي بـــه العرب ، وربى العرب ليهذب بهم العالم اجمع « لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانـوا من قبل لفي ضلال مبين » .

وكلمة التزكية تعني التربية ، والتسامي بالنفس وامتلاك الهوى .

وذلك معنى الآية « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها . قـد افلح من زكاها وقد خاب من دساها (١) » .

والتربية الاسلامية مذ دخل الاستعمار بلادنا تمر بمحنة شديدة ، فلما خرج ووقعت البلاد في الايدي التـي تتلمذت عليـه مرت التربيـة الاسلامية بمحنة اشد . .

وذلك هو السر في اننا نجد أصحاب محاصيل علميـــة كبيرة وكلفهـا قليلة الجدوى ، ان لم تكن قريبة الضرر .

فان العلم عنـد هؤلاء وقف عنـد حـدود التصور الذهنـي وحشو الادمغة بجمل من القوانين والاحكام .

اما التربية التي تتوسل بهـذا العلـم الـى رفـع المستـوى النفسي والاجتماعي والتي تحول الشخص الى صاحب مبادىء ومثـل يعيش لهـا وقد يضحي من اجلها . .

هذه التربية لم توجد لها بعد مناهج واضحة ومؤسسـات مسئولة .

والسبب في ذلك هو الكره الخفي او الجلي للاسلام وتاريخه ومطالبـه ووصاياه . .

التعليم في روسيا يكرس لخدمـة الشيوعية ، والتعليم في بـلاد كثيرة يربط بأهداف شتى . .

وكان مفروضا ان يصحب برامج التعليم عندنا برامج للتربية الاسلامية اليقظى تشرف على السلوك الفردي والجماعي ، وتجعـل الحياة الخاصـة والعامة محكومة (٢) بآداب الاسلام وتوجيهاته .

ولكن الاسلام دين مهزوم في المجالات الدوليـة وقـد انسحبت آثـار هزيمته على مطالبه في بلاده نفسها فأضحت كما نرى :

متعلمين يريدون بشهاداتهم العلمية مستوى معينا من المعيشة ، وسعرا خاصا لما نالوه من دراسات وكفى !

---

(١) سورة الشمس : ٧ ، ٩ .

(٢) راجع في هذا الباب : هذه القرارات لا نريد ان تنسى .

فاذا ذهبت تفحص سلوكهم وجدت العلم قد أفاد في تغيير الوسائل فقط ، اما المآرب الدنيا فهي هي عندهم وعند الجهال !

ويستحيل أن تنهض أمتنا الا يوم يكون العلم والتربية قرينين ، ويوم تتقرر آداب الاسلام ومثله دون حرج أو دجل .

* * *

احمد زكي حماد

انتهى شيخنا ـ أيده الله ـ من تحرير « قذائف الحق » في رحلتـه الرمضانية الى « المغرب » عام ١٣٩٢ هـ ، وكان الفراغ من تصحيحه في « غرة » ذي الحجة مـن نفس العام ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

فهرس الكتاب

منشورات

المكتبة العصرية - بيروت - صيدا



الثمن : ٦٠٠ ق.ل. او ما يعادلها